الشيخ الهدي

بُردة النبي الحنيف

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

الشَّرحُ الفَرِيدُ في

بُرْدَةِ النَّبِيِّ الحَبِيبِ

تأليف

الشيخ العلامة العارف بالله تعالى

محمد عيد عبد الله يعقوب الحسيني

على بُرْدَةِ

الإمام شرف الدين أبي عبد الله محمد البوصيري

قدس الله سره

دار الفارابي

للمعارف

العنوان : الشرح الفريد في بردة النبي الحبيب
تأليف : الشيخ محمد عيد عبد الله يعقوب الحسيني
عدد الصفحات : ٤٣٢
القياس : ١٧ × ٢٤

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل الطرق
الطبع و التصوير و النقل و الترجمة و التسجيل
المرئي و المسموع و الحاسوب و غيرها من
الحقوق إلا بإذن خطي من الناشر

الطبعة الأولى
١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٤ م

مكتبة الفارابي
اسست عام ١٩٦٧م
طباعة . نشر . ترجمة
سورية . دمشق . حلبوني . شارع مسلم البارودي .
ص.ب: ٢٣٨٢ هاتف: ٢٢٢٦٧٨٦ فاكس: ٢٤٥٤٩٧٨
www.daralfarabi.com

الوكيل المعتمد في
الإمارات العربية المتحدة
دار الفارابي
الشارقة - دوار الساعة
هاتف ٢٦٣١١٣٠ - ٦ - ٠٠٩٧١
Dar Farab @ emirates.net.ap

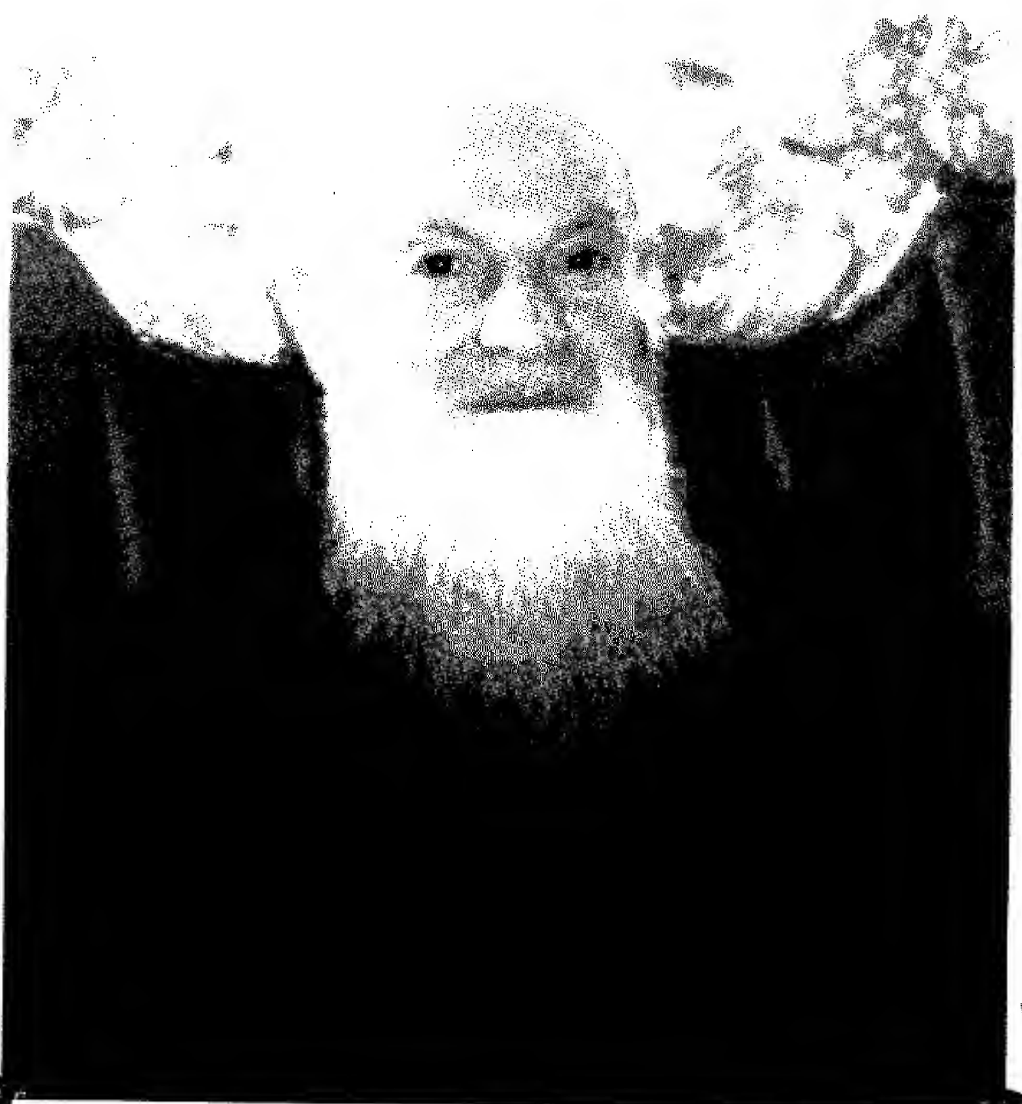

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشارح

الحمد لله الذي شرح بمدح نبيه قلوب أوليائه وأصفيائه ، ووشَّحهم ببردة محاسنه وطيب ثنائه .

والصلاة والسلام على مَن خصّه ربنا تبارك وتعالى بخواص هباته ، وكمّله بأكمل عناياته .

أما بعد ،

فيقول خادم الفقراء والدراويش محمد عيد يعقوب الحسيني :

لِيُعلم أن كمالاته عليه الصلاة والسلام لا تُحصى ، وشمائله لا تُستقصى . فمهما مدحه ﷺ المادحون ، ووصفه الواصفون ، فإنهم مقصّرون عما هنالك من شرفه عليه الصلاة والسلام ، كيف لا وقد وصفه ربنا تبارك وتعالى في القرآن الكريم بل وفي الكتب السماوية كلها بما يبهر العقول ، وبما لا يُستطاع إليه الوصول . ويكفيك قوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم : ٤].

فلو بالغ الأوّلون والآخِرون في إحصاء مناقبه ﷺ لَما استطاعوا الوصول إلى ما ذكره الله ﷻ في كتبه السماوية ، فكل علو في حقه ﷺ تقصير ، ولا يبلغ البليغ في مدحه إلا القليل من الكثير .

البريـةﷺ ، فصـحّ العـزم والنيـة ، وشـرعت في امتـداح المصطفـىٰ ، ورجوتُ به البُرء والشـفاء ، فأعـانني ربـي ويسّـر علـيّ طلـبي . فلمّـا ختمتها رأيت في منامي المصطفىٰﷺ التـهامي قـد أتـىٰ إليّ ومـرّ بيـده المباركة عليّ ، فعوفيت لوقتي وعُدت لِما كان من نعتي» .

وإنما سُميت بالبردة لأن الإمام البوصـيري رحمـه الله تعـالىٰ بعـد أن نظمـها كمـا ذكـر في تعليقـه بقصـد الـبُرء مـن داء الفـالج ، رأىٰ النبيﷺ في منامه فمسح بيده الشريفة عليه ، ولفـه في بردتـه - زيـادة علىٰ ما مر آنفاً - فبرئ لوقته .

وقد قال بعض العارفين : الأَوْلىٰ أن يُقـال لهـذه القصيـدة الـبُرءة ؛ لأن الناظم برئ ببركتها من فالجه .

وإن الـبردة الشـريفة هـذه كـانت مصوغـة صـوغ الذهـب الأحمر ، ومنظومة نظم الدر والجوهر . قـد غُزلـت مـن نعـوت النـبي المصطفىٰﷺ ، ونُسجت بقلم الإخلاص والصفا .

وهي من بحر البسيط ، وقد اشتملت علىٰ ما يلي :

أولاً : علىٰ براعة المطلع : وهي أن تُفتتح القصيدة بذكر ما يلائم المقصود .

ثانياً : علىٰ أسلوب آخر مشتمل علىٰ معنيين :

١- التلهف والأحزان ، والاعتراف بالغفلة والعصيان .

٢- التمسك بالموعظة الحسنة ، والجدال بالبرهان .

ثالثاً : علىٰ أسلوب آخر مشتمل علىٰ شيئين :

١- المدح والصفات .

٢- الآثار والمعجزات .

رابعاً : على أسلوب آخر مشتمل على شيئين :

١- تصحيح الاعتقاد ، وتحقيق وظائف المبدأ والمَعاد .

٢- الدعاء والمناجاة بالابتهال ، وإظهار الخوف والرجاء في العاقبة والمآل .

وقد أردتُ من شرح هذه البردة المتواضع حلَّ ألفاظها ، وبيان مرادها ، وفتح أقفالها ، وتوضيح مفادها .

وقد آليتُ في ذلك أن أنهج كما يلي :

١- الإعراب الموجز[1] .

٢- تفسير الكلمات .

٣- المعنى الكلي .

واللهَ أسأل أن تكون شافية كافية ، وسبباً لنجاتي يوم الدين .

خادم العلم الشريف

محمد عيد يعقوب الحسيني

---

(١) الإعراب هو تغيير أواخر الكَلِم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظاً أو تقديراً .

بسم الله الرحمن الرحيم

قصيدة البردة الشريفة

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ
مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَىٰ مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ
وَأَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ

فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَتَا
وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ

أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ
مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمِ

لَوْلاَ الهَوَىٰ لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلَىٰ طَلَلٍ
وَلاَ أَرِقْتَ لِذِكْرِ البَانِ وَالعَلَمِ

فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبّاً بَعْدَ مَا شَهِدَتْ
بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ

وَأَثْبَتَ الوَجْدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وَضَنىً
مِثْلَ البَهَارِ عَلَى خَدَّيْكَ وَالعَنَمِ
نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أَهْوَى فَأَرَّقَنِي
وَالحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَّاتِ بِالأَلَمِ
يَا لاَئِمِي فِي الهَوَى العُذْرِيِّ مَعْذِرَةً
مِنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ
عَدَتْكَ حَالِيَ لاَ سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ
عَنِ الوُشَاةِ وَلاَ دَائِي بِمُنْحَسِمِ
مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ
إِنَّ المُحِبَّ عَنِ العُذَّالِ فِي صَمَمِ
إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذَلٍ
وَالشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نُصْحٍ عَنِ التُّهَمِ
فَإِنَّ أَمَّارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظَتْ
مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالهَرَمِ
وَلاَ أَعَدَّتْ مِنَ الفِعْلِ الجَمِيلِ قِرَى
ضَيْفٍ أَلَمَّ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمِ

لَـوْ كُنْـتُ أَعْلَـمُ أَنِّـــي مَــا أُوَقِّــرُه

كَتَمْتُ سِــرّاً بَــدَا لِــي مِنْــهُ بِــالكَتَمِ

مَـنْ لِــي بِــرَدِّ جِمَـاحٍ مِـنْ غَوَايَتِـهَا

كَمَــا يُــرَدُّ جِمَــاحُ الخَيْــلِ بِــاللُّجُمِ

فَـلاَ تَـرُمْ بِالمَعَــاصِي كَسْـرَ شَـهْوَتِهَا

إِنَّ الطَّعَــامَ يُقَــوِّي شَــهْوَةَ النَّـــهِمِ

وَالنَّفْسُ كَـالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْـهُ شَـبَّ عَلَـى

حُـبِّ الرَّضَـاعِ وَإِنْ تَفْطِمْـهُ يَنْفَطِـــمِ

فَـاصْرِفْ هَوَاهَـا وَحَـاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَـــهُ

إِنَّ الهَـوَىٰ مَــا تَوَلَّــىٰ يُصْـمِ أَوْ يَصِـمِ

وَرَاعِـهَا وَهْــيَ فِــي الأَعْمَـالِ سَـائِمَةٌ

وَإِنْ هِـيَ اسْتَحْلَتِ المَرْعَـىٰ فَـلاَ تُسِـمِ

كَـمْ حَسَّــنَتْ لَــذَّةً لِلْمَــرْءِ قَاتِلَــةً

مِنْ حَيْثُ لَمْ يَـدْرِ أَنَّ السُّـمَّ فِـي الدَّسَـمِ

وَاخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِـنْ شِـبَعٍ

فَــرُبَّ مَخْمَصَــةٍ شَــرٌّ مِــنَ التُّخَـمِ

وَاسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ امْتَلأَتْ
مِنَ المَحَارِمِ وَالْزَمْ حِمْيَةَ النَّدَمِ
وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِهِمَا
وَإِنْ هُمَا مَحَّضَاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِمِ
وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمَا خَصْماً وَلاَ حَكَماً
فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الخَصْمِ وَالحَكَمِ
أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَوْلٍ بِلاَ عَمَلٍ
لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلاً لِذِي عُقُمِ
أَمَرْتُكَ الخَيْرَ لَكِنْ مَا ائْتَمَرْتُ بِهِ
وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ
وَلاَ تَزَوَّدْتُ قَبْلَ المَوْتِ نَافِلَةً
وَلَمْ أُصَلِّ سِوَىٰ فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ
ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلاَمَ إِلَىٰ
أَنِ اشْتَكَتْ قَدَمَاهُ الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ
وَشَدَّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشَاءَهُ وَطَوَىٰ
تَحْتَ الحِجَارَةِ كَشْحاً مُتْرَفَ الأَدَمِ

وَرَاوَدَتْــهُ الجِبَــالُ الشُّــمُّ مِــنْ ذَهَــبٍ

عَــنْ نَفْسِــهِ فَــأَرَاهَــا أَيَّمَــا شَــمَمِ

وَأَكَّــدَتْ زُهْــدَهُ فِيــهَا ضَرُورَتُــهُ

إِنَّ الضَّــرُورَةَ لاَ تَعْدُو عَلَــى العِصَــمِ

وَكَيْفَ تَدْعُــو إِلَــى الدُّنْيَا ضَــرُورَةُ مَنْ

لَــوْلاَهُ لَــمْ تُخْــرَجِ الدُّنْيَــا مِــنَ العَــدَمِ

مُحَمَّــدٌ سَــيِّدُ الكَوْنَيْــنِ وَالثَّقَلَـــ

ـيْنِ وَالفَرِيقَيْنِ مِــنْ عُــرْبٍ وَمِــنْ عَجَــمِ

نَبِيُّنَــا الآمِــرُ النَّــاهِي فَــلاَ أَحَــدٌ

أَبَــرَّ فِــي قَــوْلِ لاَ مِنْــهُ وَلاَ نَعَــمِ

هُــوَ الحَبِيــبُ الَّــذِي تُرْجَــى شَــفَاعَتُهُ

لِكُــلِّ هَــوْلٍ مِــنَ الأَهْــوَالِ مُقْتَحَــمِ

دَعَــا إِلَــى اللهِ فَالمُسْتَمْسِــكُونَ بِــهِ

مُسْتَمْسِــكُونَ بِحَبْــلٍ غَــيْرِ مُنْفَصِــمِ

فَــاقَ النَّبِيِّــينَ فِــي خَلْــقٍ وَفِــي خُلُــقٍ

وَلَــمْ يُدَانُــوهُ فِــي عِلْــمٍ وَلاَ كَــرَمِ

وَكُلُّـهُمْ مِـنْ رَسُـولِ اللهِ مُلْتَمِـسٌ
غَرْفاً مِنَ البَحْرِ أَوْ رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ

وَوَاقِفُـونَ لَدَيْـهِ عِنْـدَ حَدِّهِـمِ
مِنْ نُقْطَةِ العِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الحِكَمِ

فَـهوَ الَّـذِي تَـمَّ مَعْنَـاهُ وَصُورَتُـهُ
ثُـمَّ اصْطَفَـاهُ حَبِيبـاً بَـارِئُ النَّسَـمِ

مُـنَزَّهٌ عَـنْ شَـرِيكٍ فِـي مَحَاسِـنِهِ
فَجَوْهَـرُ الحُسْـنِ فِيـهِ غَـيْرُ مُنْقَسِـمِ

دَعْ مَـا ادَّعَتْـهُ النَّصَـارَىٰ فِـي نَبِيِّـهِمِ
وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحـاً فِيهِ وَاحْتَكِمِ

وَانْسُبْ إِلَىٰ ذَاتِهِ مَـا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ
وَانْسُبْ إِلَىٰ قَـدْرِهِ مَـا شِـئْتَ مِنْ عِظَمِ

فَـإِنَّ فَضْـلَ رَسُـولِ اللهِ لَيْـسَ لَـهُ
حَـدٌّ فَيُعْـرِبَ عَنْـهُ نَـاطِقٌ بِفَـمِ

لَـوْ نَاسَـبَتْ قَـدْرَهُ آيَاتُـهُ عِظَمـاً
أَحْيَا اسْـمُهُ حِـينَ يُدْعَـىٰ دَارِسَ الرِّمَـمِ

لَـمْ يَمْتَحِنَّــا بِمَــا تَعْيَــا العُقُــولُ بِــهِ
حِرْصـاً عَلَيْنَـا فَلَـمْ نَرْتَـبْ وَلَـمْ نَـهِمِ

أَعْيَـا الـوَرَىٰ فَـهْمُ مَعْنَـاهُ فَلَيْـسَ يُـرَىٰ
فِـي القُـرْبِ وَالبُعْـدِ فِيـهِ غَـيْرُ مُنْفَحِـمِ

كَالشَّـمْسِ تَظْـهَرُ لِلْعَيْنَيْــنِ مِـنْ بُعُــدٍ
صَغِـيرَةً وَتُكِـلُّ الطَّـرْفَ مِــنْ أَمَــمِ

وَكَيْــفَ يُــدْرِكُ فِــي الدُّنْيــا حَقِيقَتَــهُ
قَــوْمٌ نِيَــامٌ تَسَــلَّوْا عَنْــهُ بِــالحُلُمِ

فَمَبْلَــغُ العِلْــمِ فِيــهِ أَنَّــهُ بَشَــرٌ
وَأَنَّــهُ خَــيْرُ خَلْــقِ اللهِ كُلِّــهِمِ

وَكُــلُّ آيٍ أَتَــىٰ الرُّسْــلُ الكِــرامُ بِــهَا
فَــإِنَّمَــا اتَّصَلَــتْ مِــنْ نُــورِهِ بِــهِمِ

فَــإِنَّــهُ شَــمْسُ فَضْــلٍ هُــمْ كَوَاكِبُــهَا
يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَـا لِلنَّــاسِ فِـي الظُّلَـمِ

أَكْــرِمْ بِخَلْــقِ نَبِـيٍّ زَانَــهُ خُلُــقٌ
بِالحُسْــنِ مُشْــتَمِلٍ بِالبِشْــرِ مُتَّسِــمِ

كَـالزَّهْرِ فِـي تَـرَفٍ وَالبَـدْرِ فِـي شَـرَفٍ
وَالبَحْـرِ فِـي كَـرَمٍ وَالدَّهْـرِ فِـي هِمَـمِ

كَـأَنَّـهُ وَهُـوَ فَـرْدٌ مِـنْ جَلاَلَتِـهِ
فِـي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِـي حَشَـمِ

كَـأَنَّمـا اللُّؤْلُـؤُ المَكْنُـونُ فِـي صَـدَفٍ
مِـنْ مَعْدِنَـيْ مَنْطِـقٍ مِنْـهُ وَمُبْتَسَـمِ

لاَ طِيـبَ يَعْـدِلُ تُرْبـاً ضَـمَّ أَعْظُمَـهُ
طُوبَـى لِمُنْتَشِـقٍ مِنْـهُ وَمُلْتَثِـمِ

أَبَـانَ مَوْلِـدُهُ عَـنْ طِيـبِ عُنْصُـرِهِ
يَـا طِيـبَ مُبْتَـدَأٍ مِنْـهُ وَمُخْتَتَـمِ

يَـوْمٌ تَفَـرَّسَ فِيـهِ الفُـرْسُ أَنَّـهُمُ
قَـدْ أُنْـذِرُوا بِحُلُـولِ البُـؤْسِ وَالنِّقَـمِ

وَبَـاتَ إِيـوَانُ كِسْـرَىٰ وَهُـوَ مُنْصَـدِعٌ
كَشَـمْلِ أَصْحَـابِ كِسْـرَىٰ غَـيْرَ مُلْتَئِـمِ

وَالنَّـارُ خَـامِدَةُ الأَنْفَـاسِ مِـنْ أَسَـفٍ
عَلَيْـهِ وَالنَّـهْرُ سَـاهِي العَيْـنِ مِنْ سَـدَمِ

وَسَـاءَ سَـاوَةَ أَنْ غَـاضَتْ بُحَيْرَتُـهَا

وِرْدٌ وَارِدُهَـا بِـالغَيْظِ حِـينَ ظَمِـي

كَـأَنَّ بِالنَّـارِ مَـا بِالمـاءِ مِـنْ بَلَـلٍ

حُزْنـاً وَبِالمـاءِ مَـا بِالنَّـارِ مِـنْ ضَـرَمِ

وَالجِـنُّ تَـهْتِفُ وَالأَنْـوَارُ سَـاطِعَةٌ

وَالحَـقُّ يَظْـهَرُ مِـنْ مَعْنـىً وَمِـنْ كَلِـمِ

عَمُـوا وَصَمُّـوا فَـإِعْـلاَنُ البَشَـائِرِ لَـمْ

تُسْـمَعْ وَبَارِقَـةُ الإِنْـذَارِ لَـمْ تُشَـمِ

مِـنْ بَعْـدِ مَـا أَخْبَرَ الأَقْـوَامَ كَاهِنُـهُمْ

بِـأَنَّ دِينَـهُمُ المُعْـوَجَّ لَـمْ يَقُـمِ

وَبَعْدَمَـا عَـايَنُوا فِـي الأُفْـقِ مِـنْ شُـهُبٍ

مُنْقَضَّةٍ وَفْـقَ مَـا فِـي الأَرْضِ مِـنْ صَنَـمِ

حَتَّـى غَـدَا عَـنْ طَرِيـقِ الوَحْـيِ مُنْـهَزِمٌ

مِـنَ الشَّـيَاطِينِ يَقْفُـو إِثْـرَ مُنْـهَزِمِ

كَـأَنَّـهُمْ هَـرَبـاً أَبْطَـالُ أَبْرَهَـةٍ

أَوْ عَسْكَرٌ بِـالحَصَى مِـنْ رَاحَتَيْـهِ رُمِـي

نَبْـداً بِــهِ بَعْـدَ تَسْـبِيحٍ بِبَطْنِـهِمَا
نَبْـذَ المُسَـبِّحِ مِـنْ أَحْشَـاءِ مُلْتَقِـمِ

جَـاءَتْ لِدَعْوَتِـهِ الأَشْـجَارُ سَـاجِدَةً
تَمْشِـي إِلَيْـهِ عَلَـى سَـاقٍ بِـلاَ قَـدَمِ

كَـأَنَّمَا سَـطَرَتْ سَـطْراً لِمَـا كَتَبَـتْ
فُرُوعُـهَا مِـنْ بَدِيـعِ الخَـطِّ بِـاللَّقَمِ

مِثْـلَ الغَمَامَـةِ أَنَّـى سَـارَ سَـائِرَةً
تَقِيـهِ حَـرَّ وَطِيـسٍ لِلْـهَجِيرِ حَمِـي

أَقْسَـمْتُ بِـالقَمَرِ المُنْشَـقِّ إِنَّ لَـهُ
مِـنْ قَلْبِـهِ نِسْـبَةً مَـبْرُورَةَ القَسَـمِ

وَمَا حَـوَى الغَـارُ مِـنْ خَـيْرٍ وَمِـنْ كَـرَمِ
وَكُـلُّ طَـرْفٍ مِـنَ الكُفَّـارِ عَنْـهُ عَمِـي

فَالصِّدْقُ فِي الغَـارِ وَالصِّدِّيـقُ لَـمْ يَرِمَـا
وَهُـمْ يَقُولُـونَ مَـا بِالغَـارِ مِـنْ أَرِمِ

ظَنُّوا الحَمَـامَ وَظَنُّـوا العَنْكَبُـوتَ عَلَـى
خَـيْرِ البَرِيَّـةِ لَـمْ تَنْسُـجْ وَلَـمْ تَحُـمِ

بِعَـارِضٍ جَـادَ أَوْ خِلْـتُ البِطَــاحَ بِـهَا

سَـيْبٌ مِـنَ اليَـمِّ أَوْ سَـيْلٌ مِـنَ العَـرِمِ

دَعْنِــي وَوَصْفِـيَ آيَـاتٍ لَـهُ ظَـهَرَتْ

ظُـهُورَ نَـارِ القِــرَىٰ لَيْـلاً عَلَـىٰ عَلَـمِ

فَــالدُّرُّ يَــزْدَادُ حُسْــناً وَهْــوَ مُنْتَظِــمٌ

وَلَيْــسَ يَنْقُــصُ قَــدْراً غَـيْرَ مُنْتَظِــمِ

فَمَــا تَطَــاوُلُ آمَــالِ المَدِيــحِ إِلَــىٰ

مَـا فِيـهِ مِـنْ كَـرَمِ الأَخْـلاَقِ وَالشِّـيَمِ

آيَــاتُ حَــقٍّ مِــنَ الرَّحْمَــنِ مُحْدَثَــةٌ

قَدِيمَـــةٌ صِفَـــةُ المَوْصُــوفِ بِـــالقِدَمِ

لَــمْ تَقْــتَرِنْ بِزَمَـانٍ وَهْـــيَ تُخْبِرُنَـــا

عَـنِ المَعَــادِ وَعَــنْ عَــادٍ وَعَــنْ إِرَمِ

دَامَــتْ لَدَيْنَــا فَفَــاقَتْ كُــلَّ مُعْجِــزَةٍ

مِـنَ النَّبِيِّـينَ إِذْ جَــاءَتْ وَلَــمْ تَــدُمِ

مُحَكَّمَــاتٌ فَمَــا تُبْقِــينَ مِــنْ شُــبَهٍ

لِـذِي شِقَاقٍ وَمَـا تَبْغِــينَ مِـنْ حَكَـمِ

وِقَايَـــةُ اللهِ أغْنَـــتْ عَـــنْ مُضَاعَفَـــةٍ
مِـنَ الـدُّرُوعِ وَعَـنْ عَـالٍ مِـنَ الأُطُـمِ

مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضَيْماً وَاسْتَجَرْتُ بِهِ
إلاَّ وَنِلْـتُ جِـوَاراً مِنْـهُ لَـمْ يُضَـمِ

وَلاَ الْتَمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَـدِهِ
إلاَّ اسْتَلَمْتُ النَّدَىٰ مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ

لاَ تُنْكِـرِ الوَحْـيَ مِـنْ رُؤْيَـاهُ إنَّ لَـهُ
قَلْبـاً إذَا نَـامَتِ العَيْنَـانِ لَـمْ يَنَـمِ

وَذَاكَ حِـينَ بُلُـوغٍ مِـنْ نُبُوَّتِـهِ
فَلَيْـسَ يُنْكَـرُ فِيـهِ حَـالُ مُحْتَلِـمِ

تَبَـارَكَ اللهُ مَـا وَحْـيٌ بِمُكْتَسَـبٍ
وَلاَ نَبِـيٌّ عَلَـىٰ غَيْـبٍ بِمُتَّـهَمِ

كَـمْ أَبْـرَأَتْ وَصِبـاً بِـاللَّمْسِ رَاحَتُـهُ
وَأَطْلَقَـتْ أَرِبـاً مِـنْ رِبْقَـةِ اللَّمَـمِ

وَأَحْيَـتِ السَّـنَةَ الشَّـهْبَاءَ دَعْوَتُـهُ
حَتَّىٰ حَكَتْ غُرَّةً فِـي الأَعْصُـرِ الدُّهُـمِ

مَـا حُورِبَـتْ قَـطُّ إلاَّ عَـادَ مِـنْ حَـرَبٍ
أعْـدَىٰ الأعَـادِي إلَيْـهَا مُلْقِــيَ السَّـلَمِ
رَدَّتْ بَلاَغَتُــهَا دَعْــوَىٰ مُعَارِضِـــهَا
رَدَّ الغَيُـورِ يَـدَ الجَــانِي عَــنِ الحُـرَمِ
لَـهَا مَعَـانٍ كَمَــوْجِ البَحْــرِ فِــي مَـدَدٍ
وَفَـوْقَ جَوْهَـرِهِ فِــي الحُسْــنِ وَالقِيَـمِ
فَمَـــا تُعَــدُّ وَلاَ تُحْصَــىٰ عَجَائِبُـــهَا
وَلاَ تُسَــامُ عَلَــىٰ الإكْثَــارِ بِالسَّــأَمِ
قَــرَّتْ بِــهَا عَيْــنُ قَارِيــهَا فَقُلْـتُ لَـهُ
لَقَــدْ ظَفِــرْتَ بِحَبْــلِ اللهِ فَــاعْتَصِمِ
إنْ تَتْلُـهَا خِيفَـةً مِــنْ حَــرِّ نَــارِ لَظَـىٰ
أطْفَـأْتَ حَـرَّ لَظَـىٰ مِـنْ وِرْدِهَـا الشَّـبِمِ
كَـأنَّـهَا الحَـوْضُ تَبْيَــضُّ الوُجُــوهُ بِـهِ
مِـنَ العُصَــاةِ وَقَـدْ جَـاءُوهُ كَـالحُمَمِ
وَكَـــالصِّرَاطِ وَكَـــالمِيزَانِ مَعْدِلَـــةً
فَالقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّـاسِ لَـمْ يَقُـمِ

لاَ تَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا
تَجَاهُلاً وَهوَ عَيْنُ الحَاذِقِ الفَهِمِ
قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ
وَيُنْكِرُ الفَمُّ طَعْمَ المَاءِ مِنْ سَقَمِ
يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ العَافُونَ سَاحَتَهُ
سَعْياً وَفَوْقَ مُتُونِ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ
وَمَنْ هُوَ الآيَةُ الكُبْرَىٰ لِمُعْتَبِرٍ
وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ العُظْمَىٰ لِمُغْتَنِمِ
سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً إِلَىٰ حَرَمِ
كَمَا سَرَىٰ البَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ
وَبِتَّ تَرْقَىٰ إِلَىٰ أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً
مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ
وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ بِهَا
وَالرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَىٰ خَدَمِ
وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِهِمْ
فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ العَلَمِ

حَتَّـى إِذَا لَـمْ تَـدَعْ شَـأْواً لِمُسْـتَبِقٍ
مِـنَ الدُّنُـوِّ وَلاَ مَرْقـىً لِمُسْـتَنِمِ

خَفَضْـتَ كُـلَّ مَقَـامٍ بِـالإِضَافَـةِ إِذْ
نُودِيتَ بِـالرَّفْعِ مِثْـلَ المُفْـرَدِ العَلَـمِ

كَيْمَـا تَفُـوزَ بِوَصْـلٍ أَيِّ مُسْـتَتِرٍ
عَـنِ العُيُـونِ وَسِـرٍّ أَيِّ مُكْتَتَـمِ

فَحُـزْتَ كُـلَّ فَخَـارٍ غَـيْرَ مُشْـتَرَك
وَجُـزْتَ كُـلَّ مَقَـامٍ غَـيْرَ مُزْدَحَـمِ

وَجَـلَّ مِقْـدَارُ مَـا وُلِّيـتَ مِـنْ رُتَـبٍ
وعَـزَّ إِدْرَاكُ مَـا أُولِيـتَ مِـنْ نِعَـمِ

بُشْـرَى لَنَـا مَعْشَـرَ الإِسْـلاَمِ إِنَّ لَنَـا
مِـنَ العِنَايَـةِ رُكْنـاً غَـيْرَ مُنْـهَدِمِ

لَمَّـا دَعَـا اللهُ دَاعِيَنَـا لِطَاعَتِـهِ
بِـأَكْـرَمِ الرُّسْـلِ كُنَّـا أَكْـرَمَ الأُمَـمِ

رَاعَـتْ قُلُـوبَ العِـدَا أَنْبَـاءُ بِعْثَتِـهِ
كَنَبْـأَةٍ أَجْفَلَـتْ غُفْـلاً مِـنَ الغَنَـمِ

مَــا زَالَ يَلْقَــاهُمُ فِــي كُـــلِّ مُعْــتَرَكٍ
حَتَّىٰ حَكَـوْا بِالقَنَـا لَحْمـاً عَلَـىٰ وَضَـمِ
وَدُّوا الفِــرَارَ فَكَــادُوا يَغْبِطُـــونَ بِــهِ
أَشْلاَءَ شَالَتْ مَـعَ العِقْبَــانِ وَالرَّخَـمِ
تَمْضِــي اللَّيَــالِي وَلاَ يَــدْرُونَ عِدَّتَــهَا
مَا لَمْ تَكُـنْ مِـنْ لَيَـالِي الأَشْـهُرِ الحُـرُمِ
كَـأَنَّمَـا الدِّيـنُ ضَيْـفٌ حَــلَّ سَـاحَتَهُمْ
بِكُـلِّ قَـرْمٍ إِلَـىٰ لَحْـمِ العِـدَا قَــرِمِ
يَجُــرُّ بَحْــرَ خَمِيــسٍ فَـوْقَ سَــابِحَةٍ
يَرْمِــي بِمَــوْجٍ مِــنَ الأَبْطَــالِ مُلْتَطِــمِ
مِــنْ كُـــلِّ مُنْتَـــدِبٍ لله مُحْتَسِـــبٍ
يَسْطُو بِمُسْـتَأْصِـلٍ لِلْكُفْــرِ مُصْطَلِـمِ
حَتَّـىٰ غَـدَتْ مِلَّـةُ الإِسْـلاَمِ وَهْــيَ بِـهِمْ
مِنْ بَعْــدِ غُرْبَتِــهَا مَوْصُولَــةَ الرَّحِــمِ
مَكْفُولَـــةً أَبَــداً مِنْــهُمْ بِخَـــيْرِ أَبٍ
وَخَــيْرِ بَعْــلٍ فَلَــمْ تَيْتَــمْ وَلَــمْ تَئِــمِ

هُـمُ الجِبَـالُ فَسَـــلْ عَنْـهُمْ مُصَادِمَــهُمْ
مَــاذَا رَأَىٰ مِنْــهُمُ فِــي كُـلِّ مُصْطَـــدَمِ
وَسَـلْ حُنَيْنـاً وَسَـلْ بَـدْراً وَسَـلْ أُحُـــداً
فُصُـولُ حَتْـفٍ لَـهُمْ أَدْهَـىٰ مِـنَ الوَخَـمِ
المُصْدِرِي البِيضِ حُمْراً بَعْدَ مَـا وَرَدَتْ
مِــنَ العِــدَا كُــلَّ مُسْـوَدٍ مِــنَ اللِّمَـــمِ
وَالكَـاتِبِينَ بِسُـمْرِ الخَــطِّ مَــا تَرَكَــتْ
أَقْلاَمُـهُمْ حَـرْفَ جِسْـمٍ غَـيْرَ مُنْعَجِــمِ
شَـاكِي السِّلاَحِ لَـهُمْ سِـيمَا تُمَـيِّزُهُمْ
وَالـوَرْدُ يَمْتَـازُ بِالسِّـيمَا عَـنِ السَّـلَمِ
تُـهْدِي إِلَيْـكَ رِيَـاحُ النَّصْــرِ نَشْـرَهُمُ
فَتَحْسَبُ الزَّهْـرَ فِي الأَكْمَـامِ كُـلَّ كَمِـي
كَـأَنَّـهُمْ فِـي ظُـهُورِ الخَيْـلِ نَبْــتُ رُبـاً
مِـنْ شِـدَّةِ الحَـزْمِ لاَ مِـنْ شَـدَّةِ الحُــزُمِ
طَارَتْ قُلُوبُ العِـدَا مِـنْ بَـأْسِهِمْ فَرَقـاً
فَمَــا تُفَــرِّقُ بَيْــنَ البَــهْمِ وَالبُــهَمِ

وَمَـــنْ تَكُـــنْ بِرَسُـــولِ اللهِ نُصْرَتُـــهُ
إِنْ تَلْقَـهُ الأُسْـدُ فِـي آجَامِـهَا تَجِـمِ

وَلَـنْ تَـرَىٰ مِـنْ وَلِـيٍّ غَـيْرِ مُنْتَصِـرٍ
بِـهِ وَلاَ مِـنْ عَـدُوٍّ غَـيْرِ مُنْقَصِـمِ

أَحَـــلَّ أُمَّتَـــهُ فِـــي حِـــرْزِ مِلَّتِـــهِ
كَـاللَّيْثِ حَـلَّ مَـعَ الأَشْبَالِ فِـي أَجَـمِ

كَـمْ جَدَّلَـــتْ كَلِمَـاتُ اللهِ مِـنْ جَـدِلٍ
فِيـهِ وَكَـمْ خَصَـمَ البُرْهَـانُ مِنْ خَصِـمِ

كَفَـاكَ بِـالعِلْمِ فِـي الأُمِّـيِّ مُعْجِـزَةً
فِـي الجَاهِلِيَّـةِ وَالتَّـأْدِيـبِ فِـي اليُتُـمِ

خَدَمْتُـــهُ بِمَدِيـــحٍ أَسْـــتَقِيلُ بِـــهِ
ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَىٰ فِـي الشِّعْرِ وَالخِـدَمِ

إِذْ قَلَّدَانِـــيَ مَـــا تُخْشَـــىٰ عَوَاقِبُـــهُ
كَـأَنَّنِـي بِـهِمَا هَـدْيٌ مِـــنَ النَّعَـمِ

أَطَعْتُ غَـيَّ الصِّبَـا فِي الحَـالَتَيْنِ وَمَـا
حَصَّلْـتُ إِلاَّ عَلَـىٰ الآثَـامِ وَالنَّـدَمِ

فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا

لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسُمِ

وَمَنْ يَبِعْ آجِلاً مِنْهُ بِعَاجِلِهِ

يَبِنْ لَهُ الغَبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمِ

إِنْ آتِ ذَنْباً فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ

مِنَ النَّبِيِّ وَلاَ حَبْلِي بِمُنْصَرِمِ

فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَتِي

مُحَمَّداً وَهُوَ أَوْفَى الخَلْقِ بِالذِّمَمِ

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذاً بِيَدِي

فَضْلاً وَإِلاَّ فَقُلْ يَا زَلَّةَ القَدَمِ

حَاشَاهُ أَنْ يُحْرِمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ

أَوْ يَرْجِعَ الجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ

وَمُنْذُ أَلْزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ

وَجَدْتُهُ لِخَلاَصِي خَيْرَ مُلْتَزِمِ

وَلَنْ يَفُوتَ الغِنَى مِنْهُ يَداً تَرِبَتْ

إِنَّ الحَيَا يُنْبِتُ الأَزْهَارَ فِي الأُكُمِ

وَلَـمْ أُرِدْ زَهْـرَةَ الدُّنْيَـا الَّتِـي اقْتَطَفَــتْ

يَـدَا زُهَــيْرٍ بِمَــا أَثْنَــى عَلَــى هَــرِمِ

يَـا أَكْـرَمَ الخَلْـقِ مَـا لِـي مَنْ أَلُـوذُ بِـهِ

سِوَاكَ عِنْـدَ حُلُولِ الحَــادِثِ العَمِـمِ

وَلَـنْ يَضِيـقَ رَسُــولَ اللهِ جَــاهُكَ بِــي

إِذَا الكَرِيــمُ تَجَلَّــى بِاسْــمِ مُنْتَقِــمِ

فَــإِنَّ مِــنْ جُــودِكَ الدُّنْيَــا وَضَرَّتَــــهَا

وَمِـنْ عُلُومِــكَ عِلْـمَ اللَّـوْحِ والقَلَـمِ

يَـا نَفْـسِ لاَ تَقْنِطِـي مِـنْ زَلَّـةٍ عَظُمَــتْ

إِنَّ الكَبَــائِرَ فِــي الغُفْــرَانِ كَــاللَّمَمِ

لَعَــلَّ رَحْمَــةَ رَبِّــي حِــينَ يَقْسِــمُهَا

تَأْتِي عَلَى حَسَبِ العِصْيانِ فِـي القِسَـمِ

يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَــائِي غَـيْرَ مُنْعَكِسٍ

لَدَيْـكَ وَاجْعَـلْ حِسَابِي غَـيْرَ مُنْخَـرِمِ

وَالْطُـفْ بِعَبْـدِكَ فِــي الدَّارَيْــنِ إِنَّ لَــهُ

صَــبْراً مَتَــى تَدْعُــهُ الأَهْــوَالُ يَنْــهَزِمِ

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

٭ ٭ ٭ ٭

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح البردة الشريفة

لقد جرت عادة الشعراء بأنهم يُجَرِّدون من أنفسهم شخصاً يحاورونه دلالاً وعتاباً ، وسؤالاً وجواباً .

ولمّا أراد الناظم براعة المطلع ، جرّد من نفسه شخصاً مُزج دمعه بدمه ، فسأله عن علة ذلك فقال مخاطباً له :

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ

مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَىٰ مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

تنبيه :

إن من عادة كل مؤلف الابتداء بالبسملة ، ثم الحمدلة ، ثم الصلاة على النبي ﷺ ؛ وذلك ليكون مؤلفاً مباركاً غير مبتور .

ولعل الناظم هنا رحمه الله تعالىٰ قد فعل ذلك نطقاً لا كتابة ، وهذا يفي بالغرض كما ذكر ذلك الفقهاء والعلماء رضي الله عنهم .

❁ ❁ ❁ ❁

١- أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ

مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَىٰ مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

الإعراب الموجز

(أَمِنْ) : الهمزة للاستفهام ، و**(مِنْ)** بكسر الميم : حرف تعليل وجر متعلقة بـ **(مَزَجْتَ)** .

(تَذَكُّرِ) : مجرور بـ **(مِنْ)** .

(جِيرَانٍ) : بكسر الجيم : مضاف إليه من إضافة المصدر إلىٰ مفعوله بعد حذف فاعله .

(بِذِي) : الباء حرف جر ، و**(ذِي)** مجرور .

(سَلَمِ) بفتحتين : مضاف إليه .

(مَزَجْتَ) بفتح التاء : فعل وفاعل .

(دَمْعاً) : مفعول به .

(جَرَىٰ) : فعل ماض ، وفاعله مستتر فيه يعود علىٰ **(دَمْعاً)** ، والجملة نعت له .

(مِنْ مُقْلَةٍ) : جار ومجرور متعلق بـ **(جَرَىٰ)** بإفادته التوكيد ، حيث الدمع لا يجري من غير مقلة .

(بِدَمِ) : جار ومجرور .

تفسير الكلمات

(أَمِنْ) : أي مِن أجل .

(تَذَكُّرِ): مصدر تَذَكَّرَ كتَفَعَّلَ ، مأخوذ من الذُكْر وهو ضد النسيان.

(جِيرَانٍ) : جمع جار .

(بِذِي سَلَمِ) : (سَلَمِ) : نوع من الشجر ، و(ذِي سَلَمٍ): هو موضع بين مكة والمدينة قريب من قَديد .

(مَزَجْتَ) : خَلَطْتَ .

(دَمْعاً) : الدمع هو الماء المالح السائل من العين ، فإن كان من حُزن فهو ساخن، وإن كان من فرح وسرور فهو بارد .

(جَرَىٰ) : سال بشدة ؛ لذا يُلاحظ بأنَّ الناظم عَبَّرَ به دون سال .

(مِنْ مُقْلَةٍ) : المُقلة هي شحمة العين التي تجمع البياض والسواد ، وفيها الحدقة التي هي السواد الذي في وسط العين . وتلك الحدقة فيها الناظر ، ومن شدة صفائها كانت العين كالمرآة ، إذا استقبلها شخص رأىٰ صاحبُها صورتَه فيها .

ولقد أفرد الناظم هنا المقلة ؛ لأن العرب قد يطلقونها ونظائرها مفردة ويريدون بها المثنىٰ ، كما قال بعضهم :

بَكَتْ عيني وحَقَّ لها بكاها   وما يُغني البكاءُ ولا العويلُ

(بِدَمِ) : الدم هو أحد الأمشاج الأربعة التي خُلِقَ منها الإنسان . ولقد كنّىٰ الناظم بمزج الدمع بالدم عن كثرة البكاء .

المعنى الكلي

يقول الناظم علىٰ سبيل السؤال والاستفهام لِمَن قَتَلَه الحب وأضناه الغرام ، وزاد شوقه ونحيبه ، وكَثُرَ وجده ولهيبه :

ما سبب اختلاط دمعِك الجاري من مقلتكَ بالدم ؟ أهو من تَذَكُّرِ جيرانك وأحبابك المقيمين بذي سَلَمٍ ؟ فإن كان بسبب ذلك فلا تُلام علىٰ

٢- أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ
وَأَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ

الإعراب الموجز

(أَمْ) : حرف عطف ، وهو معادل للهمزة في الاستفهام بهما .

(هَبَّتِ الرِّيحُ) : فعل وفاعل في تأويل مفردٍ معطوف على **(تَذَكُّرِ)** .

(مِنْ تِلْقَاءِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(هَبَّتِ)** .

(كَاظِمَةٍ) : مضاف إليه .

(وَأَوْمَضَ البَرْقُ) : فعل وفاعل معطوف على **(هَبَّتِ الرِّيحُ)** .

(فِي الظَّلْمَاءِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(أَوْمَضَ)** على تقدير موصوف بين الجار والمجرور، والتقدير : في الليلة الظلماء .

(مِنْ إِضَمِ) بكسر الهمزة : حال من **(الظَّلْمَاءِ)** .

تفسير الكلمات

(هَبَّتِ الرِّيحُ) : أي هاجت .

والريح جسم لطيف شفاف غير مرئي ، يهبُّ بمقدارٍ مخصوص في وقتٍ مخصوص .

وإذا أتت مفردة فالغالب أنها تكون للعذاب ، وإذا أتت مجموعة فالغالب أنها تكون للرحمة ، لذلك كان النبي ﷺ يقول : «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»[1].

---

(١) : أخرجه الطبراني وأبو يعلى ، وذكره الشافعي في كتابه الأم .

فعلك ، حيث مَن تَذَكَّرَ وَصْلَ الأحباء والجيران ، ومؤانسة الأصدقاء والأخلاء ، يَهُون عليه مزج الدمع بالدم ، وبذل الروح والجسم .

وكيف يُلام والحب أحرقه ؟ والشوق مزّقه ؟ والعشق أقلقه ؟ والنوم فارقه ؟ وصار كمن قال :

لا يَعْـرِفُ الشَّـوْقَ إلاّ مَـن يُكـابِدُهُ
ولا الصَّبابَـةَ إلاّ مَـن يُعانيـها

وإن هذا البيت هو من براعة الاستهلال ، حيث بَيَّنَ ناظمه فيه أنَّ هذه القصيدة في مدح النبي ﷺ ، حيث ذكر المواضع التي بقرب المدينة الشريفة .

كما وإن هذا البيت هو أول القصيدة باتفاق ، وأمّا ما شاع على ألسنة الناس مِن قولهم :

الحَمْـدُ لله مُنْشِـي الخَلْـقِ مِـنْ عَـدَمِ
ثُـمَّ الصَّلاةُ عَلَـى المُخْتَـارِ مِـنْ قِـدَمِ

فليس منها قطعاً ، وإن كان ثناءً حسناً في ذاته ﷺ .

ثم بعد ذلك حصل له حيرة كعادة المحبين ، وغلبة فكر دخل فيها في رِبْقَة المترددين ، فقال رحمه الله تعالى :

أَمْ هَبَّـتِ الرِّيـحُ مِـنْ تِلْقَـاءِ كَاظِمَـةٍ
وَأَوْمَـضَ الـبَرْقُ فِـي الظَّلْمَـاءِ مِنْ إِضَـمِ

* * * *

فالمعلوم أنَّ ريح العذاب واحدة وهي الدَّبور، وأنَّ عليها خزنة.
فعندما أراد الله تعالىٰ هلاك قوم عاد فَعَتَتْ عليهم، فخرجت من مقدار خاتم، ولو خرجت من مقدار أنف ثور لأهلكت الدنيا.
ولقد أفرد الناظم الريح هنا؛ لأن الحب وإن كان عذباً فإنه مختلط بعذاب.

(مِنْ تِلْقَاءِ) : مِن ناحية، أو مِن قرب.

(كَاظِمَةٍ) : اسم موضع بالقرب من المدينة المنورة.

(وَأَوْمَضَ البَرْقُ) : أي لمع خفياً.

والبرق عند الحكماء وأهل الهيئة نار تحدث عند شدة اصطكاك أجرام الهواء بعضها ببعض، وأكثر ما تكون عند انتقال الزمان من البرد إلىٰ الحر أو العكس، ومن ذلك الاصطكاك تحدث أصوات الرعد.

وقيل: إن الرعد صوت مَلَك يزجر السحاب إلىٰ الجهات التي يريدها الله تعالىٰ، والبرق صورته.

(فِي الظَّلْمَاءِ) : أي في الليلة ذات الظلمة.

وقد اخْتُلِفَ في الظلمة، فقيل: أمرٌ وجوديٌ يُضاد النور قائمٌ بالهواء، وقيل: أمرٌ عدمي.

وإنما خَصَّ الناظم الليلة الظلماء في الذكر؛ لأن الضوء في الظلمة أجلىٰ.

(إِضَمِ) : اسم لجبل، وقيل: لوادٍ بقرب المدينة المنورة.

المعنى الكلي

وحاصل معنىٰ هذا البيت والذي سبقه، أنَّ الناظم أراد بالجيران: الأحبة، وبذي سَلَمٍ وكاظمةٍ وإِضَم: أمْكِنَتَهُم، وبمزج

الدمع بالدم : شدة البكاء . فاستفهم عن علة مزج الدمع بالدم : أهي تَذَكُّر الأحبة الغائبين ؟ أم هبوب الريح من ناحية كاظمة ؟ أم لمعان البرق من ناحية إِضَم ؟

ولا شك أن كلاً من هذه المذكورات موجبٌ لكثرة البكاء ، وتزايد العبرات .

أما الأول : وهو التذكر ؛ فلأنه يحصل به التحسر على ما مضى مِن وَصْل الأحبة ، ومؤانسة الأصدقاء والأَخِلَّة .

وأما الثاني : وهو هبوب الريح من جهة كاظمة ؛ فلأن المحب دائماً يفكر في محاسن محبوبه التي هي جُلُّ قصده ، وتمامُ مرغوبه . فإذا هبّت الريح من جهة الموضع الذي هو فيه ، تَخَيَّلَ أنها تحمل روائحه إليه .

وأما الثالث : وهو إيماض البرق من إِضَم ؛ لأن مِن عادة المحبين المُتَيَّمِين أن يرتاحوا للبرق إذا لمع من جهة ديار الأحبة ، حيث خفته ولطافته تذكرهم بصفات الأحبة ولطائفهم . وعند لمعان البرق أيضاً يتخيَّل المحب بأنه يرى ديار أحبائه ، فيكثر بكاؤه لتصوره مكان أحبته ، وتذكره صفات أهل أنسه ووِدادهم .

وقد أدخل الناظم الهمزة على أحد المعادلَيْن ، و(أَمْ) على الآخر ، ووسّط بينهما ما لا يُسأل عنه وهو مزج الدمع بالدم ، كقوله تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧] . إلا أنّ الناظم جعل أحد المعادلَيْن جملة ، كقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾ [الجن: ٢٥] .

هذا ولما سأل الناظمُ عما ذُكِرَ ولم يَرُد عليه المسؤول جواباً ؛ لأن من شأن المحبين أن يكتموا الحب في أول الأمر ، بل جرت عادتهم بإنكاره بالمرة ، نَزَّلَ الناظمُ المسؤولَ منزلة المنكِر ، وتعجّب من حاله على فرض صدقه في الإنكار ، فقال :

فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَتَا
وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٣- فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَتَا
وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ

الإعراب الموجز

(فَمَا) : الفاء عاطفة ، و **(مَا)** : اسم استفهام جعلها بعضهم للإفصاح في موضع رفع على الابتداء .

(لِعَيْنَيْكَ) : خبر المبتدأ .

(إِنْ) المكسورة الهمزة والساكنة النون : حرف شرط .

(قُلْتَ) : فعل الشرط في محل جزم .

(اكْفُفَا) : بضم الفاء الأولى وفتح الثانية : فعل أمر وفاعل ، والجملة في موضع نصب بـ **(قُلْتَ)** .

(هَمَتَا) : فعل ماض وفاعل ، والجملة جواب الشرط .

(وَمَا) : اسم استفهام في موضع رفع على الابتداء .

(لِقَلْبِكَ) : خبر المبتدأ .

(إِنْ قُلْتَ) : حرف وفعل الشرط .

(اسْتَفِقْ) : مَقُولُ **(قُلْتَ)** .

(يَهِمِ) : جواب الشرط . والأصل يهيم ، وحذفت الياء لالتقاء الساكنين **(الياء والميم)** من أجل الجزم ، وتحريك الميم بالكسر عارضٌ لحرف الرَّوي .

تفسير الكلمات

(لِعَيْنَيْكَ) : تثنية عين .

(اكْفُفَا) : بمعنى احبسا وأمسكا دمعكما عن البكاء .

(هَمَتَا): سالتا ، مأخوذٌ من الهيمان وهو السيلان .

(وَمَا لِقَلْبِكَ) : أي ما لفؤادك .

والتحقيق أن القلب لحم صنوبري الشكل ، دقيق الأسفل ، غليظ الأعلىٰ . وهو سر لطيف به يحصل الإدراك ، ويُعَبَّرُ به بهذه الجارحة تقريباً للأذهان فقط .

(اسْتَفِقْ) : أَفِقْ مما أنت فيه .

(يَهِمِ) : يتحيّر ويتولّه .

والهيام داء كالجنون ينشأ من العشق وغيره . يقال : هام في العشق ، أي لا يدري أين هو .

المعنى الكلي

يقول الناظم :

إن كنتَ تنكر فرط الوجد في المحبة والوداد ، وتُظهر السلوىٰ عن كوامِن لَواعِج الفؤاد ، فما لِعَيْنَيْكَ إن أردتَ منهما الإمساك عن البكاء سالتا أشدّ السيلان ؟ وما لقلبك إن طلبت منه الإفاقة يهيم في أودية التحيّر غاية الهيمان ؟ فكل من هذين الأمرين المذكورين من آثار الحب .

وهنا كذلك لم يجد المسؤول جواباً ، وأفحمه السائل بالسؤال المسكوت ، فرجع السائل في تغليظه في إنكار حالة الحب التي لا تُخفىٰ ، ثم التفت السائل من الخطاب إلىٰ الغيبة فقال منكراً :

أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ

مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ ومُضْطَرِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٤- أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ
مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمِ

الإعراب الموجز

(أَيَحْسَبُ) : الهمزة للاستفهام التوبيخي الإنكاري ، و**(يَحْسَبُ)** مضارع حَسِبَ المتعدي لاثنين .

(الصَّبُّ) : فاعله .

(أَنَّ) بفتح الهمزة وتشديد النون : حرف توكيد ونصب .

(الحُبَّ) : اسم **(أَنَّ)** .

(مُنْكَتِمٌ) : خبرها .

وأنَّ واسمها وخبرها في تأويل مصدرٍ سَدَّ مَسَدَّ مفعولي **(يَحْسَبُ)** .

(مَا) : زائدة .

(بَيْنَ) : منصوب على الظرفية المكانية .

(مُنْسَجِمٍ) : مضاف إليه على تقدير موصوف بين المُتَضايفَيْن .

(مِنْهُ) : جار ومجرور متعلق بـ **(مُنْسَجِمٍ)** ، والهاء ضمير **(الصَّبُّ)** .

(وَمُضْطَرِمِ) : معطوف على **(مُنْسَجِمٍ)** .

تفسير الكلمات

(يَحْسَبُ) : يظن .

(الصَّبُّ) : العاشق ، مأخوذ من قولهم : صُبَّ الماء ؛ لأنه إذا اشتد به العشق بكى كثيراً ، فيَنْصَبُّ الدمع من عينيه صباً .

وقال بعضهم : مأخوذ من الصبابة ، وهي رقة العيش وحرارته .

(الحُبّ) : المحبة ، أو صفاء الحال بين المُحِب والمحبوب .

(مُنْكَتِمٌ) : مستتر عن الناس .

(مُنْسَجِمٍ) : المنسجم هاطل منحدر . وهو السائل ، مأخوذ من قولهم : انسجم الماء أي سال .

(مُضْطَرِمٍ) : المضطرم هو المشتعل بنار الحب والعشق ، أي متلبس بهما وملزوم لهما . فهو مأخوذ من قولهم : اضطرمت النار ، أي اشتعلت .

المعنى الكلي

يقول الناظم :

لا يظن العاشق الذي هو بين دمع سائل وقلب مشتعل من نار الحب أنَّ الحب مستتر عن الناس ، فكل منهما من آثار الحب مع كونهما ظاهرين ، والحاصل أنَّ ما استولى وظهرت آثاره لا يتأتى ستره أو إنكاره ، حينئذ فإنكار الحب غلط ، والأولى له عدم الإنكار بعد ما ظهرت شواهد الآثار .

ثم إن المسؤول كأنه قال للسائل المصنف : سلّمنا إنكارك على الصب ظنَّه خفاءَ حبه ، لكني لستُ بصب فما دليلك على ذلك ؟ فقال المصنف السائل :

لَوْلاَ الهَوَىٰ لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلَىٰ طَلَلٍ
وَلاَ أَرِقْتَ لِذِكْرِ البَانِ وَالعَلَمِ

* * * *

٥- لَوْلاَ الهوَىٰ لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلَىٰ طَلَلٍ
وَلاَ أَرِقْتَ لِذِكْرِ البَانِ وَالعَلَمِ

الإعراب الموجز

(لَوْلاَ) : حرف امتناع لوجود ، يدل علىٰ امتناع الشيء لوجود غيره .

(الهوَىٰ) : مبتدأ حُذف خبره ، وتقديره موجود .

(لَمْ تُرِقْ) : جازم ومجزوم .

(دَمْعاً) : مفعول به .

(عَلَىٰ طَلَلٍ) : جار ومجرور متعلق بـ **(تُرِقْ)** .

وجملة **(لَمْ تُرِقْ)** مع معموليها جواب **(لَوْلاَ)** لا محل لها من الإعراب ؛ لأنها جواب شرط غير جازم .

(وَلاَ أَرِقْتَ) : الواو حرف عطف ، و**(لاَ)** زائدة لتأكيد النفي ، والجملة معطوفة علىٰ جواب **(لَوْلاَ)** .

(لِذِكْرِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(أَرِقْتَ)** .

(البَانِ) : مضاف إليه .

(وَالعَلَمِ) : معطوف علىٰ **(البَانِ)** .

تفسير الكلمات

(الهوَىٰ) : مصدر هَوِيَ إذا أحب ، فهو بمعنىٰ الحب .

(لَمْ تُرِقْ) : أي لم تَصُب . يقال : أراق الماء ، أي صَبَّه .

(دَمْعاً) : الدمع ما يسيل من العين .

(طَلَلٍ) : هو ما شَخَصَ وارتفع من آثار الديار ، والجمع أطلال .

(أَرِقْتَ) : سهرتَ .

(البَانِ) : شجر طيب الريح يُتَّخَذُ منه دهنٌ يُعرف بدهن البان .

(العَلَمِ) : يُطلق العَلَمُ علىٰ الجبل والرمح .

المعنى الكلي

يقول الناظم :

لولا محبتك وهواك لَما بكيتَ علىٰ آثار ديار الأحباب ، ولَما ذهب نومك لذكر أشجار البوادي وجبال المنازل .

وهنا شبّه المحبوبَ بهما في طيب الرائحة ، وحسن الهيئة ، وطول القامة .

وإنما أورثه ذكرُهما السهرَ ؛ لأن النوم يكون من الرطوبة الصاعدة من المعدة إلىٰ الدماغ ، وإن المحب تكثر حرارته فتنتفي عنه الرطوبة وتذهب ، فحينئذ لا ينام .

وكذلك فإن الرطوبة تنشأ غالباً عن كثرة الطعام والشراب ، وإن المحب يُلهيه حبه عن أكله وشربه ، فتنتفي رطوبته وتتصاعد حرارته ، لا سيما إذا ذَكَرَ ما عاهد عليه أحبابَه .

وكما هو معلوم بأن المحب لا يبكي إلا إذا غلبه ذِكْرُ الحبيب ، كما أن المريض لا يتمنىٰ إلا لقاء الطبيب .

ولمّا أورد المصنفُ السائلُ علىٰ المخاطَب الحججَ الدالة علىٰ أنه محب حتىٰ لم يَبْقَ له عذر ، أقبل عليه بالخطاب وقال منكراً عليه بصورة الاستفهام :

فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبّاً بَعْدَ مَا شَهِدَتْ

بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٦- فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبّاً بَعْدَ مَا شَهِدَتْ
بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ

الإعراب الموجز

(فَكَيْفَ) : الفاء للإفصاح ؛ لأنها أفصحت عن شيء محذوف ، والتقدير : إذا قامت عليك الأدلة فكيف تنكر ؟

و **(كَيْفَ)** : حال مقدمة متضمنة معنى الاستفهام على وجه الإنكار .

(تُنْكِرُ) : فعل مضارع ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنت .

(حُبّاً) : مفعول به .

(بَعْدَ) : ظرف **(تُنْكِرُ)** منصوب .

(مَا) : موصول حرفي .

(شَهِدَتْ) : فعل ماض ، والتاء تاء التأنيث .

(بِهِ) ، **(عَلَيْكَ)** : جار ومجرور متعلقان بـ **(شَهِدَتْ)** .

(عُدُولُ) : فاعل **(شَهِدَتْ)** ، وهو مضاف .

(الدَّمْعِ) : مضاف إليه .

(وَالسَّقَمِ) : معطوف على **(الدَّمْعِ)** ، والمعطوف على المجرور مجرور .

وجملة **(شَهِدَتْ)** وما بعدها صلة ، والضمير في **(بِهِ)** عائد على **(مَا)** ، والتقدير : بعد الذي شهدت به عليك .

تفسير الكلمات

(فَكَيْفَ) : استفهامية على وجه الإنكار ، ومعناها هنا التعجب .

(تُنْكِرُ) : تجحد ، والجُحْدُ هو النفي بعد العِلْمِ بخلافه قبل العلم .

(حُبّاً) : الحب ضد البغض .

(شَهِدَتْ) : أخبرتْ ودلّتْ .

وفيها استعارة تصريحية تبعية ، حيث شبّه الدلالةَ الواضحة بمعنى الشهادة بجامع الوضوح في كلٍّ .

(عُدُولُ) : جمع عدل ، بمعنى عادل .

(الدَّمْعِ) : الماء السائل من العين .

(وَالسَّقَمِ) : إطالة المرض .

المعنى الكلي

يقول الناظم :

كيف تُنكر أيها المخاطَبُ المحبةَ بعد ما شَهِدَتْ بها عليك عدولٌ من الدموع الهاطلة ، والأسقام المتنوعة ؟ أتنكر العشق الذي ظهرت علاماته ، والهوى الذي بانت بياناته ، بعد أن شَهِدَتْ به عليك لديَّ حكامُ المحبين ، وقضاة العاشقين ؟ وبعد أن ظهر عليك هذا النحول وردّاك بأردية الرّدى ، وجَلْبَبَكَ بجلباب الصَّغار والذبول ؟ هل هذا مقام ينفع فيه الإنكار ، أو يتيسّر فيه الاستتار ؟

ثم عطف عليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله :

وَأَثْبَتَ الوَجْدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وَضَنىً
مِثْلَ البَهَارِ عَلَى خَدَّيْكَ وَالعَنَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٧- وَأَثْبَتَ الوَجْدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وَضَنىً
مِثْلَ البَهَارِ عَلَى خَدَّيْكَ وَالعَنَمِ

الإعراب الموجز

(وَأَثْبَتَ) : الواو حرف عطف ، و **(أَثْبَتَ)** : فعل ماض معطوف على **(شَهِدَتْ)** في البيت الذي قبله .

(الوَجْدُ) : فاعل **(أَثْبَتَ)** .

(خَطَّيْ) : مفعول **(أَثْبَتَ)** ، وحُذفت نونه للإضافة .

(عَبْرَةٍ) : مضاف إليها .

(وَضَنىً) : معطوف على **(خَطَّيْ)** .

(مِثْلَ) : منصوب على أنه نعت **(خَطَّيْ)** و **(ضَنىً)** .

(البَهَارِ) : مضاف إليه .

(عَلَى خَدَّيْكَ) : جار ومجرور في موضع الحال من **(خَطَّيْ)** و **(ضَنىً)** .

(وَالعَنَمِ) بفتح العين والنون : معطوف على **(البَهَارِ)** .

تفسير الكلمات

(الوَجْدُ) : هو الحزن .

(خَطَّيْ) : تثنية خط ، وهو في اصطلاح المتكلمين ما يقبل القسمة طولاً .

(عَبْرَةٍ) : العبرة هي الدمعة ، مأخوذة من العبور : وهو الاجتياز من غير وقوف . وإنما سُمِّيت الدمعة بها لتجاوزها حد الخدود ، وعدم إقامتها كأنها عابر سبيل .

(ضَنىً) : الضعف والهزال من المرض .

(البَهَارِ) : ورد أصفر طيب الرائحة .

(عَلَىٰ خَدَّيْكَ) : على وجنتيك .

(العَنَمِ) : ورد أحمر .

ومراده هنا بتشبيه الخطين من الدموع بالعَنَم في الحمرة بانمزاج الدمع بالدم ، وبتشبيه أثر الضنى بالبهار في الصفرة . فكلامه فيه لفٌّ ونشرٌ مشوش .

المعنى الكلي

يقول الناظم :

يا مَن مقلته دائمة العبرة ، وكبده الحرّاء لا يزول التهابها ، كيف تُنكر المحبة والأشواق ؟ وكيف تُخفي قلبك المشتاق بعد شهادة عدول الدمع والسقم بها عليك ؟ وبعد إثبات الوجد المبرح خطين كالعبرة على خديك ، وذبول جسمك من الضنى ، وذوبانه من التذكار ، وحمرة دمعك مثل العَنَم ، واصفرار لونك مثل البهار ؟

إذاً فلا بد لك من الإقرار كما أقرّ بالهوى عند شهادة هؤلاء العدول بعضُ أهل الأسرار فقال :

شَوْقي إليكُم وَصْفُه لا يُمْكِنُ ... يا مَن لهمْ في رُبْعِ قلبي مَسْكَنُ

لولا الهوى ما ذاب جسمي بالضَّنى ... والدَّمْعُ لولا الوَجْدُ هلاّ يَسْكُنُ

عندي غرامٌ نحوكُمْ وتَشَوُّقٌ ... عن شَرْحِ أَيْسَرِهِ تَكَلُّ الألْسُنُ

ولما كانت هذه الحجج واضحة ، وعلى كل شرف لائحة ، ولم يجد المخاطَب له بُدّاً من الإقرار ، أفصح مُقِرّاً بلسان المقال كما أقرّ بلسان الحال ، فقال :

نَعَمْ سَرَىٰ طَيْفُ مَنْ أَهْوَىٰ فَأَرَّقَنِي ... وَالحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَّاتِ بِالأَلَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٨- نَعَمْ سَرَىٰ طَيْفُ مَنْ أَهْوَىٰ فَأَرَّقَنِي
وَالحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَّاتِ بِالأَلَمِ

الإعراب الموجز

(نَعَمْ) : حرف جواب .

(سَرَىٰ) : فعل ماض .

(طَيْفُ) : فاعل **(سَرَىٰ)** .

(مَنْ) بفتح الميم : اسم موصول في موضع جر بالإضافة .

(أَهْوَىٰ) : فعل مضارع مسندٌ إلىٰ المتكلم ، والجملة صلة **(مَنْ)** ، وعائده محذوف أي أهواه .

(فَأَرَّقَنِي) : معطوف علىٰ **(سَرَىٰ)** ، وفاعله مستتر فيه يعود علىٰ **(طَيْفُ)** .

(والحُبُّ) : مبتدأ .

(يَعْتَرِضُ) : فعل مضارع ، وفاعله مستتر فيه جوازاً يعود علىٰ **(الحُبُّ)** .

(اللَّذَّاتِ) : مفعول به .

(بِالأَلَمِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(يَعْتَرِضُ)** .

تفسير الكلمات

(نَعَمْ) : حرف تصديق .

فكأن المسؤول قال : صدقتَ أيها السائل فيما نسبتَ إليَّ من الحب ، وإنما بكيتُ وسقمتُ من تذكر الجيران الذين كنتُ قد فارقتهم .

(سَرَىٰ) : أي سار إليَّ ليلاً وأنا نائم .

(طَيْفُ) : هو الخيال في النوم .

(مَنْ أَهْوَىٰ) : مَن أُحب ، فالهوىٰ : المحبة والعشق .

(فَأَرَّقَنِي) : فأسهرني .

(الحُبُّ) : المحبة .

(يَعْتَرِضُ) : بمعنىٰ يحول بينه وبين مراده .

(اللَّذَّاتِ) : جمع لذة ، وهي ما يُتَنَعَّمُ به .

(بِالأَلَمِ) : بالوجع .

فإن قلتَ : لِمَ أفرد المصنف الألم وجمع اللذات ؟ قلتُ : إنَّ كل فرد من أفراد اللذة الحاصلة في العشق مَشُوبٌ بجنس الألم ، ويكون فيه إشارة إلىٰ شدة الألم ، وإلىٰ أنه لم تخلُ لذة منه .

المعنى الكلي

إنه لما رأىٰ كتمان الهوىٰ وإخفاء الجوىٰ ، بعد ما أفشىٰ الدمع ما أخفاه ، وأظهر النحول ما طواه ، لم يجد نفعه فاعترف بالمحبة وأقرَّ بالهوىٰ ، فقال : نعم ، ابتليتُ بهذه النِّعَم .

وكأنه سئل عن سبب الأرق الذي اعتراه ، والقلق الذي تغشاه : هل هو مِن طارق الخيال وطيف الحبيب ؟ فقال :

نعم ، سرىٰ طيف من أهواه ، وخيال من أتمنىٰ رؤياه ، بعد ما كنت متمتعاً بالمشاهدة والوصال ، متلذذاً بالمحاورة والاتصال . ولا غرو في هذا الحال ، فإن الحب يعترض اللذات بالألم ، ويشوب النِّعَمَ بالنِّقَمِ .

لهذا قال أحدهم :

فكُنَّا في اجتماعٍ كالثريّا ... فصَيَّرَنا الزمانُ بناتِ نَعْشِ

واعلم أيها القارئ أن سبب الطيف : أنَّ النفس إذا ولعت بشيء حصل في القوة المُخَيِّلَة ، فيصير نصب عينيه ويراه في النوم ، فيحصل له نوع تسلٍّ ، وإن حصل له ألم حيث لم يجد من يهوى ولا خياله .

وفي ذلك قال بعضهم :

وزارني طيفُ مَن أهوى على حذرٍ ... مِنَ الوشاة وداعي الصبحِ قد هتفا

فكدتُ أُوقِظُ مَن حولي به فرحاً ... وكاد يهتك سترَ الحب بي شغفا

ثم انتبهتُ وآمالي تُجَنِّبني ... نيلَ المنى فاستحالتْ غِبطتي أسفا

تنبيه :

إنَّ مَن كرّر تلاوة هذا البيت بعد صلاة العشاء حتى غلبه النوم وكان صادقاً بذلك ، فإنه يرى النبي ﷺ في منامه إن شاء الله تعالى .

وبعد هذا الاعتراف من المسؤول ، استشعر بلائمٍ يلومه في الحب ، حيث البيت السابق تضمن الإقرار بالمحبة ، والغالب أنَّ مَن أقرّ به يُلام ، فخاطب هذا اللائمَ بقوله :

يَا لاَئِمِي فِي الهَوَى العُذْرِيِّ مَعْذِرَةً

مِنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ

٩- يَا لائِمِي فِي الهَوَىٰ العُذرِيِّ مَعـذِرَةً
مِنِّـي إِلَيْـكَ وَلَـوْ أَنصَفْـتَ لَـمْ تَلُـمِ

الإعراب الموجز

(يَا) : حرف نداء .

(لائِمِي) : منادىٰ مضاف إلىٰ ياء المتكلم منصوب بفتحة مقدّرة علىٰ الميم .

(فِي الهَوَىٰ) : جار ومجرور متعلق بـ **(لائِمِي)** .

(العُذْرِيِّ) بالذال المعجمة : صفة **(الهَوَىٰ)** .

(مَعْذِرَةً) : مفعول لفعل محذوف .

(مِنِّي) ، **(إِلَيْكَ)** : جار ومجرور متعلقان بـ **(مَعْذِرَةً)** .

(وَلَوْ) : حرف شرط .

(أَنصَفْتَ) : فعل الشرط .

(لَمْ تَلُمِ) : جواب الشرط .

تفسير الكلمات

(يَا لائِمِي) : اللائم هو العاذل ، أي يا مَن يلومني ويَعْذِلُني .

(فِي الهَوَىٰ) : أي في الوقوع في الحب .

(العُذْرِيِّ) : أي الحب المفرط ، وقد نُسب إلىٰ بني عُـذْرَة وهـي قبيلـة بـاليمن اشتهرت بداء العشق ، فكثير مـن شـبانهم يـؤدي بـهم العشـق إلىٰ الموت ويهلكون بهذا المرض ؛ لصدقهم في الحب ورقة قلوبهم .

(مَعْذِرَةً) : أي أُقَدِّمُ معذرة ، والمعذرة هي ما يدفع بـه الإنسـان عـن نفسـه ممـا عيبَ عليه فعله . ومعنىٰ عَذَرْتُه : أي صفحتُ عنه ومَحَوْتُ إساءته .

(أَنصَفْتَ) : عدلتَ .

(لَمْ تَلُمِ) : أي لكنك لمتَ فلم تُنصف بلومك .

المعنى الكلي

يقول مخاطباً اللائم :

يا مَن يلومني ويعذلني في محبة منسوبة إلىٰ قوم من بني عُذرة ، لو كان لك إنصاف لم يكن منك ملامة . فقد بَلَغَتْكَ حالي ، وتَحَقَّقْتَ لوعتي وغرامي ، وليس سري مكتوماً عن الواشين ، ولا مرضي مقطوعاً . فكان المفروض منك أيها العاذل في الحب أن تعذرني ، وأن تكون عادلاً غير مُتَعَسِّفٍ بلومك . فالحب أمر ضروري ليس باختياري ، وخُلُقٌ جُبِلْتُ عليه ، ولا يلوم عاقلٌ أحداً علىٰ ما لا اختيار له فيه ، ولا يعذل لبيب علىٰ ما لا سبيل إليه .

وهذا قريب من قوله تعالىٰ حكاية عن زليخة حين عُنِّفَتْ بحب يوسف عليه السلام، بعد أن أبدت جماله للعاذلات ، وعرضت حسنه علىٰ اللائمات ، فوقعن في الحيرة والتيه ، قالت : ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [يوسف: ٣٢]

قال ابن الفارض في هذا المجال :

دَعْ عنكَ تعنيفي وذُقْ طعمَ الهوىٰ ... فإذا عشقتَ فبعد ذلك عَنِّفُ

نسأل الله العلي القدير أن يرزقنا التوفيق والسداد ، والتسليم لأهل المحبة والعشق الإلهي .

ثم أخذ المصنف رحمه الله تعالىٰ يستعطف العاذل لعلّه يَرِقُّ له فيقبل عذره ، فقال :

عَدَتْكَ حَالِيَ لاَ سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ
عَنِ الوُشَاةِ وَلاَ دَائِي بِمُنْحَسِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٠- عَدَتْـكَ حَـالِيَ لاَ سِـرِّي بِمُسْـتَتِرٍ
عَـنِ الوُشَـاةِ وَلاَ دَائِـي بِمُنْحَسِـمِ

الإعراب الموجز

(عَدَتْكَ) : فعل ومفعول به مقدم .

(حَالِيَ) : فاعل مؤخر .

(لاَ) : حرف نفي يعمل عمل ليس .

(سِرِّي) : اسم **(لاَ)** مضاف لياء المتكلم .

(بِمُسْتَتِرٍ) : خبر **(لاَ)** في موضع نصب .

(عَنِ الوُشَاةِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(مُسْتَتِرٍ)** .

(وَلاَ) : حرف نفي يعمل عمل ليس .

(دَائِي) : اسم **(لاَ)** .

(بِمُنْحَسِمِ) : جار ومجرور في موضع نصب خبر **(لاَ)** .

تفسير الكلمات

(عَدَتْكَ) : بَلَغَتْكَ وجاوَزَتْكَ حالي ، وقيل : أي لا أراك الله حالي ، وقيل غير ذلك كما قال بعض الشُّرّاح في هذه الكلمة .

(حَالِيَ) : أمري .

(لاَ) : بمعنى ليس .

(سِرِّي) : السر هو الشيء المكتوم والخفي .

(بِمُسْتَتِرٍ) : بمنكتم .

(عَنِ الوُشَاةِ) : الوشاة جمع واشٍ وهو الكاذب النمام ، مأخوذ من الوشي وهو النقش والتزيين .

والمراد به هنا النميمة . وإنما سمي النمام واشياً ؛ لأنه يزين كلامه وينقشه لِيَرُوجَ ويكون محبوباً لدىٰ السامع له .

(دَائِي) : مرضي في الحب .

(بِمُنْحَسِمِ) : أي ليس بمنقطع حتىٰ يُرجىٰ زواله .

المعنى الكلي

يقول المصنف للآئم داعياً له ، مستعطفاً إياه ، طمعاً منه أن يريحه من إعياء الملامة ، وأن يتركه علىٰ ما هو عليه مِن الغرام :

جاوَزَتْكَ وتَعَدَّتْ عنك مصيبتي ، فإنها لا يرتضيها مسلم لعدوه فضلاً عن أن يرتضيها أحد لأحبابه وأصدقائه .

وبعد أن استفسر اللائمُ العاذل عن حالته ، شرحها له بقوله :

يا مَن أطلق لسانه في الملامة لي ، لَعَمْري لا انحسام لدائي ، ولا انقطاع لرجائي ، فلا تسعىٰ في هتك الأسرار ، فإنك لو ابتُليتَ بما ابتُليتُ به من الوجد والقلق والهيام لما أطَلْتَ علىٰ الصبِّ المُتَيَّمِ لسان الملامة .

ولمّا أفصح العاذل أنه إنما أبدىٰ عذلَه في صورة النصح ، وإنَّ أبغض شيء إلىٰ المحب العذلُ علىٰ أي حال كان ، قال له :

مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ
إِنَّ المُحِبَّ عَنِ العُذَّالِ فِي صَمَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١١- مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ

إِنَّ الْمُحِبَّ عَنِ الْعُذَّالِ فِي صَمَمِ

الإعراب الموجز

(مَحَّضْتَنِي) : فعل وفاعل ومفعول به أول .

(النُّصْحَ) : مفعول به ثانٍ .

(لَكِنْ) : حرف ابتداء واستدراك .

(لَسْتُ) : ليس واسمها .

(أَسْمَعُهُ) : فعل وفاعل ومفعول به ، والجملة في محل نصب خبر ليس .

(إِنَّ الْمُحِبَّ) : إن واسمها .

(عَنِ الْعُذَّالِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(صَمَمِ)** ، حيث يتقدم عليه معمول المصدر في غير الظروف والمجرورات على الأصح .

(فِي صَمَمِ) : جار ومجرور خبر **(إِنَّ)** .

تفسير الكلمات

(مَحَّضْتَنِي): مأخوذ من المحض وهو الخالص، أي أخلصتَ لي .

(النُّصْحَ) : هو ضد الغش .

والنصح والنصيحة بمعنى واحد ، وهو الدلالة على ما فيه الصلاح .

(لَكِنْ) : استدراكية تعني دَفْعَ تَوَهُّمٍ تَوَلَّدَ مِن كلامٍ سابق .

(لَسْتُ أَسْمَعُهُ) : أي لست أسمعه منك ، بمعنى لا أقبله .

(إِنَّ الْمُحِبَّ) : هنا أبدى عذره في عدم قبوله السماع ، أي لأن المحب المخلص في محبته .

(عَنِ الْعُذَّالِ) : هنا تقدير مضاف ، أي نُصْحهم . والعذال جمع عاذل ، وهو اللائم في الحب .

(فِي صَمَمٍ) : أي في صمَمٍ عن سماع كلامهم .

قـال رسـول الله ﷺ : «حبُّـكَ الشـيء يعمـي ويصـم»[1] ، أي يُعميك عن رؤية عيوبه ، ويصمك عن سماعها .

والصمم هـو ضعـف في قـوة السـمع . قـال أهـل اللغـة : يقـال لضعف السمع : في أذنه وَقْرٌ ، فإن زاد فهو صَمَمٌ ، فإن زاد فـهو طَرَشٌ ، فإن زاد حتى لا يَسمع الرعدَ القوي فهو صَنَجٌ .

وعبّر المصنف عن الصمم مبالغة في عدم القبول .

المعنى الكلي

يقول في هذا البيت :

لقد أخلصتَ النصيحة ونزّهتها عن التهمة والريبة ، ولكني لم أسمعـها مـع علمي بكونها نصيحة خالصة ، وموعظة صالحـة ؛ لأنـي محـب وعـادة المحب الصـادق العاشـق المتيـم أن لا يسـمع نصـح النـاصحين ، ولا عـذل العـاذلين ، ولا لوم اللائمين ، بل هذا كله عنده كالعدم ؛ لأنه في هذه الحالة أعمى وأصم .

ولما اعترف له على طريـق التسـليم الجـدلي بأنـه مَحْضُ النُّصْـحِ ولم يرجـع عن اللوم ، اتهمه في عذله فكأنه يسأله : كيف تتهمني في العذل ؟ فأجابه المصنف :

إِنِّـي اتَّـهَمْتُ نَصِيـحَ الشَّـيْبِ فِـي عَـذَلٍ

وَالشَّـيْبُ أَبْعَـدُ فِـي نُصْـحٍ عَـنِ التُّـهَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) رواه أبـو داود والعسـكري عـن أبـي الـدرداء مرفوعـاً وموقوفـاً ، ورواه أحمـد عن ابن أبي مريم .

١٢- إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَـذَلٍ

وَالشَّـيْبُ أَبْعَـدُ فِـي نُصْـحٍ عَـنِ التُّـهَمِ

الإعراب الموجز

(إِنِّي) : إنَّ واسمها .

(اتَّهَمْتُ) : فعل وفاعل ، والجملة خبر **(إنَّ)** .

(نَصِيحَ) : مفعول به لـ **(اتَّهَمْتُ)** .

(الشَّيْبِ) : مضاف إليه .

(فِي عَذَلٍ) : اسم مصدر متعلق بـ **(اتَّهَمْتُ)** .

(وَالشَّيْبُ) : مبتدأ .

(أَبْعَدُ) : خبر .

(فِي نُصْحٍ) : جار ومجرور .

(عَنِ التُّهَمِ) : جار ومجرور ، والجملة حال مرتبطة بـالواو ، أي أن الشـيب أبعد عن التهم في النصح .

تفسير الكلمات

(اتَّهَمْتُ): من التهمة ، وهي ظن ما فيه ريبة غير مطابقة للواقع .

(نَصِيحَ) : بمعنى ناصح .

(الشَّيْبِ) : هو بياض الشعر .

(فِي عَذَلٍ) : في ملامة .

(أَبْعَدُ) : اسم تفضيل كأفعل .

(فِي نُصْحٍ) : أي أبعد النصحاء .

(عَنِ التُّهَمِ) : جمع تهمة ، أي عن مواقع التهم .

المعنى الكلي

يقول المسؤول :

إني اتهمتُ كل ناصح حتى اتهمت الشيب في نصحه لي ، علماً أن الشيب أبعد النصحاء عن مواقع التهم .

ويصح أن نقول كذلك في المعنى :

إن عدم قولك لنصحك : (أيها الناصح) مع أنك قد أتيتَ بمحض النصيحة ليس ذلك ببعيد ، وليس ذلك بأول نصيحة خالفتُ فيها الناصحَ الشفوق ، ولا أول موعظة أصررتُ فيها على ما أنا عليه . فإني اتهمتُ ناصح الشيب الذي ليس في نصحه شك ولا ريب ، مع أنَّ الشيب الناصح ، والبياض الفاضح ، أبعد في النصح عن التهمة من كل ناصح .

ولما كان قوله : **(إنّي اتّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ)** يستلزم أنه لم يأخذ بقول ناصحه ، أخذ يُبَيِّنُ علة ما أجمله في ذلك فقال :

فَإِنَّ أَمَّارَتي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظَتْ
مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالهَرَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٣- فَإِنَّ أَمَّارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظَتْ

مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالهَرَمِ

الإعراب الموجز

(فَإِنَّ) : الفاء تعليلية ، و**(إِنَّ)** حرف توكيد ونصب .

(أَمَّارَتِي) : اسمها .

(بِالسُّوءِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(أَمَّارَتِي)** .

(مَا) : حرف نفي .

(اتَّعَظَتْ) : فعل ماض ، وفاعله ضمير مستتر فيه يعود لـ **(أَمَّارَتِي)** ، والجملة خبر **(إِنَّ)** .

(مِنْ جَهْلِهَا) : جار ومجرور متعلق بـ **(اتَّعَظَتْ)** على أنه علة له .

(بِنَذِيرِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(اتَّعَظَتْ)** ، وهو مضاف .

(الشَّيْبِ) : مضاف إليه .

(وَالهَرَمِ) : معطوف على **(الشَّيْبِ)** .

تفسير الكلمات

(أَمَّارَتِي) : أي نفسي الأمّارة .

(بِالسُّوءِ) : هو الأمر الضار أو الفاحش ، فهو اسم جامع للقبائح .

(مَا اتَّعَظَتْ) : أي ما قبلت الوعظ والنصح .

(مِنْ جَهْلِهَا) : أي من أجل جهلها ، فهو تعليل لقوله **(مَا اتَّعَظَتْ)** .

(بِنَذِيرِ) : أي بمنذر الشيء . والإنذار هو التخويف ، أي بتخويف الشيء .

(وَالهَرَمِ) : هو كِبَرُ السن وضَعْفُ القِوىٰ .

المعنى الكلي

إنَّ النفس الأمّارة التي هي في المرء غدّارة ، مِن شدة جهلها وفرط عُتُوِّها لم تتعظ بمواعظ الشيب ، ولم تنزجر بنذير الهرم عن العيب ، حيث الشيب نذير الموت ، والهرم دليل الفَوْت .

وقريب من ذلك قول الشاعر :

وقائلةً هلاَّ انتهيتَ عن الهوىٰ فقد لاح صبحٌ في دُجاك عجيبُ

فقلتُ دعي عني الملامة ولوعتي فإن الكرىٰ عند الصباح يطيب

ثم قال المصنف رحمه الله تعالىٰ :

وَلاَ أَعَدَّتْ مِنَ الفِعْلِ الجَمِيلِ قِرَىٰ

ضَيْفٍ أَلَمَّ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٤- وَلاَ أَعَدَّتْ مِنَ الفِعْلِ الجَمِيلِ قِـرَىٰ

ضَيْـفٍ أَلَـمَّ بِـرَأْسِـي غَـيْرَ مُحْتَشِـمِ

الإعراب الموجز

(وَلاَ أَعَدَّتْ) : معطوف علىٰ **(اتَّعَظَتْ)** في البيت السابق .

(مِنَ الفِعْلِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(أَعَدَّتْ)** .

(الجَمِيلِ) : نعت **(الفِعْلِ)** .

(قِرَىٰ) : بكسر القاف وفتح الراء وبغير تنوين : مضاف منصوب علىٰ المفعولية بـ **(أَعَدَّتْ)** .

(ضَيْفٍ) : مجرور بإضافة **(قِرَىٰ)** إليه .

(أَلَمَّ) : فعل ماض ، وفاعله مستتر فيه جوازاً . والجملة نعت **(ضَيْفٍ)** .

(بِرَأْسِي) : جار ومجرور متعلق بـ **(أَلَمَّ)** .

(غَيْرَ) : منصوب علىٰ الحال من فاعل **(أَلَمَّ)** المستتر فيه ، وهي مضاف .

(مُحْتَشِمِ) : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(وَلاَ أَعَدَّتْ) : أي لم تُهَيِّئ .

(مِنَ الفِعْلِ) : من العمل .

(الجَمِيلِ) : هو المستحسن شرعاً أو عقلاً .

(قِرَىٰ) : مصدره قريتُ الضيف ، بمعنىٰ أحسنتُ إليه .

(ضَيْفٍ) : زائر كريم .

(أَلَمَّ) : حَلَّ ونزل .

(غَيْرَ مُحْتَشِمِ) : غير مُسْتَحٍ .

المعنى الكلي

إنَّ النفس الأمارة ما اتعظت من جهلها ، ولا هيّأت مِنَ الفعل الحسن ضيافةً لضيف نزل برأسي غير مستحٍ ولا منقبض ، حيث من آداب الضيف ألا يُكثر الإقامة عند مَن استضافه ، فإن فعل كان غير محتشمٍ .

ولمّا كان الشيب نذيراً بانقضاء العمر ، صار بلسان حاله طالباً للمبادرة بالأعمال الصالحة التي هي زاد الآخرة ، كما يطلب الضيف قِراه تصريحاً أو حُكْماً . فعلى العاقل أن يستعد بالأعمال الصالحة لضيافة ضيف الشيب الذي إذا نزل لا يرتحل إلا بالموت ؛ لأنه إن أخّر الاستعداد إلى حين نزوله فإنه لن يتمكّن من ذلك ؛ لسرعة الرحيل وضيق الوقت .

وإنَّ سبب تشبيه الشيب بالضيف هو أن الإنسان كان قبل نزول الضيف بشعر أسود ، فلما تبدّلت صفته كان كالضيف الأجنبي .

ولما بيّن أن نصيح الشيب لا ينبغي أن يُهْمَلَ نصحه ، واعتذر عن عدم قبوله بالنفس الأمّارة ، وبيّن أنه كان يرتقب حلوله ، فلما لم يتمّ له معناه ، ولم يطابق فعله بعد ظهوره ما نواه لغلبة النفس الأمارة ، ورأى من سوء العتاب وتقبيح الحال من الناس ما لم يكن رآه ، ولم يكن قبله ندم على أن لا يكون كتمه عند ظهوره وأخفاه ، قال :

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنّي مَا أُوَقِّرُهُ
كَتَمْتُ سِرّاً بَدَا لِي مِنْهُ بِالكَتَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٥- لَـوْ كُنْـتُ أَعْلَـمُ أَنّـي مَـا أُوَقّـرُهُ
كَتَمْـتُ سِـرّاً بَـدَا لِـي مِنْـهُ بِـالكَتَمِ

الإعراب الموجز

(لَوْ) : حرف شرط .

(كُنْتُ) : فعل ماض ناقص ترفع الاسم وتنصب الخبر ، والتاء اسمها .

(أَعْلَمُ) : خبرها .

(أَنّي) بفتح الهمزة : حرف توكيد ونصب ، والياء اسمها .

(مَا) : نافية .

(أُوَقّرُهُ) : فعل وفاعل ومفعول به ، والهاء ضمير يعود على **(الشَّيْبِ)** .

والجملة خبر **(أَنَّ)** ، و **(أَنَّ)** ومعمولاها سدَّت مَسَدَّ معمولَيْ **(أَعْلَمُ)** .

(كَتَمْتُ) بضم التاء : فعل وفاعل جواب **(لَوْ)** .

(سِرّاً) : مفعول **(كَتَمْتُ)** .

(بَدَا) : فعل ماض ، وفاعله ضمير مستتر يعود على **(سِرّاً)** ، والجملة نعته .

(لِـي) ، **(مِنْـهُ)** : جـار ومجـرور متعلقـان بـ **(بَـدَا)** ، والهـاء مـن **(مِنْهُ)** تعود على **(سِرّاً)** .

(بِالكَتَمِ) بفتح الكاف والتاء : متعلق بـ **(كَتَمْتُ)** .

تفسير الكلمات

(لَوْ كُنتُ أَعْلَمُ) : أي أعرف وأتيقّن قبل نزول الشيء .

(أَنّي مَا أُوَقّرُهُ) : أي بعد نزوله بي لو كنتُ أعلم أني ما أعظمه وأحترمه ، وأترك فعل القبيح استحياءً منه كما نويتُ قبل نزوله .

(كَتَمْتُ) : أخفيتُ .

(سِرّاً) : المراد بالسر هنا الشيء الذي يظهر أولاً ، وإنما سُمِّيَ سراً لأنه قبل ظهوره يكون خفياً .

(بَدَا لِي) : ظهر لي .

(مِنْهُ) : أي من الشيب .

(بِالكَتَمِ) : هو نبت كالحناء يَخْضِبُ به الرجال لحاهم ، والنساء رؤوسهن وأيديهن .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالىٰ :

لو كنتُ أعلم أني ما أُراعي حق الشيب وأُخالف مقتضاه ، لكنتُ التجأتُ إلىٰ الاستنان بسنة الخضاب ؛ لئلا أكون مُسْتحقاً لمزيد الطعن ، ووفور العتاب .

ثم أراد المصنف رحمه الله تعالىٰ استرجاع ما فات ، فاستفهم عمّن يتكفّل له برد جماح نفسه التي تأمر بالسوء بالمواعظ السَّنِية والأسرار الربانية ، فقال :

مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا

كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الخَيْلِ بِاللُّجُمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٦- مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا
كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الخَيْلِ بِاللُّجُمِ

الإعراب الموجز

(مَنْ) : اسم استفهام مبتدأ .

(لِي) : خبره .

(بِرَدِّ) : جار ومجرور متعلق بما تعلق به المجرور قبله .

(جِمَاحٍ) : مضاف إليه .

(مِنْ غَوَايَتِهَا) بفتح الغين : جار ومجرور متعلق بـ**(رَدِّ)** .

(كَمَا) : الكاف حرف جر ، و**(مَا)** مصدرية بمعنىٰ مثل .

(يُرَدُّ) : فعل مضارع مبني لما لم يُسَمَّ فاعله .

(جِمَاحُ) : نائب فاعل ، وهي مضاف .

(الخَيْلِ) : مضاف إليه .

(بِاللُّجُمِ) بضم اللام والجيم : متعلق بـ**(يُرَدُّ)** .

تفسير الكلمات

(مَنْ لِي) : أي مَن يتكفّل لي .

(بِرَدِّ) : الرد هو الإرجاع . قال تعالىٰ : ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾ [القَصَص: ١٣] ، أي أرجعناه .

(جِمَاحٍ) : الجماح هو إباء الدابة من صاحبها عن أن تُمَكِّنَه من الركوب .

(مِنْ غَوَايَتِهَا) : الغواية هي الضلالة ، أي مِن ضلالتها .

(كما يُرَدُّ) : الكاف بمعنىٰ مثل ، أي رداً مثل رد الدابة الجامحة .

(جِمَاحُ الخَيْلِ بِاللُّجُمِ) : الخيل اسم جمع واحده فرس ، واللُّجم جمع لجام ، وهو الحديدة المعترضة في فم الفرس . والجملة كناية عن القوة والعنف .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

مَن يتكفل لي بأن يَرُدَّ النفس الغاوية عن طريق الضلالة ، الآبية عن طريق الهداية والاعتدال ، كما تُرَدُّ الخيول الجامحة باللُّجُم ؟

وفي معنى الاستفهام بـ (مَنْ) إشارة إلى أنَّ ردَّ النفس عن طريق الارتياب إلى طريق الصواب خارج عن طوق البشر ، وما هو إلا مِن فعال مَن بيده مقاليد السماوات والأرض . فإذا لم يُعن الله تبارك وتعالى العبد على نفسه فإنه لا يستطيع كبح جماحها .

وهذا نوع من الاعتذار ، وإظهار العجز والافتقار إلى الله ﷻ .

وفي الحقيقة فإن المصنف عندما يذكر هذا النوع من التعبير ، فإنما يتبين لدينا بأنه عالم رباني يعرف النفوس وأمراضها ، وطرق علاجها .

ثم إنه لما استفهم استفهام استعطاف عمَّن يتكفَّل برد جماح نفسه رداً عنيفاً ، استشعر شخصاً قال له : لا حاجة لردها ؛ لأنك إذا أعطيتها ما تتمنى من المعاصي انكسرت شهوتها . فرد عليه ذلك بمقولة العارف المربي :

فَلاَ تَرُمْ بِالمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا

إنَّ الطَّعَامَ يُقَوِّي شَهْوَةَ النَّهِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٧- فَلاَ تَرُمْ بِالْمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا

إنَّ الطَّعَامَ يُقَوِّي شَهْوَةَ النَّهِمِ

الإعراب الموجز

(فَلاَ) : حرف نهي .

(تَرُمْ) بضم الراء : مجزوم بـ **(لاَ)** الناهية .

(بِالْمَعَاصِي) : جار ومجرور متعلق بـ **(تَرُمْ)** .

(كَسْرَ) : مفعول به لـ **(تَرُمْ)** .

(شَهْوَتِهَا) : مضاف إليه .

(إنَّ الطَّعَامَ) : إنَّ واسمها .

(يُقَوِّي) بضم الياء وفتح القاف وتشديد الواو : فعل مضارع ، وفاعله ضمير مستتر فيه يعود على **(الطَّعَامَ)** . والجملة خبر **(إنَّ)** .

(شَهْوَةَ) : مفعول به .

(النَّهِمِ) بفتح النون وكسر الهاء : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(فَلاَ تَرُمْ بِالْمَعَاصِي) : أي لا ترجُ ولا تتوقع بتمكينها ممّا تتمناه من المعاصي ، وهي جمع معصية التي هي ضد الطاعة .

(كَسْرَ) : بمعنى دَفْعَ .

(شَهْوَتِهَا) : أي ما تشتهيه النفس ؛ لأنها إذا أَلِفَت المعاصي قَوِيَتْ شهوتها .

(إِنَّ الطَّعَامَ يُقَوِّي) : أي يزيد .

(شَهْوَةَ النَّهِمِ) : النَّهِم هو شديد الشهوة إلى الطعام . فتمكينه منه يزيد في شهوته إليه بخلاف ما إذا رُفِع من بين يديه ، فعندئذ لا يجد ما يشتغل به فييأس منه . وكذلك النفس فإذا أحيل بينها وبين المعاصي ، فإنها تيأس منها وتعود إلى الطاعة .

المعنى الكلي

يقول المصنف :

يا من زُيِّنَ له حب هذه الشهوات من النساء والبنين... إلى غير ذلك ، لا تطلب كسر هذه الشهوة بمعصية رب العالمين ﷻ ، إذ أنه من المقرر والمعلوم لكل عاقل وذي لب أن تناول الأطعمة اللذيذة تقوي شهوة النهم الحريص على الطعام ، ولو مُنِعَتْ من ذلك لامتنعت .

وقد مَثَّلَ ذلك رحمه الله تعالى بقوله :

وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى
حُبِّ الرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٨- وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَىٰ

حُـبِّ الرَّضَـاعِ وَإِنْ تَفْطِمْـهُ يَنْفَطِـمِ

الإعراب الموجز

(وَالنَّفْسُ) : مبتدأ .

(كَالطِّفْلِ) : جار ومجرور خبر المبتدأ .

(إِنْ تُهْمِلْهُ) : شرط .

(شَبَّ) : جواب الشرط .

(عَلَىٰ حُبِّ) : جار ومجرور متعلق بـ **(شَبَّ)** .

(الرَّضَاعِ) : مضاف إليه .

(وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ) : شرط وجوابه .

تفسير الكلمات

(النَّفْسُ) : هي الروح أو الجسد كله كما عبّر عن ذلك بعضهم .

وقال أحدهم : هي لطيفة ربانية ، وهي الروح قبل تعلقها بالأجساد . فقد خلق الله تبارك وتعالىٰ الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فكانت في جوار الله وقربه ، فاستفاضت من حضرته بلا واسطة . ولمّا أمرها الحق تبارك وتعالىٰ أن تتعلق بالأجساد عرفت الغير ؛ ولذلك حُجبت عن الحضرة الإلهية بسبب بعدها عنه تبارك وتعالىٰ ؛ ولهذا فقد احتاجت إلىٰ مُذكِّر ، قال تعالىٰ : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] .

إذاً فهي قبل تعلقها بالجسد تسمىٰ روحاً ، وبعد تعلقها به تسمىٰ نفساً ، فالاختلاف بينهما اعتباري .

(كَالطِّفْلِ) : كالمولود ذكراً كان أم أنثىٰ .
(إِنْ تُهْمِلْهُ) : إن تتركه .
(شَبَّ) : بمعنىٰ كَبُرَ .
(عَلَىٰ حُبِّ الرَّضَاعِ) : لأنه قد أَلِفَه .
(وَإِنْ تَفْطِمْهُ) : أي عن الرضاع .
(يَنْفَطِمِ) : أي لم يصر طالباً له علىٰ أي وجه من الوجوه ، وقد كان قبل ذلك يبكي ولا يسكت حتىٰ يرضع ، ولما فُطم يئس منه . كذلك النفس فإنها تنفطم عن مؤلوفها برادع قوي ، أو بلطف إلهي خفي .

المعنى الكلي

شُبِّهَتْ هنا النفس التي تعوّدت علىٰ شيء ثم انفطمت عنه بالطفل الصغير ، فلا ينبغي إهماله بما يشتهيه كل الإهمال .

فالطفل إنْ أُهمل شَبَّ علىٰ حب الرضاع ، واشتد للتلذاذ بألوان الأطعمة وضاع . وإن فُصل عن الرضاع رضي بالانفصال ، وبلغ بالتدريج مبلغ الكمال . كذلك النفس إن صرفها صاحبها عن المؤلوفات الطبيعية واللذات الكاذبة الوهمية إلىٰ إدراك الحقائق وذوق اللذات الروحانية تفوز بالسعادات ، وإن تُركت وما تشتهي وصلت بالمرء إلىٰ ما لا يُحمد عقباه ، ودامت حسرتها ، وكانت عاقبتها غير حسنة .

ولمّا شبّه المصنف النفس بالطفل ، وكان الطفل كما هو معلوم لا يؤمر ولا يُنهىٰ لأنه لا يفهم ذلك ، وإن فَهِمَه فلا يمتثله . فهو مع

شهوته لا يستطيع أن يصرف الهوىٰ عن نفسه ، وإنما الشأن في إزاحته عنه أنْ لا يُمَكَّنَ منه . فأمر المصنف هنا بصرف الهوىٰ عن النفس حتىٰ لا تجده فتتعلّق به ، فقال رحمه الله تعالىٰ :

فَاصْرِفَ هَوَاهَا وَحَاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَهُ
إِنَّ الهَوَىٰ مَا تَوَلَّىٰ يُصْمِ أَوْ يَصِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٩- فَـاصْرِفْ هَوَاهَـا وَحَـاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَـهُ

إِنَّ الهَـوَىٰ مَـا تَوَلَّـىٰ يُصْـمِ أَوْ يَصِـمِ

الإعراب الموجز

(فَاصْرِفْ) : فعل أمر ، وفاعله ضمير مستتر .

(هَوَاهَا) : مفعول به .

(وَحَاذِرْ) : فعل أمر .

(أَنْ) بفتح الهمزة وسكون النون : حرف مصدري ونصب .

(تُوَلِّيَهُ) : فعل مضارع منصوب بـ**(أَنْ)** .

(إِنَّ) بكسر الهمزة وتشديد النون : حرف توكيد ونصب .

(الهَوَىٰ) : اسمها .

(مَا) : اسم شرط بمعنىٰ إنْ .

(تَوَلَّىٰ) : فعل ماض في موضع جزم بـ**(مَا)** .

(يُصْمِ أَوْ يَصِمِ) : جواب الشرط .

تفسير الكلمات

(فَـاصْرِفْ هَوَاهَـا) : أي أمسك عنان النفس واصرف هواها عمّا هي عليه من طلب اللّذات .

وهواها أي رغباتها ، قال تعالىٰ في كتابه العزيز : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الجاثية : ٢٣] .

قال الشعبي : إنما سُمِّيَ هوىً ؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار .

وفي الجملة الهوىٰ أصل كل بلية ، والخلاص منه عسر جداً إلا بتوفيق من الله تعالىٰ .

(**وَحَاذِرْ**) : بمعنىٰ احذر .

(**أَنْ تُوَلِّيَهُ**) : أي أن تجعله مُسَيِّرك كما تريد ، وتُؤَمِّرَهُ عليك .

(**إِنَّ الهَوَىٰ**) : أي هوىٰ النفس .

(**مَا تَوَلَّىٰ**) : أي ما صار والياً علىٰ المرء .

(**يُصْمِ**) بضم الياء وسكون الصاد : بمعنىٰ يقتل .

(**أَوْ يَصِمِ**) بفتح الياء وكسر الصاد : بمعنىٰ يعيب .

وفي قول المصنف هنا استعارة بالكناية ، فقد شبّه النفس بطالب الإمارة ، وأغفله وأثبت من لوازمه الأمر بصرفه عن التولية ؛ لأنه جائر وظالم ، وهو إن تولّىٰ قتل أو عاب .

المعنى الكلي

يقول المصنف :

أيها المحترق بنار الهوىٰ ، والمبتلىٰ بمقاساة شدائد البُعد والنّوىٰ ، اصرف هوىٰ النفس ؛ لأن اتباعها سبب في الضلال والبعد عن الحضرة الإلهية .

قال الله تعالىٰ : ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [صٓ: ٢٦] .

ولما كان ظاهر كلامه أن النفس تُصْرَفُ عن كل ما تهواه حتىٰ عن العبادة إنْ هَوِيَتْها ، شرح ذلك بقوله :

وَرَاعِهَا وَهْيَ فِي الأَعْمَالِ سَائِمَةٌ

وَإِنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ المَرْعَىٰ فَلاَ تُسِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٢٠- وَرَاعِـهَا وَهـيَ فِـي الأَعْـمَالِ سَـائِمَةٌ

وَإِنْ هِـيَ اسْـتَحْلَتِ المَرْعَـى فَـلاَ تُسِـمِ

الإعراب الموجز

(وَرَاعِـهَا) : فعـل أمـر وفـاعل ومفعـول بـه ، والجملـة معطوفـة علـى **(فَاصْرِفْ)** .

(وَهِيَ) : مبتدأ .

(فِي الأَعْمَالِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(سَائِمَةٌ)** .

(سَائِمَةٌ) : خبر المبتدأ ، والجملة حالية مرتبطة بالواو والضمير.

(وَإِنْ) : حرف شرط .

(هِيَ) : فـاعل لفعـل محـذوف تُفسـره **(اسْـتَحْلَتِ)** ، وقـال الكوفيـون والأخفش : مبتدأ .

(اسْتَحْلَتِ المَرْعَى) : فعل وفاعل ومفعول به ، والجملة خبر **(هِيَ)** .

(فَلاَ) : حرف نهي .

(تُسِمِ) : بضـم التـاء وكسـر السـين والميـم : مجـزوم بـلا الناهيـة وكُسِـرَ للقافية ، ومفعوله محذوف .

والجملة جواب الشرط ، وقُرِنَت بالفاء لأنها طلبية .

تفسير الكلمات

(وَرَاعِهَا) : بمعنى لاحظها .

(وَهيَ فِي الأَعْمَالِ) : أي في الأعمال الصالحة كالعبادات .

(سَائِمَةٌ) : راعية .

(وَإِنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ المَرْعَى) : أي وجدتـه حلـواً فانـهمكت فيـه وهمّــت

بالعكوف عليه ، والمرعى هو الكلأ .

ولما كان للنفس حظ بأفعال بعض العبادات ، كان من المحتمل أن يلحقها الرياء حين يُمدح الإنسان من أجل فعلها ، ويهواها من أجل ذلك . وإنَّ هذا القصد قد يخفى على صاحبها وعلى بعض الناس ، فنبّه المصنف على ذلك بقوله : **(وإنْ هِيَ اسْتَحْلَتِ المَرْعَى)** .

(فَلاَ تُسِمِ) : أي فلا تخرجها إلى ذلك المرعى حتى تتفقد دسائسها ، حيث النفس البشرية لا تهوى الطاعة إلا مَن رحم الله ﷻ ، فإذا استحلتها ومالت إليها احتُمِلَ أن يكون ذلك بغرض لها في ذلك ، فيعود هواها كالمكروه والمأمور بصرفه عنها ، عند ذلك تنقلب الطاعة إلى معصية .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى:

راعِ النفس في إشغالها بالأعمال عما هو مفسد ومنتقص للكمال من الرياء ، والعُجْب ، والضلال . وإن اعْتَبَرَتِ النفسُ بعض الطاعات حلواً واعتادته وأَلِفَته ، فاجتهد في أن تقطع نفسك عنها ، واشتغل بما هو أشق عليها ؛ لأن اعتبار العبادة إنما هو بامتيازها عن العادة .

ثم استشهد المصنف على هذا المعنى بقوله :

كَمْ حَسَّنَتْ لَـذَّةً لِلْمَـرْءِ قَاتِلَـةً
مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٢١- كَـمْ حَسَّـنَتْ لَـذَّةً لِلْمَــرْءِ قَاتِلَـةً

مِنْ حَيْـثُ لَـمْ يَـدْرِ أَنَّ السُّـمَّ فِـي الدَّسَـمِ

الإعراب الموجز

(كَمْ) : خبرية تعني كثيراً ، محلها نصب على المصدرية ، أي كم تحسين .

(حَسَّنَتْ) بتشديد السين : فعل ماض ، وفاعله مستتر فيه يعود على النفس .

(لَذَّةً) : مفعول به لـ**(حَسَّنَتْ)** منصوب بالفتحة .

(لِلْمَرْءِ) : جار ومجرور متعلق بـ**(حَسَّنَتْ)** .

(قَاتِلَةً) : صفة **(لَذَّةً)** .

(مِنْ حَيْثَ) : جار ومجرور متعلق بـ**(قَاتِلَةً)** .

(لَمْ يَدْرِ) : جازم ومجزوم .

(أَنَّ) بفتح الهمزة وتشديد النون : حرف توكيد ونصب .

(السُّمَّ) : اسمها .

(فِي الدَّسَمِ) : جار ومجرور خبر **(أَنَّ)** .

و**(أَنَّ)** واسمها وخبرها مفعول **(يَدْرِ)** .

و**(يَدْرِ)** ومعموله في موضع خفضٍ بإضافة **(حَيْثُ)** إليه .

تفسير الكلمات

(كَمْ حَسَّنَتْ) : أي كثيراً ما زيّنت النفس .

(لَذَّةً) : تطلق على المُتَلَذَّذُ به ، وهي إدراك الملائم للنفس .

(لِلْمَرْءِ) : للشخص رجلاً كان أو امرأة .

(قَاتِلَةً) : أي له .

(لَمْ يَدْرِ) : لم يعلم .

(أَنَّ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ) : السم هو الشيء القاتل ، والدسم هو الدهن .

أي أن الشيء القاتل دُسَّ له في الدسم ، فأكله ولم يتعقل باطنه مما دُسَّ فيه .

وخصّ المصنف الدسم لأنه يعلو الأشياء فيستر ما تحته ، ومثله العبادة التي تستر ما بطن من النية الخبيثة .

ولها تفسير آخر وهو أن الدسم لسهولة امتزاج السم به يخفىٰ علىٰ الكثير إلا علىٰ المتفقد اللبيب ، ومثله خفاء النيات في العبادات .

المعنى الكلي

إن النفس تزين للمرء كثيراً من المرات لذة من اللذات قاتلة له كالسم المدسوس في الدسم ، لا سيما إذا كان المرء من أهل المحبة والوداد ، فهلاكه في لذة الطعم ، وطيب الرقاد ، والخمول ، والكسل عن الطاعة . فيقول المصنف هنا :

أيها العاقل ، أمسك عنان النفس واصرف هواها عما هي عليه من طلب اللذات والانهماك في الشهوات ، وجاهد في الحذر عن سلطان الهوىٰ وولايته ، فإن الهوىٰ إذا استولىٰ علىٰ المرء فإنه يقتله أو يعيبه .

ثم قال المصنف الناظم رحمه الله تعالىٰ :

وَاخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبَعٍ

فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٢٢- وَاخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبَعٍ
فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ

الإعراب الموجز

(وَاخْشَ الدَّسَائِسَ) : فعل وفاعل ومفعول به .
(مِنْ جُوعٍ) : جار ومجرور .
(وَمِنْ شِبَعٍ) : جار ومجرور في موضع الحال من **(الدَّسَائِسَ)** .
(فَرُبَّ) : حرف جر .
(مَخْمَصَةٍ) : مجرور بـ**(رُبَّ)** في موضع رفع على الابتداء .
(شَرٌّ) : خبر المبتدأ .
(مِنَ التُّخَمِ) : جار ومجرور متعلق بـ**(شَرٌّ)** .

تفسير الكلمات

(وَاخْشَ) : الخشية هي الخوف ، قال تعالى : ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾ [الأعلى: ١٠].
(الدَّسَائِسَ) : جمع دسيسة ، وهي المكائد الخفية والمكر الخفي .
(مِنْ جُوعٍ) : الجوع خلاء البطن من الطعام ، ويتولد عنه أشياء منها : سوء الخلق ، والحدة ، والنحول ، والذبول ، وحدوث الملل والكلل ، وثوران الخيالات الفاسدة ، ... وأشياء كثيرة .
(وَمِنْ شِبَعٍ): الشبع هو امتلاء المعدة كثيراً ، ويتولد عنه : القوة ، والغفلة ، والكسل عن العبادة ، والخمول في الجسم ، وغلبة الشهوة ، وإظلام القلب ، وإطفاء نور اليقين ، ... وأمور أخرى .
(فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ) : فرُبَّ مجاعة .
(شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ) : جمع تُخْمَة ، وهي فساد المعدة بالطعام .

وإنما كانت المخمصة شراً من التخم ؛ لأن أذيّة الشبع غايتها التقاعد والتكاسل عن الطاعات ، وهذا نوع من العصيان . وأذية الجوع قد تؤدي إلى الكفر والتعرض إلى الأمور الإلهية خصوصاً لمن لم تكن نفسه مطمئنة ، ولم تألف الرياضات ، ولم تعتد المجاهدات .

لهذا قال النبي ﷺ : « كاد الفقر أن يكون كفراً »(1) .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

خف أيها المستمع من المكائد والدسائس التي تخفيها النفس في الجوع وفي الشبع والتي مرّت آنفاً ، فهذه كلها تشوش على العبادة .

فعلى الإنسان الموفق العاقل أن يراعي ذلك ، وينظر إلى هذين الأمرين جيداً ، وليكن طبيب نفسه .

وإنما المذموم منهما هو الإفراط ، أما الاعتدال الذي هو بين الإفراط والتفريط فممدوح ، كما يشير لذلك قوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ [الأعراف: ٣١] .

ولما أمر المصنف بتخليص الأعمال من المفاسد ، أمر بالتوبة والندم والبكاء على ما عساه أن يقع فاسداً ، وعلى ما صدر من المعاصي ، فقال :

وَاسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ امْتَلأَتْ

مِنَ المَحَارِمِ وَالْزَمْ حِمْيَةَ النَّدَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

(1) رواه الطبراني بسند ضعيف ، ورواه أحمد بن منيع عن الحسن أو أنس بزيادة : (وكاد الحسد أن يسبق القدر) . وهو كذلك عند أبي نعيم في الحلية ، والبيهقي في الشعب ، وابن عدي في الكامل ، وابن السكن في مصنفه .

٢٣- وَاسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ امْتَلأَتْ
مِـنَ المَحَـارِمِ وَالْـزَمْ حِمْيَـةَ النَّـدَمِ

الإعراب الموجز

(وَاسْتَفْرِغِ): فعل أمر ، وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

(الدَّمْعَ) : مفعول به .

(مِنْ عَيْنٍ) : جار ومجرور في موضع الحال من **(الدَّمْعَ)** .

(قَدِ) : حرف تحقيق .

(امْتَلأَتْ) : فعل ماض ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هي يعود على **(عَيْنٍ)** .

(مِنَ المَحَارِمِ) : جار ومجرور متعلق بـ**(امْتَلأَتْ)** .

(وَالْزَمْ) : فعل أمر ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنت . وهو معطوف على **(اسْتَفْرِغِ)** .

(حِمْيَةَ) : مفعول به ، وهي مضاف .

(النَّدَمِ) : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(اسْتَفْرِغِ) : أي أفرغ .

ولم يقل : أفرغ لإفادة أن ذلك لا يكون إلا بالطلب ، ومعلوم ما فيه من المشقة لا سيما في طلب ما يخالف هوى النفس .

(الدَّمْعَ) : البكاء .

(مِنْ عَيْنٍ قَدِ امْتَلأَتْ) : إن كلمة **(امْتَلأَتْ)** كناية عند الفقهاء عن كثرة النظر بها بما لا يجوز شرعاً .

وعند السادة الصوفية أهل الحب : رؤية الأغيار بها ؛ ولذا يقال عندهم : «أدِّبْ عينيك بدمع الندامة إذا نظرت لغير ذلك الجمال» ، حيث الدمعة الصادقة تغسل الذنوب والآثام مع النية الصالحة .

وقد قال سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم : «طوبى لمن حزن لسانه ، ووسع بيته ، وبكى على خطيئته»[1] ، وكان عليه السلام كثير البكاء .

وهنا فسّر بعض القوم قوله تعالى : ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: ٥٠]: أن الجنتين في الآخرة لمن كان له في الدنيا عينان تجريان من خشية الله تعالى .

(مِنْ المَحَارِمِ) : جمع محرم ، وهو الحرام .

(وَالْزَمْ حِمْيَةَ النَّدَمِ) : أي والزم حماية الندم لك عن المحارم .

ويحتمل أن تكون بمعنى: والزم الندم الحامي لك عن المحارم.

والمراد من الندم هنا التوبة المستكملة للشروط الشرعية التي هي :

١- الإقلاع عن المعصية .

٢- الندم على فعلها .

٣- نية أن لا يعود إليها في المستقبل .

٤- رد المظالم إلى أهلها إن كانت معصيته تتعلق بالخَلْق .

وإنما عبّر بالندم هنا لأنه الأساس الذي يحمل على التوبة

---

(١) : أخرجه أحمد بن وكيع عن سفيان ، ورواه الهناد بن السري الكوفي في كتابه الزهد .

أو للتوبة ، ولذا فقد ورد : «الندم توبة»[1] .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالىٰ :

اطلب إراقة الدمع بالبكاء مِن عين قد امتلأت من المآثم ؛ بسبب النظر إلىٰ المحارم التي حرّم الله تعالىٰ النظر إليها ، والزم حمية الندم .

وشُبهت هذه العبارة بحمية المريض من الطعام عند الحاجة لذلك ، فكأن المصنف قال :

الزم منعَ الندم إياك من الوقوع في المعاصي ، وأَدِمِ التنصُّل مِن تَبِعات العين ؛ لأن البكاء علامة الندم علىٰ جميع ما سلف . أو لأن السبب الأعظم من الوقوع في المعصية النظر ، فالذي ينظر يعقبه الاستحسان فيما لا يحل ، فيقع في الخطايا .

لذا قال بعضهم :

كل الحوادث مبداها من النظر	ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها	فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يضر مقلته ما ضرّ خاطره	لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

وحاصل كلام المصنف رحمه الله تعالىٰ :

---

(١) أخرجه ابن ماجة وأحمد وآخرون عن ابن مسعود ، وفي سنده اختلاف . ورواه الطبراني في الكبير ، وأبو نعيم عن أبي سعيد الأنصاري مرفوعاً بزيادة : (والتائب من الذنب كمن لا ذنب له) وسنده ضعيف .

أكثر البكاء على خطيئتك ، وأفرغ الدمع من عين قد امتلأت من الالتذاذ بالحرام ، والزم الورع والاحتراز عمّا يجب أن يحتمي منه التائب النادم على ما فرّط ، لعل الله تعالىٰ يقبل هذه التوبة ، ويجعل البكاء كفارة للذنب .

ثم قال رحمه الله تعالىٰ :

وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِهِمَا
وَإِنْ هُمَا مَحَّضَاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٢٤- وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِهِمَا
وَإِنْ هُمَا مَحَّضَاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِمِ

الإعراب الموجز

(وَخَالِفِ) : فعل وفاعل .

(النَّفْسَ) : مفعول به .

(وَالشَّيْطَانَ) : معطوف على (النَّفْسَ) .

(وَاعْصِهِمَا) : فعل أمر وفاعل ومفعول به ، وهي معطوف على (وَخَالِفِ النَّفْسَ) . والجمع هنا بين المخالفة والعصيان للتأكيد بالمرادف ، وعطف الجمل في التأكيد خاص بثم كما صرّح به أبو حيان في الارتشاف .

(وَإِنْ) : حرف شرط جازم .

(هُمَا) : فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور ، والتقدير : وإن محّضاك هما .

وأجاز الكوفيون والأخفش أن يكون مبتدأ .

(مَحَّضَاكَ) : فعل وفاعل ومفعول أول .

(النُّصْحَ) : مفعول ثان .

والجملة على التفسير الأول لا محل لها من الإعراب لأنها مفسِّرة ، وعلى التفسير الثاني في محل الرفع ، وتكون خبر المبتدأ .

(فَاتَّهِمِ) : فعل أمر ، وحُرِّكَ بالكسر لموافقته حرف الروي . وهو جواب الشرط ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنت .

تفسير الكلمات

(وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ) : أي لا تطعهما فيما يدعوانك إليه من التمادي على الغير أو غير ذلك .

وإن مخالفة النفس رأس العبادة ، وأول مراتب السعادة .

قال الله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات] ، والمقصود بالنفس هنا : النفس الأمارة بالسوء .

كما وإن عداوة الشيطان لازمة حيث هو عدو لنا ، وكيف يأمن العاقل نصيحة إبليس وخديعته وهو يعلم ما فعل مع أبينا آدم وقد أقسم له أنه لمن الناصحين ؟

وكيف بك أيها القارئ الكريم وقد أقسم لَيغْوِيَنَّك ؟ أعاذني الله وإياك من الغواية وطاعة الشيطان .

ورد عن الحسن بن صالح أنه قال : « إن الشيطان لَيفتح للعبد تسعة وتسعين باباً من الخير ، يريد به باباً من السوء »[1] ، فلا بد من الحذر منه .

(وَاعْصِهِمَا) : وخالفهما .

(وَإنْ هُمَا مَحَّضَاكَ) : أي أخلصا لك .

(النُّصْحَ) : أي فيما أبديا لك .

(فَاتَّهِمِ) : أي اتهم الناصح من كل منهما ، مثال ذلك :

- كأن تقول لك النفس : متعني بهذه الشهوة لأمتلئ منها

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ، والذهبي بلفظ : (يريد به باباً من الشر) .

نكص على عقبيه وأدبر هارباً ، أما النفس فمهما استعاذ الإنسان منها فإنها ملازمة بين جنبيه .

وهنا المصنف يبين لنا أن النفس إن لم يروضها الإنسان بأنواع الرياضات ، ويقمعها بضروب من المجاهدات ، فإنه لا يأمن مكرها.

فنرجع ونقول : أعدى أعداء الإنسان نفسه التي بين جنبيه .

ولا بد لنا من أن نُنَوِّهَ أن الشيطان إنما يتمكن من ابن آدم بسبب النفس ، فإن وافقته على ما يريد أوقعت صاحبها في النار .

فلا بد للإنسان الموفق من أن يروض نفسه وينقلها إلى المرتبة التي يحبها الله ﷻ ، والتي ذكرها في كتابه العزيز بقوله : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفجر] .

أي أن يصل بها بعد تهذيبها الشديد إلى الراضية المرضية التي رضيت بكل ما جاء به سيدنا محمد ﷺ، وانقادت لتعاليم الشرع الحنيف حتى وصلت إلى أن رضي الله تبارك وتعالى عنها .

فعلى المحب أن يستعين بالله سبحانه ، وأن يتخذه وكيلاً حتى ينتصر على النفس والشيطان بمعونته ﷻ .

ثم قال رحمه الله تعالى :

وَلاَ تُطِـعْ مِنْـهُمَا خَصْمـاً وَلاَ حَكَمـاً
فَـأَنْـتَ تَعْـرِفُ كَيْـدَ الخَصْـمِ وَالحَكَـمِ

❁ ❁ ❁ ❁

ثم أتوجه إلى الله معك بالطاعة فارغة من هذه الشهوة .

- أو تقول لمن نوى وجدَّ بذلك : إن الله غني عنك وعن عبادتك ، فحافظ على أصل الإيمان ويكفيك .

- أو تقول كذلك للمنهمك في العصيان : إنك قد اجترحتَ أموراً كثيرة عظاماً ، وإن الله تعالى لا يقبل لك معها توبة ، ففكر بدنياك ولا تهتم بالآخرة .

ولقد أتى بهما لأنهما أمر مشكوك فيه ، بل لا يُفرض إلا كما تُفرض الأشياء المحالة ، حيث النصح لا يُتصوّر أن يأتي من جهة إبليس والنفس ، كما ذكر ذلك العلامة القسطلاني .

المعنى الكلي

يقول المصنف :

أيها المحب ، خالف النفس والهوى لأن النفس أمارة بالسوء والفحشاء ، وخالف الشيطان الذي هو أعدى الأعداء ، ولا تركن إلى نصيحتهما حتى إنْ فرضنا أنهما أخلصا النصح لك ، واتهمهما فإن اتهامهما لازم ؛ لأنهما عدوان ضاريان ، وعلى المضرة والشر منجبلان .

ولو قال قائل : أيهما أشد عداوة علينا وأعظم كيداً لنا ، أهو الشيطان أم النفس ؟

فالجواب أن النفس أعدى أعداء الإنسان ، فعداوة الشيطان وكيده ومكره وغدره عن طريق المتابعة ، وكيد النفس لقضاء وَطَرِها من الشهوات ، وإربها من اللذات على أي وجه كان ذلك .

ومن المعلوم لك أيها القارئ أن الشيطان إذا استعذت بالله منه

٢٥- وَلاَ تُطِعْ مِنْـهُمَا خَصْماً وَلاَ حَكَماً

فَـأَنْـتَ تَعْـرِفُ كَيْـدَ الخَصْـمِ وَالحَكَـمِ

الإعراب الموجز

(وَلاَ) : حرف نهي .

(تُطِعْ) : مجزوم بـ **(لاَ)** الناهية .

(مِنْـهُمَا) : جار ومجرور متعلق بـ **(تُطِعْ)** ، وضمير التثنية لـ **(النَّفْسَ)** و **(الشَّيْطَانَ)** معاً في البيت السابق .

(خَصْماً) : مفعول به لـ **(تُطِعْ)** .

(وَلاَ حَكَماً) : معطوف على **(خَصْماً)** ، وزيدت **(لاَ)** بعد العاطف لإفادة التوكيد في النفي .

(فَأَنْتَ) : مبتدأ .

(تَعْرِفُ) : فعل وفاعل سدّا مسدّ خبر المبتدأ .

(كَيْدَ) : مفعول به لـ **(تَعْرِفُ)** ، وهي مضاف .

(الخَصْمِ) : مضاف إليه .

(وَالحَكَمِ) : معطوف على **(الخَصْمِ)** مجرور .

تفسير الكلمات

(وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمَا) : أي مِن جهتهما .

(خَصْماً وَلاَ حَكَماً) : فيه مبالغة في الزجر عن الطاعة لهما ؛ لأن كلاً منهما يدعو إلى الشر .

(فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الخَصْمِ وَالحَكَمِ) : أي لأنك تعرف كيد الخصم والحكم من الناس ، وكيد النفس والشيطان أشد .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالىٰ :

لا تطع خصماً ولا حكماً كائناً من جهة النفس والشيطان ، فإنك قد عرفتَ مكر النفس وكيد الشيطان ، ولا يخفىٰ عليك حال مَن هو كان مِن قِبَلِ النفس والشيطان وجهتهما ، وما يأتيان بهما من المكر والخداع . وتذكّر قول الله تعالىٰ : ﴿۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠] .

فكأن المصنف أراد أن يقول للسامع بأنه إذا تخاصم العقل مع النفس وجعلا الشيطان حكماً ، أو تخاصم العقل مع الشيطان وجعلا النفس حكماً ، فلا تطع واحداً منهما ، لا الخصم ولا الحكم ؛ لأن كلاً منهما عدو ويدعو إلىٰ الشر ، أما العقل فإنه يدعو إلىٰ الخير . فإذا تخاصم العقل مع أحدهما كان الحُكم دائماً مع خصم العقل ؛ لأنه مِن ناحيته فلا يحكم إلا بما هو علىٰ مراده .

ونستطيع أن نقول كذلك في تفسير هذا البيت في صورة كون أحدهما خصماً والآخر حكماً : أن أحدهما يُزَيِّن لك الإقدام علىٰ المعصية وأنت تمتنع من ذلك لِما تعرف من سوء العاقبة ، فقد صار خصماً لك . ثم بعد الإقدام علىٰ المعصية يُزَيِّن لك أحدهما البقاء عليها وأنت تريد الخروج منها ، فيضرب لك أجلاً بعد أجل كما يفعل الحكام ، فقد صار حكماً في ذلك .

وبعد هذا الشرح البسيط عرفنا أن الخصم قد يكون النفس ، والحكم الشيطان ، وبالعكس والله تبارك وتعالىٰ يعيننا عليهما .

ولا يخفىٰ بأن هذا البيت تأكيد للبيت الذي قبله .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

* * * *

٢٦- أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِــنْ قَـوْلٍ بِــلاَ عَمَـلٍ
لَقَــدْ نَسَــبْتُ بِــهِ نَسْــلاً لِــذِي عُقُــمِ

الإعراب الموجز

(أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ) : فعل وفاعل ومفعول به .

(مِنْ قَوْلٍ) : جار ومجرور متعلق بـ**(أَسْتَغْفِرُ)** .

(بِلاَ عَمَلٍ) : نعت **(قَوْلٍ)** .

(لَقَدْ): اللام مؤكدة لجواب قسم محذوف ، و**(قَدْ)** حرف تحقيق .
والتقدير : والله لقد نسبت .

(نَسَبْتُ) : فعل وفاعل .

(بِهِ) : جار ومجرور متعلق بـ**(نَسَبْتُ)** .

(نَسْلاً) : مفعول **(نَسَبْتُ)** .

(لِذِي) : بكسر اللام والذال : جار ومجرور متعلق بـ**(نَسَبْتُ)** .

(عُقُمِ) : بضمتين : مضاف إليه .
وأصل القاف السكون ، وضمها هنا لغة قليلة في الثلاثي المضموم أوله .

تفسير الكلمات

(أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ) : الاستغفار هو طلب المغفرة ، أي أطلب ستر الله وتغطيته .

(مِنْ قَوْلٍ) : من أجل قول صدر مني .

(بِلاَ عَمَلٍ) : أي وليس لي عمل ، أو لم أتلبس بعمل ، أو لم أوافق بما أَمَرْتُ به .

(لَقَدْ نَسَبْتُ) : لقد أضفت .

(نَسْلاً لِذِي عُقُمٍ) : أي أضفت ولداً لمن لا يلد ولا يقبل الولد .

المعنى الكلي

لما رأى المصنف نفسه في حالة وعظه للغير غير متعظ ، وأنه قد دخل بذلك في زمرة الملومين بقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف : ٢] ، تشبّث بالاستخلاص من بوائق ما وقع فيه ببذل الاستغفار ، واستمسك بالنجاة في مزالقه بالاعتراف والتقصير ، فقال :

أستغفر الله من قول باللسان ولم يُؤَيَّد القول بعمل الأركان ، فوالله لقد نسبت بذلك إلى نفسي الأمر الجسيم كمن نسب ولداً إلى العقيم ، وهذا افتراء عظيم .

وبتعبير آخر يقول المصنف :

إن مثلي فيما تصديت له من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتخلفي عن العمل ، كمثل الذي ينسب النسل الذي هو الولد للعقيم . وكذلك ما نسبته لنفسي من رتبة الوعظ ، فإنها لا تنسب إلا لمن يأتمر وينتهي .

ومع أن الأمر والنهي لا يتوقفان على العمل من الآمر والناهي ، غير أنهما مطلوبان منه ليكون قوله موافقاً لعمله ، حيث لا يؤثر قوله بالغير إذا لم يكن مطبقاً ذلك على نفسه ؛ لذا قال المصنف : **(لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسْلاً لِذِي عُقُمٍ)** .

ولما كان ما مثّل به غير ظاهر لكل إنسان ، فسّره بقوله :

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ لَكِنْ مَا ائْتَمَرْتُ بِهِ

وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٢٧- أَمَرْتُكَ الخَيْرَ لَكِنْ مَا ائْتَمَرْتُ بِهِ

وَمَا اسْتَقَمْتُ فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ

الإعراب الموجز

(أَمَرْتُكَ الخَيْرَ) : فعل ماض وفاعل ومفعولان .

(لَكِنْ) : حرف ابتداء واستدراك .

(مَا) : نافية .

(ائْتَمَرْتُ) : فعل وفاعل .

(بِهِ): جار ومجرور متعلق بـ **(ائْتَمَرْتُ)** ، والهاء لـ**(الخَيْرَ)** .

(وَمَا) : نافية .

(اسْتَقَمْتُ) : فعل وفاعل .

(فَمَا) : اسم استفهام مبتدأ .

(قَوْلِي) : خبره .

(لَكَ) : جار ومجرور متعلق بـ **(قَوْلِي)** .

(اسْتَقِمِ) : فعل أمر وفاعل في موضع نصب على المفعولية لـ**(قَوْلِي)** .

تفسير الكلمات

(أَمَرْتُكَ) : أي طلبتُ منك .

(الخَيْرَ) : هو ضد الشر ، وهو ما له عاقبة محمودة .

(مَا ائْتَمَرْتُ بِهِ) : أي ما عملتُ .

(وَمَا اسْتَقَمْتُ) : أي ما اعتدلتُ .

(فَمَا قَوْلِي لَكَ اسْتَقِمِ) : هو استفهام للتوبيخ ، ولتحقير النفس ، أو للتعجب . أي فما الفائدة من قولي لك: استقم ؟

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

إني أمرتك بالعمل الصالح وما فعلتُ ما أمرتك به ، وما اعتدلتُ في إقامة نفسي على الاستقامة . فما الفائدة في قولي لك : اعتدل أنتَ إذا ما اعتدلتُ أنا ؟ وقد قال الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصَّف] .

وهنا لا بد لنا أن نعرف جيداً من أنَّ الآمر إذا أراد أن يكون قوله مؤثراً في غيره لا بد أولاً من أن يكون مطبقاً له على نفسه ، وإلا كان كالهواء يمر كلامه مرور الكرام دون أن يدخل في الأذن الداخلية من السامع .

لذا قال أحدهم :

يا أيها الرجل المُعَلِّمُ غيرَه	هلاّ لنفسك كان ذا التعليمُ
تصف الدواء لذي السقام ولذي الضنى	كيما يصح به وأنتَ سقيمُ
ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيمُ
فهناك يُسْمَعُ ما تقول ويُشتفى	بالقول منكَ وينفع التعليمُ
لا تنهَ عن خُلُق وتأتي مثله	عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ

وقال آخر :

اعمل بما تعلمه واشطب على جيم الجدل

ساداتنا قالوا لنا نتيجة العلم العمل

وقال الله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ في كتابه العزيز : ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هُود: ١١٢] .

لهذا كان النبي ﷺ يقول : « شيّبتني هود وأخواتها »[1].

فلا بد للإنسان المسلم أن يكون مستقيماً قبل أن يأمر غيره بالاستقامة ، والله الموفق للصواب .

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى :

وَلاَ تَـزَوَّدْتُ قَبْـلَ المَـوْتِ نَافِلَـةً ... وَلَمْ أُصَلِّ سِوَىٰ فَرْضٍ وَلَمْ أَصُمِ

❁ ❁ ❁ ❁

(١) رواه البزار والبيهقي في الدلائل عن أبي سعيد ، والطبراني بسند صحيح عن عقبة بن عامر ، وأبو يعلى عن عكرمة وهو مرسل صحيح . وأخرجه الترمذي وأبو نعيم في الحلية بلفظ : (شيّبتني هود ، والواقعة ، والمرسلات ، وعمّ يتساءلون ، وإذا الشمس كورت) ، وصحّحه الحاكم ، وقال الترمذي : حسن غريب .

٢٨- وَلاَ تَـزَوَّدتُ قَبْـلَ المَـوْتِ نَافِلَـةً

وَلَـمْ أُصَـلِّ سِـوَىٰ فَـرْضٍ وَلَـمْ أَصُـمِ

الإعراب الموجز

(وَلاَ) : حرف نفي .

(تَزَوَّدْتُ) : فعل وفاعل .

(قَبْلَ) : ظرف مكان منصوب بـ**(تَزَوَّدْتُ)** ، وهي مضاف .

(المَوْتِ) : مضاف إليه .

(نَافِلَةً) : مفعول **(تَزَوَّدْتُ)** .

(وَلَمْ) : حرف نفي .

(أُصَلِّ) : فعل مضارع مجزوم بـ**(لَمْ)** ، وعلامة جزمه حذف الياء .

(سِوَىٰ) : مفعول **(أُصَلِّ)** ، وهي ليست بظرف .

(فَرْضٍ) : مضاف إليه .

(وَلَمْ أَصُمِ) : معطوف على **(لَمْ أُصَلِّ)** ، ومفعوله محذوف مماثل لما قبله ، والتقدير : ولم أصم سوىٰ فرض ، فحذف لدلالة الأول عليه .

تفسير الكلمات

(وَلاَ تَزَوَّدْتُ) : التزود أخذ الزاد وإعداده للسفر .

والمراد به هنا العمل الصالح ، أي ما اتخذتُ من الزاد ما ينفعني في سفري الطويل .

(قَبْلَ المَوْتِ) : أي قبل انتقالي إلىٰ الآخرة عن طريق الموت الذي يُفَوِّتُ الطاعات .

(نَافِلَةً) : أي من الأعمال الصالحة التي هي التطوعات بعد أداء الفرائض ؛ حيث التزود بالفرائض فقط لذلك السفر الطويل قد لا يكفي ؛ لاحتمال أن يكون في الفرائض نقص فيُكَمَّلَ بالنوافل .

وإن الذي يُقَصِّرُ بالنوافل والسنن فإنه يعاتب من قِبَلِ رسول الله ﷺ يوم القيامة ، فلا يليق للإنسان المسلم أن يقف هذه الوقفة .

(وَلَمْ أُصَلِّ سِوَىٰ فَرْضٍ) : أي لم أصل غير الفرض .

(وَلَمْ أَصُمِ) : وكذا لم أصم غير الفرض .

وفي البيت استعارة مكنية ؛ لأن المصنف عبّر عن الارتحال من دار الدنيا إلىٰ دار الآخرة بالسفر ، وذكر ما هو من ملازم المُشَبَّه به وهو التزود .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالىٰ :

إنني لم أطبق علىٰ نفسي ما أمرتُ به غيري مِنَ الاستقامة ، ولم أتحلَّ بصفات أهل الكرامة ، ولم أتزود بالإقامة قبل الرحيل إلىٰ دار القيامة من النوافل التي هي زاد المتقين ، ومن السنن التي هي متاع الصالحين ، ولم أُصل من الصلوات إلا ما كُتِبَ عليّ ، ولم أَصم إلا ما وجب .

وظاهر البيت الإخبار ، والمراد به التأسف والتحسر علىٰ ما فرّط فيه في هذا العمر مما يحتاج إليه من زاد ، وهو التقوىٰ التي هي زاد المتزود لسفر الآخرة .

لم تخرج العالم في مدح سيدنا محمد ﷺ

فليت شعري أيها الشاعر إنني

أ. شكك لشعراء العصر ص ٢٢

* * * *

٢٩- ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلاَمَ إِلَىٰ
أَنِ اشْتَكَتْ قَدَمَاهُ الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ

الإعراب الموجز

(ظَلَمْتُ) : فعل وفاعل .

(سُنَّةَ) : مفعول به .

(مَنْ) : موصول اسمي ، وهي مضاف إليه .

(أَحْيَا الظَّلاَمَ) : فعل وفاعل ومفعول به ، والجملة صلة **(مَنْ)** ، وعائدها فاعل **(أَحْيَا)** المستتر فيه .

(إِلَىٰ) : حرف جر .

(أَنِ) بفتح الهمزة وسكون النون وكُسرت لالتقاء الساكنين : موصول حرفي .

(اشْتَكَتْ قَدَمَاهُ) : فعل وفاعل ، وهو صلة **(أن)** .

(الضُّرَّ) بضم الضاد وتشديدها : مفعول به .

(مِنْ وَرَمِ) : جار ومجرور في موضع الحال من **(الضُّرَّ)** ، أو متعلق بـ **(اشْتَكَتْ)** علىٰ أنَّ **(مِنْ)** هنا للتعليل .

تفسير الكلمات

(ظَلَمْتُ) : بمعنىٰ تركتُ .

(سُنَّةَ) : أي سنة أفضل المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم .

والسنة في اللغة : الطريقة في الخير والشر ، وفي الشرع : ما أُثِرَ عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير .

(مَنْ أَحيَا الظَّلاَمَ) : أي مَن أنار الليل المظلم بالصلاة مع علو قدره وارتفاع مكانته ، وبذلك أثبت بأنه عَبْدٌ صادق لرب العالمين .

(إِلَىٰ أَن اشْتَكَتْ) : أي إلى أن ظهرت الشكاية .

(قَدَمَاهُ) : القدم طرف الرجل مما يلي الأصابع .

(الضُّرّ) : الألم والهزال .

(مِنْ وَرَمٍ) : الورم هو انتفاخ العضو ، والمقصود هنا زيادة اللحم في الجسم على غير اقتضاء طبيعي .

والذي سَبَّبَ تورم قدميه ﷺ الشريفتين قيامه الطويل .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

ظلمتُ وتعدَّيتُ على سُنة الذي قام في الليل مصلياً مناجياً وأحياه لرب العالمين ، لا يسأم القيام في الظلام حتى اشتكت قدماه الضر والشدة والمشقة مِن الورم الطارئ عليهما ، وذلك كما ذكرنا من شدة القيام والناس نيام .

ففي هذا البيت تنبيه على كثرة عبادته ﷺ وغلبة طاعته مع أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

فقد روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تتفطر رجلاه ، فقلت له : يا رسول الله ، أتصنع هذا وقد غفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال ﷺ : يا عائشة ، أفلا أكون عبداً شكوراً »[1] .

---

(١) : أخرجه مسلم في صحيحه .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

* * * *

٣٠- وَشَدَّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشَاءَهُ وَطَوَىٰ
تَحْتَ الحِجَارَةِ كَشْحاً مُتْرَفَ الأَدَمِ

الإعراب الموجز

(وَشَدَّ) : فعل ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هو .

(مِنْ) : حرف جر للتعليل .

(سَغَبٍ) بفتح السين والغين : مجرور بـ **(مِنْ)** متعلق بـ **(شَدَّ)** .

(أَحْشَاءَهُ) : مفعول به .

(وَطَوَىٰ) : الواو حرف عطف ، و **(طَوَىٰ)** معطوف على **(شَدَّ)** .

(تَحْتَ) : ظرف مكان منصوب بـ **(طَوَىٰ)** .

(الحِجَارَةِ) : مضاف إليها .

(كَشْحاً) بفتح الكاف وسكون الشين : مفعول به لـ **(طَوَىٰ)** .

(مُتْرَفَ) : نعت **(كَشْحاً)** .

(الأَدَمِ) : مضاف إليه من إضافة اسم المفعول إلى نائب الفاعل .

تفسير الكلمات

(وَشَدَّ) : بمعنى عصب وربط ﷺ .

(مِنْ سَغَبٍ) : أي من جوع .

(أَحْشَاءَهُ) : وهي ما انضمت عليه ضلوعه الشريفة ﷺ .

(وَطَوَىٰ تَحْتَ الحِجَارَةِ) : بمعنى ثنى جلد بطنه تحت الحجارة القاسية الصمّاء .

(كَشْحاً) : هو ما بين الخاصرة إلى الجلد .

(مُتْرَفَ) : بمعنى ناعم ، من الترف والنعومة المفرطة .

(الأَدَمِ) : الجلد .

المعنى الكلي

يقول: إنه ﷺ كان يتحمّل الجوع الشديد ، إنما كان هذا لتسكين المعدة بالحجر الذي كان يضعه على بطنه ﷺ مسكناً لها ؛ لأن كلب الجوع يحصل من شدة حرارة المعدة الغريزية . فهي إذا امتلأت بالطعام ، اشتعلت تلك الحرارة بالطعام . فإذا لم يكن فيها طعام ، طلبت رطوبات الجسم وجواهره فتعلقت بها ، فيتألم الإنسان بتلك الحرارة . وإذا انضمت الأحشاء والجلد على المعدة ، خمدت نارها بعض الخمود ، فقلّ الألم .

وفائدة شد الحجر أمران :

الأول : تثقيل الجلد ليَكْثُرَ انضمامه على الأحشاء ، وهذا المقصود .

الثاني: ما فيه من البرودة ؛ لِتَسْكُنَ حرارةُ المعدة وتشتغل ببرودته .

وإن قيل أنه ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «قال رسول الله ﷺ : إياكم والوصال - ثلاثاً - ، قالوا : فإنك تواصل يا رسول الله . قال : إنكم لستم في ذلك مثلي ، إني أَبِيتُ فيُطعمني ربي ويسقيني ، فاكلفوا من الأعمال ما تطيقون»[1] .

فمن كان هذا حاله فكيف يتألم بالجوع ليحتاج إلى عَصْب البطن ؟

فنجيب على ذلك : بأنه ﷺ إنما نهاهم عن ذلك لئلا تضعف قواهم عن الجهاد وقيام الليل ، لا لأجل تألمهم بالجوع ؛ لأن التألم سبب في حصول الأجر ، وأفضل العبادات أكثرها أجراً .

---

(١) رواه مسلم عن أبي خيثمة ، وإسحاق عن جرير . وأخرجه أبو نعيم في الحلية عن أنس بن مالك .

وحيث أن الله تبارك وتعالى قد ضمن للنبي ﷺ قوته ، فإن تألمه بالجوع إنما كان لتضعيف الأجر مع حفظ القوة ونضارة الجسم له ﷺ .

وهذا المعنى هو الذي قصده المصنف رحمه الله تعالى بقوله : (مُتْرَفَ الأَدَمِ) من باب الاحتراس والتكميل ، فالمصنف عندما ذكر بأنه ﷺ شدّ من سَغَب ، احترس من أن يُتَوَهَّم بأن جسمه ﷺ الشريف قد يظهر عليه أثر الجوع .

كما أشار المصنف في هذا البيت إلى الحديث الذي روي عن جابر ﷺ أنه قال : « مكث النبي ﷺ وأصحابه وهم يحفرون الخندق ثلاثاً لم يذوقوا طعاماً ، فقالوا : يا رسول الله ، إن ههنا كِدْيَة من الجبل . فقال رسول الله ﷺ : رشوها بالماء ، فرشّوها . ثم جاء النبي ﷺ فأخذ المعول أو المسحاة ثم قال : بسم الله ، فضرب ثلاثاً فصارت كثيباً يهال . قال جابر : فحانت مني التفاتة فإذا رسول الله ﷺ قد شدّ على بطنه حجراً »[1] .

فبيّن أن النبي ﷺ في حفر الخندق ثنى من جلد بطنه تحت الحجارة كشحاً ؛ ليسكن بعض ألم الجوع الذي اعتراه آنذاك .

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى :

وَرَاوَدَتْهُ الجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ
عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

(١) : أخرجه أحمد في مسنده .

٣١- وَرَاوَدَتْهُ الجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ
عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ

الإعراب الموجز

(وَرَاوَدَتْهُ الجِبَالُ) : فعل وفاعل ومفعول به .

(الشُّمُّ) : نعت (**الجِبَالُ**) .

(مِنْ ذَهَبٍ) : جار ومجرور في موضع الحال .

ويجوز أن نعربها خبراً لتكون المحذوفة ، فتصير العبارة : أن تكون من ذهب .

وأعربت خبراً لأنها لم تكن من ذهب حين المراودة ، وإنما طلبت منه أن تكون كذلك .

(عَنْ نَفْسِهِ) : جار ومجرور متعلق بـ(**رَاوَدَتْهُ**) .

(فَأَرَاهَا) : فعل وفاعل .

(أَيَّمَا) : نعت لمصدر محذوف ، و(**مَا**) زائدة .

(شَمَمِ) بفتح الشين والميم : مضاف إليه ، والتقدير : فأراها شَمَماً أيّما شَمَم .

تفسير الكلمات

(وَرَاوَدَتْهُ) : بمعنى خادعته ﷺ ، أي دعته إلى نفسها .

(الجِبَالُ الشُّمُّ) : الجبال المرتفعة الرؤوس .

وإسناد المراودة إلى الجبال يحتمل أن يكون حقيقة بأن يخلق الله تعالى فيها النطق وإدراك ذلك ، أو أن تكون من مجاز التشبيه .

(مِنْ ذَهَبٍ) : أي أن تصير من ذهب وتسير معه حيثما سار بإذن الله تعالى .

(عَن نَفْسِهِ) : أي بشرط أن تطاوعه نفسه على ذلك .

(فَأَرَاهَا) : أي بَصَّرَها حقيقة بأنْ خلق الله ﷻ فيها الإدراك ، أو مجازاً بأنْ جعلها تبصر منه شمماً أيّما شمم .

(أَيَّمَا شَمَمِ) : أي إعراضاً شديداً ، علماً منه ﷺ بأن ما عنده تبارك وتعالى خير وأبقى .

المعنى الكلي

لقد بيّن المصنف رحمه الله تعالى أن النبي ﷺ لم يضع الحجر على بطنه إلا إعراضاً عن الدنيا وزخارفها ، وقد عُرضت عليه جبال مكة ذهباً وفضة فرفضها طلباً للآخرة ، وإعراضاً عن الدنيا .

وأن الجبال لمّا تاهت بارتفاعها الصوري الذهني ، وثقت بأن يشم ﷺ رائحتها ويضمها إليه ، فأراها عليه الصلاة والسلام بأنَفَة الإعراض عنها ، وعدم الالتفات إليها .

وذلك كما روي أن جبريل عليه السلام نزل على النبي ﷺ فقال له : إن الله يقرئك السلام ويقول لك : أتحب أن تكون هذه الجبال لك ذهباً وفضة تكون معك حيثما كنت ؟ فأطرق ساعة ثم قال : يا جبريل ، إن الدنيا دار مَن لا دار له ، ومال مَن لا مال له ، يجمع لها مَن لا عقل له . فقال له جبريل : ثبّتك الله بالقول الثابت[1] .

وفي رواية ثانية عن أبي أمامة الباهلي عن النبي ﷺ قال : « عَرَضَ عليّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت : لا يا رب ،

---

(١) : رواه الإمام أحمد والبيهقي عن السيدة عائشة ، والبيهقي كذلك عن ابن مسعود موقوفاً .

ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً أو نحو ذلك ، فإذا جعتُ تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك» [1] .

ونؤكد هنا أن الجبال العوالي راودته ﷺ وطلبت منه أن تكون من ذهب خالص ، وتكون معه حيث كان ، وأن تطاوعها نفسه على ذلك . فأظهر لها ﷺ إعراضاً شديداً ، علماً منه بأن ما عند الله خير وأبقى .

ثم قال المصنف :

وَأَكَّدَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ

إِنَّ الضَّرُورَةَ لاَ تَعْدُو عَلَى العِصَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

(١) : رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

٣٢- وَأَكَّـدَتْ زُهْـدَهُ فِيـهَا ضَرُورَتُـهُ

إِنَّ الضَّـرُورَةَ لاَ تَعْـدُو عَلَـى العِصَـمِ

الإعراب الموجز

(وَأَكَّدَتْ) : فعل ماض ، والتاء تاء التأنيث .

(زُهْدَهُ) : مفعول به مقدم لـ**(أَكَّدَتْ)** ، والهاء مضاف إليه .

(فِيهَا) : جار ومجرور متعلق بـ **(زُهْدَهُ)** .

(ضَرُورَتُهُ) : فاعل **(أَكَّدَتْ)** ، والهاء مضاف إليه .

(إِنَّ الضَّرُورَةَ) : إنَّ واسمها .

(لاَ) : نافية .

(تَعْدُو) : فعل ، وفاعلها ضمير مستتر جوازاً تقديره هي . والجملة خبر **(إِنَّ)** .

(عَلَى العِصَمِ) بكسر العين وفتح الصاد : جار ومجرور متعلق بـ **(تَعْدُو)** .

تفسير الكلمات

(أَكَّدَتْ) : التأكيد هو التقوية ، أي قوّتْ .

(زُهْدَهُ) : الزهد لغة هو ترك الشيء وقلة الرغبة فيه . واصطلاحاً هو على مراتب ، أعلاها وأفضلها الإعراض عن غير الله ﷻ .

(ضَرُورَتُهُ) : الضرورة الحاجة ، والمراد بها هنا اشتداد الفقر والفاقة .

(إِنَّ الضَّرُورَةَ) : هنا استئناف بياني لكونه واقعاً في جواب سؤال مقدّر ،

فكأنه سئل : كيف تؤكد ضرورتُه زهدَه فيها مع أن الضرورة تقتضي الإقبال عليها وعدم الإعراض عنها ؟

فقال : (**إِنَّ الضَّرُورَةَ لا تَعْدُو ...**) .

(**لاَ تَعْدُو**) : لا تتعدىٰ .

(**عَلَىٰ العِصَمِ**) : جمع عصمة ، وهي قوة من الله تبارك وتعالىٰ يجعلها في عبده تمنعه من ارتكاب شيء من المعاصي والمكروهات .

والمراد بذوي العصم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

واعلم أخي المسلم أن الفرق بين ضرورة مَن عصمه الله ﷻ وضرورة غيره ممن لم يعصم الله ، أن ضرورة مَن عصمه الله تعالىٰ لا تدعو إلىٰ حُسْن الأشياء فضلاً عن أخسها . وأما ضرورة غير المعصوم فتدعوه إلىٰ أخس الأشياء ، حتىٰ إنها تبيح له تناول ما لا ينبغي تناوله ولو كان مُحَرَّمَ الأصل كالميتة .

المعنى الكلي

لقد ذكر العلامة أبو السعود أنه ﷺ كان من شدة احتياجه وافتقاره ، وشد أحشائه من الجوع تحت الحجارة ، واضطراره إلىٰ ما يضطر إليه البشر ، لا يلتفت إلىٰ الجبال الشم من الذهب . وكان ذلك مؤكداً لزهده عليه الصلاة والسلام ، فإن الإعراض عن الشيء مع شدة الاحتياج إليه دليل واضح وبرهان قطعي ساطع علىٰ الزهد في ذلك الشيء .

ثم إن عدم الالتفات لهذه الجبال الذهبية مع شدة الاحتياج ، ومع أن الضرورات قد تبيح المحظورات ؛ لكون الضرورة والاحتياج

لا يغلبان علـى العصمـة ، ولا يسـتوليان عليـها لاسـتيلاء العصمـة علـى كـل محظـور ، فـإن الله تبـارك وتعـالى يخـرج الذيـن آمنـوا مـن الظلمـات إلى النور ، وبذلك لا يؤثر بـهم خـداع الشـيطان مـهما كـانت الحاجـات ، ولا تتمكـن النفـس والهـوى مـن أن تجذبـهم إلى مـهاوي العطـب والثبور ، لا سيما وقـد أيّـده الله تبـارك وتعـالى بقولـه :﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [الضحى].

ثم تدلى المصنف على الحكم الذي نفاه بقوله :

وَكَيْـفَ تَدْعُـو إِلَـى الدُّنْيَـا ضَـرُورَةُ مَـنْ | لَـوْلاَهُ لَـمْ تُخْـرَجِ الدُّنْيَـا مِـنَ العَـدَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٣٣- وكَيْفَ تَدْعُو إِلَىٰ الدُّنْيَا ضَرُورَةُ مَنْ

لَـوْلَاهُ لَـمْ تُخْـرَجِ الدُّنْيَـا مِـنَ العَـدَمِ

الإعراب الموجز

(وكَيْفَ) : استفهام استنكاري متعلق بـ**(تَدْعُو)** .

(تَدْعُو) : فعل مضارع .

(إِلَىٰ الدُّنْيَا) : جار ومجرور متعلق بـ**(تَدْعُو)** .

(ضَرُورَةُ) : فاعل **(تَدْعُو)** .

(مَنْ) : اسم موصول مضاف إليه .

(لَوْلَاهُ) : جار ومجرور عند سيبويه .

(لَمْ تُخْرَجِ) : جازم ومجزوم .

(الدُّنْيَا) : نائب فاعل .

(مِنَ العَدَمِ) : جار ومجرور متعلق بـ**(تُخْرَجِ)** .

وجملة **(لَمْ تُخْرَجِ ...)** جواب لولا ، ولولا وجوابها صلة **(مَنْ)** ، وعائدها الهاء من **(لَوْلَاهُ)** .

تفسير الكلمات

(وكَيْفَ) : استفهام استنكاري بمعنىٰ النفي ، أي لا تدعو .

(تَدْعُو) : الدعاء هو الطلب والميل .

(إِلَىٰ الدُّنْيَا) : علىٰ وزن فُعْلَىٰ ، مأخوذة من الدنو .

وتطلق الدنيا علىٰ هذه الدار التي نحن فيها ، وتوصف بما توصف الأسماء .

وقيل : إنها مشتقة من الدناءة ؛ لدناءتها وخستها .

وقيل : الدنيا كل ما يقطع على العبد طريق الوصول إلى رب العالمين .

(ضَرُورَةٌ) : بمعنى حاجة ، أي كيف تدعو إلى الدنيا ضرورة نبي أو رسول .

(لَوْلاَهُ) : أي لولا وجوده .

(لَمْ تُخرَجِ الدُّنيا مِنَ العَدَمِ) : أي من العدم إلى الوجود بعد أن لم تكن .

والمقصود : لولا وجوده ﷺ لاستمرت الدنيا على عدمها ولم توجد ، فوجوده ﷺ علة في وجودها ، ولو كانت ضرورته تدعو إلى الدنيا لكان وجوده معلولاً لوجودها .

وهذا مأخوذ من الحديث الذي روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب ، أسألك بحق محمد لما غفرت لي . فقال الله : يا آدم ، وكيف عرفتَ محمداً ولم أخلقه ؟ قال : يا رب ، لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك ، رفعتُ رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً : **(لا إله إلا الله محمد رسول الله)** ، فعلمتُ أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . فقال الله : صدقتَ يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ ، ادعني بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك »[1] .

وقد بيّن الحديث أن وجود سيدنا آدم كان متوقفاً على وجود سيدنا محمد ﷺ ، وحيث أن آدم أبو البشر ، وأن الله تعالى خلق له

---

(١) حديث صحيح الإسناد رواه الحاكم في المستدرك ، والطبراني في الأوسط والصغير .

ولذريته ما في الأرض جميعاً ، وسخّر لهم الشمس والقمر ، والليل ، والنهار ، والأفلاك ، كما هو نص القرآن : ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] ، وقوله تعالى : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣] . وأن أبا البشر إنما خُلق لأجل نبينا محمد ﷺ ، إذاً فقد تحصّل معنا أن الدنيا خلقت لأجله عليه الصلاة والسلام ، فيكون نبينا محمد ﷺ هو السبب في وجود كل شيء .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

إنه لا يدعو إلى الميل إلى الدنيا والاغترار بزخارفها احتياجُ مَن لولا وجوده الشريف وخَلْقِه المنيف لم تخرج الدنيا من العدم إلى الوجود بما فيها من الأراضين والسماوات ، والعرش والكرسي ، والقلم واللوح ، والأفلاك والأملاك ، والعقول والنفوس والأرواح ، والحيوان والنبات ، والمعادن ، والجن والإنس . فإنما هو متطفل على الشيء ، تابع له ، مترتب عليه ، يمتنع أن تُلجئه الحاجة إليه ، ولا سيما إن كان ذلك الأصل منجبلاً على الاستغناء ، منطبعاً على الرفعة والاستعلاء .

وفي الحقيقة كل ما ذكرناه من كائنات حقير قليل بالنسبة إلى علو همته ﷺ .

ومما يؤيد ما ذكرناه ، ويوضح ما أسلفناه ، قول الله ﷻ مخاطباً حبيبه الأعظم ورسوله الأكرم في الحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اتخذ الله إبراهيم خليلاً ،

وموسىٰ نجياً ، واتخذني حبيباً ، ثم قال : وعزتي وجلالي لأوثرن حبيبي علىٰ خليلي ونجيي»[1] .

نسأل الله تعالىٰ أن يحشرنا في زمرة هذا النبي الكريم الذي هو أخص أحبابه إليه ﷺ ، وفي خدمة سنته آمين .

ثم قال المصنف رحمه الله تعالىٰ :

هذا الذي لولاه لم تُخرج الدنيا من العدم هو :

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَـ ... ـيْنِ وَالفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

(١) : أخرجه البيهقي في الشعب .

٣٤- مُحَمَّـدٌ سَـيِّدُ الكَوْنَيْـنِ وَالثَّقَلَـ
ـيْنِ وَالفَرِيقَيْـنِ مِنْ عُـرْبٍ وَمِـنْ عَجَـمِ

الإعراب الموجز

(مُحَمَّدٌ) : يجوز في إعرابه أوجه :

الأول : على قراءته بالرفع هو خبر مبتدأ محذوف .

الثاني : يصح فيه النصب على أنه مفعول لفعل محذوف ، أي : أمدح محمداً .

الثالث : يجوز فيه الجر على أنه بدل للموصول في البيت الذي قبله .

(سَيِّدُ) : نعته أو خبره .

(الكَوْنَيْنِ) : مضاف إليهما .

(وَالثَّقَلَيْنِ) ، **(وَالفَرِيقَيْنِ)** : معطوفان على **(الكَوْنَيْنِ)** .

(مِنْ عُرْبٍ) : جار ومجرور حال من **(الفَرِيقَيْنِ)** .

(وَمِنْ عَجَمِ) : معطوف على **(مِنْ عُرْبٍ)** ، و**(مِنْ)** فيهما بيانية .

تفسير الكلمات

(مُحَمَّدٌ) : أي الممدوح هو محمد ، وهو علم للحضرة الإلهية والسيادة النبوية .

(سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ) : أي هو سيد أهل السماوات والأراضين ، وأهل الدنيا والآخرة عليه الصلاة والسلام .

(وَالثَّقَلَيْنِ) : المقصود بهما الإنس والجن ، وإنما سُمِّيا بالثقلين لإثقالهما الأرض ، أو لأن الذنوب أثقلتهما .

والعطف هنا من عطف الخاص على العام ، وكذلك العطف في قوله **(وَالفَرِيقَيْنِ)** .

(مِنْ عُرْبٍ ومِنْ عَجَمِ) : بيان لـ(الفَرِيقَيْنِ) .

والعُرْب بضم العين وسكون الراء لغة هم سكان البادية ، والعجم هم جميع غير العرب .

تنبيه :

ومعلوم هنا أنَّ نصف البيت هو الياء من (الثَّقَلَيْنِ) في الشطرة الثانية من البيت ، فزيادة بعض الناس لفظة (خَيْرُ) قبل (الفَرِيقَيْنِ) خطأ .

المعنى الكلي

يقول المصنف هنا بأن النبي ﷺ سيد أهل الدنيا والآخرة من إنس وجن ، وسيد العرب والعجم .

وإن أحاديث السيادة له ﷺ على جميع المخلوقات كثيرة ، منها :

قوله ﷺ : «أنا سيد الناس يوم القيامة»[1] .

وقوله ﷺ : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة»[2] .

وإن شئتَ أن تتعمق في هذا المقام فانظر إلى كتاب الشفاء ، فإنه قد شرح هذا الموضوع كثيراً وأحسن في ذلك .

ثم قال الناظم رحمه الله تعالى :

نَبِيُّنَا الآمِرُ النَّاهِي فَلاَ أَحَدٌ
أَبَرَّ فِي قَوْلِ لاَ مِنْهُ وَلاَ نَعَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٢) رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة ، وأحمد والترمذي وابن ماجة عن أبي سعيد بزيادة : (ولا فخر) ، وروى البيهقي : (أنا سيد العالمين) .

٣٥- نَبِيُّنَـا الآمِـرُ النَّـاهِي فَـلاَ أَحَـدٌ

أَبَـرَّ فِـي قَـوْلِ لاَ مِنْـهُ وَلاَ نَعَـمِ

الإعراب الموجز

(نَبِيُّنَا) ، **(الآمِرُ)** ، **(النَّاهِي)** : كلها نعوت لـ **(مُحَمَّدٌ)** أو أخبار له .

والإضافة في **(نَبِيُّنا)** لتشريف المضاف إليه .

(فَلاَ) : حرف نفي عامل يعمل عمل ليس .

(أَحَدٌ) : بالرفع اسمها .

(أَبَرَّ) : بالنصب خبرها .

ويجوز رفعهما إذا أهملنا عمل **(لاَ)** ، ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر .

وعلى كلا الوجهين فإنه لا يُنَوَّن لأنه غير منصرف ؛ لأنه جمع الوصف والوزن حيث هو اسم تفضيل .

(فِي قَوْلِ) بلا تنوين : متعلق بـ **(أَبَرَّ)** ، وهو مضاف .

(لاَ) : مضاف إليه من إضافة المصدر إلى المفعول بعد حذف فاعله .

وهنا يثبت المصنف بأن الإضافة إلى لفظها ، حيث الحروف لا يضاف إليها .

(مِنْهُ) : جار ومجرور متعلق بـ **(أَبَرَّ)** ، والضمير له ﷺ .

(وَلاَ) : حرف نفي .

(نَعَمِ) : في محل جر بمضاف محذوف مماثل للمذكور ، والتقدير : ولا بقول نعم .

تفسير الكلمات

(نَبِيُّنَا) : هو سيدنا محمد ﷺ .

(الآمِرُ) : أي بالمعروف . وهو اسم فاعل من الأمر ، وهو طلب الفعل .

(النَّاهِي) : أي عن المنكر ، مأخوذ من النهي وهو طلب الترك .

وهنا يجب أن يعرف القارئ أن الآمر والناهي الحقيقي هو الله ﷻ ، وقد أظهر لنا جَلَّ أمره ونهيه على لسان نبينا محمد ﷺ . فيتبيّن لنا أن أمره ﷺ ونهيه أمر الله تعالى ونهيه ، قال سبحانه : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم] .

(فَلَا أَحَدٌ) : أي من البرية .

(أَبَرَّ) : بمعنى أصدق ، وهو اسم تفضيل كما ذكرنا .

(فِي قَوْلِ لَا مِنْهُ وَلَا نَعَمِ) : أي فلا أحد من البشر أصدق منه ﷺ في الأمر والنهي ، وقد عبّر عن النهي بقوله : **(لَا)** ، وعن الأمر بقوله : **(نَعَمِ)** .

ويحتمل أنه كنّى بـ **(لَا)** عن الخبر المنفي ، وبـ **(نَعَمِ)** عن الخبر المثبت ، إما مطلقاً ، أو عن الثواب والعقاب .

وفي الجملة فهو ﷺ أصدق الناس في الخبر ، حيث **(لَا)** و **(نَعَمِ)** من أحرف الجواب . أي لا أحد أبر منه ﷺ في قوله : لا ، ولا في قوله : نعم .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

إن قول المصنف : **(الآمِرُ)** أي بالمعروف ، **(النَّاهِي)** أي عن المنكر ، بإرسال الله ﷻ إياه ﷺ إلينا وإلى العالمين كافة . وإنما

عبّر بالآمر الناهي لأنهما ملزومان بالرسالة ، وكلما وجد الملزوم وجد اللازم . فكأنه قال : نبينا الرسول فلا أحد من البرية أبر في قول لا منه ولا نعم ، بل هو أبر .

ويحتمل أن يكون معناه :

فلا أحد أصدق منه في الخبر المنفي والمثبت ، وذلك باعتبار الخبر بالإطلاق ، أو باعتبار الخبر عن الثواب والعقاب ونفيهما . فإذا أخبر ﷺ عن ثواب أو عقاب فهو أصدق الناس في خبره كما مر معنا ، ولذلك يبادر إلى الفعل أو الترك .

وأما ما ذكر بعضهم بقوله :

ما قال لا قط إلا في تشهده ... لولا التشهد كانت لاؤه نعما

فهو محمول على أنه لم يقل : لا في شيء سئل عنه من حوائج الدنيا ، بل إن كان عنده شيء أعطاه للسائل ، وإن لم يكن عنده شيء سكت أو وعده .

وهذا باعتبار الغالب ، وإلا فقد ورد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال : « أتيت النبي ﷺ في رهط من الأشعريين نستحمله ، فقال : والله لا أحملكم ، وما عندي ما أحملكم عليه . قال : فلبثنا ما شاء الله ، ثم أُتِيَ بإبل فأمر لنا بثلاث ذود غر الذرى ، فلما انطلقنا قلنا أو قال بعضنا لبعض : لا يبارك الله لنا ، أتينا رسول الله ﷺ نستحمله فحلف أن لا يحملنا ثم حملنا . فأتوه فأخبروه ، فقال : ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم ، وإني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين ثم أرى خيراً منه إلا كفّرتُ عن يميني وأتيت الذي هو خير »[1] .

---

(١) : رواه البخاري ومسلم واللفظ له . ورواه أحمد ، والنسائي ، وابن ماجة ، وأبو داود ، وابن حبان ، والبيهقي ، وأبو يعلى ، والبزار .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

* * * *

٣٦- هُوَ الحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ
لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الأَهْوَالِ مُقْتَحَمِ

الإعراب الموجز

(هُوَ) : مبتدأ ، والضمير راجع إلى **(مُحَمَّدٌ)** أو **(نَبِيُّنَا)** من البيتين السابقين .

(الحَبِيبُ) : خبر .

(الَّذِي) : نعت لـ**(الحَبِيبُ)** .

(تُرْجَى) : فعل مضارع مبني للمجهول .

(شَفَاعَتُهُ) : نائب الفاعل وهو مضاف ، والهاء مضاف إليه .

والجملة صلة **(الَّذِي)** ، والعائد الهاء المجرورة بالإضافة .

(لِكُلِّ) : جار ومجرور متعلق بـ **(تُرْجَى)** .

(هَوْلٍ) : مضاف إليه .

(مِنَ الأَهْوَالِ) : جار ومجرور نعت **(هَوْلٍ)** .

(مُقْتَحَمِ) : نعت **(هَوْلٍ)** كذلك .

تفسير الكلمات

(هُوَ الحَبِيبُ) : أي المحبوب لله ولأمته ﷺ ؛ لأنه أعظم محب لله وأفضل محبوب له .

وهو أيضاً محب لأمته محبوب لها ، إذ من شرط كمال الإيمان أن يكون النبي ﷺ أحب إلى أمته من المال ، والولد ، والنفس .

وقد ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ : لأنت

أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي ، فقال له النبي ﷺ : لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك ، فقال عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي ، فقال النبي ﷺ : الآن يا عمر[1] .

وبذلك ترقى عمر في الحال ببركته ﷺ ، ويُحتمل أن يكون ذلك كامناً في نفسه ولكنه لم ينتبه إليه إلا بعد أن نبّهه ﷺ ، وهذا هو اللائق بالأدب مع سيدنا عمر ﷺ .

(الَّذِي تُرْجَىٰ) : أي تُؤمَّل .

(شَفَاعَتُهُ) : الشفاعة هي طلب أو سؤال الخير للغير .

(لِكُلِّ هَوْلٍ) : لكل أمر مخوف .

(مُقْتَحَمِ) : أي مدخول فيه كرهاً . مأخوذة من اقتحمتَ الشيء إذا رميتَ بنفسك فيه . والاقتحام هو الوقوع في الشيء كُرهاً ، يقال : اقتحم زيد الأمر إذا وقع فيه كُرهاً .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالىٰ :

هو الحبيب الذي تؤمن شفاعته يوم القيامة لكل خوف وفزع يرمي الإنسان نفسه فيه من شدة الدهشة .

وإنما عبّر بالرجاء هنا مع أن شفاعته ﷺ مُؤَكَّدَة ومقطوع بها ، إشارة إلىٰ أنه لا ينبغي للإنسان أن ينهمك في المعاصي ويتّكل علىٰ شفاعته ﷺ .

---

(١) : رواه البخاري ، وأحمد في مسنده ، والبزار ، والطبراني في الأوسط .

وكما ذكرنا في رسالة التوحيد فإن له ﷺ شفاعات منها :

١- شفاعته في فصل القضاء ، حيث يتمنى الناس الانصراف من المحشر ولو إلى النار من شدة الهول .

وهذه هي الشفاعة العظمى ، وهي مختصة به ﷺ . وتسمى كذلك بالمقام المحمود ؛ لأنه ﷺ يُحْمَدُ عليه ، يَحمده الأولون والآخرون .

وحديث الشفاعة هذه رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن أبي حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « أُتي رسول الله ﷺ بلحم ، فرُفع إليه الذراع وكانت تعجبه ، فنهس منها نهسة ثم قال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون مِمَّ ذلك ؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد ، يسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس ، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول الناس : ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : عليكم بآدم . فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له : يا آدم ، أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا إلى ربك ؟ ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فيقول آدم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيتُه ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح . فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح ، إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سمّاك الله عبداً شكوراً ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول : إن ربي عز وجل قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه قد كانت

لي دعوة دعوتُها على قومي ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلىٰ غيري ، اذهبوا إلىٰ إبراهيم . فيأتون إبراهيم فيقولون : يا إبراهيم ، أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلىٰ ربك ، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه ؟ فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات - فذكرهن أبو حيان في الحديث - ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلىٰ غيري ، اذهبوا إلىٰ موسىٰ . فيأتون موسىٰ فيقولون : يا موسىٰ ، أنت رسول الله ، فضّلك الله برسالاته وبكلامه على الناس ، اشفع لنا إلىٰ ربك ، ألا ترىٰ ما نحن فيه ؟ فيقول : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد قتلت نفساً لم أُومر بقتلها ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلىٰ غيري ، اذهبوا إلىٰ عيسىٰ . فيأتون عيسىٰ فيقولون : يا عيسىٰ ، أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلىٰ مريم وروح منه ، وكلّمت الناس في المهد صبياً ، اشفع لنا ، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه ؟ فيقول عيسىٰ : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله قط ولن يغضب بعده مثله - ولم يذكر ذنباً - ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلىٰ غيري ، اذهبوا إلىٰ محمد ﷺ . فيأتوني فيقولون : يا محمد ، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلىٰ ربك ، ألا ترىٰ إلىٰ ما نحن فيه ؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي عز وجل ، ثم يفتح الله عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه علىٰ أحد قبلي ، ثم يقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، سل تعطه ، واشفع تشفع . فأرفع رأسي فأقول : أمتي يا رب ، أمتي يا رب . فيقال : يا محمد ، أَدْخِلْ مِن أمتك مَن لا حساب عليهم

مِن الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوىٰ ذلك من الأبواب . ثم قال : والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير - وفي رواية مسلم هجر - ، أو كما بين مكة وبُصرىٰ» .

٢- شفاعته ﷺ في دخول جماعة إلىٰ الجنة بغير حساب ، بل يقومون من قبورهم إلىٰ قصورهم .

وهذه مختصة به ﷺ كذلك .

٣- شفاعته ﷺ في جماعة استحقوا النار ، فيشفع لهم فلا يدخلونها بل يدخلون الجنة .

وهي كذلك مختصة به ﷺ .

٤- شفاعته ﷺ في جماعة دخلوا النار ، فيشفع لهم فيخرجون منها .

وهذه غير مختصة به ﷺ ، بل تكون لغيره من العلماء والأولياء .

٥- شفاعته ﷺ في رفع درجات أناس في الجنة .

وهذه لم يثبت اختصاصها به عليه الصلاة والسلام .

وقد ذكر الإمام الباجوري شفاعة سادسة له ﷺ ، وهي تكون في تخفيف العذاب عن بعض الكافرين في النار ، كعمه أبي طالب علىٰ القول بأن الله لم يحيه فآمن به ﷺ ، وهو المشهور .

ويقول الإمام الباجوري : وكل من يحب أهل البيت يقول بأن الله تعالىٰ أحيىٰ أبا طالب وآمن بالنبي ﷺ ، والله ﷻ علىٰ كل شيء قدير .

ثم قال : ولا ينافي شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عن بعض الكافرين قوله تعالىٰ : ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ [البقرة: ١٦٢] ؛ لأن المنفي إنما هو تخفيف عذاب الكفر ، وشفاعته ﷺ تكون في تخفيف عذاب غير

الكفر على أحد الأمرين مثل حالة

لم تزل المصحف [illegible]

[illegible]

[illegible]

* * * *

٣٧- دَعَا إِلَى اللهِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ
مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ

الإعراب الموجز

(دَعَا) : فعل ، وفاعله مستتر فيه جوازاً تقديره هو ، ويعود على النبي ﷺ .

(إِلَى اللهِ) : جار ومجرور متعلق بـ**(دَعَا)** .

(فَالْمُسْتَمْسِكُونَ) : مبتدأ .

(بِهِ) : جار ومجرور متعلق بـ**(الْمُسْتَمْسِكُونَ)** .

(مُسْتَمْسِكُونَ): خبر المبتدأ . والذي سوَّغ ذلك اختلافهما تعريفاً ، وتنكيراً ، ومتعلقاً .

(بِحَبْلٍ) بفتح الحاء وسكون الباء : جار ومجرور متعلق بـ**(مُسْتَمْسِكُونَ)** .

(غَيْرِ) : نعت لـ**(حَبْلٍ)** مجرور ، وهي مضاف .

(مُنْفَصِمِ) : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(دَعَا إِلَى اللهِ) : أي دعا ﷺ إلى دين الله كلّ من بُعث إليهم من الإنس والجن كما قال تعالى : ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] . فكانت دعوته ﷺ للإنس والجن تكليفاً ، وللملائكة تشريفاً .

(فَالْمُسْتَمْسِكُونَ) : فالمعتصمون .

(بِهِ) : بما دعا إليه ﷺ .

(مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ) : أي معتصمون بعهد الله ، والمراد من الحبل هنا السبب .
(غَيْرِ مُنْفَصِمِ) : مأخوذة من فَصَمْتُ الشيء فانفصم فصماً إذا كسرته .
قال تعالىٰ : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

المعنى الكلي

يقول المصنف أنه ﷺ دعا مَن أُرسل إليهم إلىٰ طاعة الله وامتثال أوامره ، وهداهم إلىٰ الإسلام ، وأمرهم باتباع شرعه وسنته . فمن تمسّك بما جاء به فقد تمسّك بحبل ليس له انفصام ولا انقطاع فضلاً عن أن يكون له انفصال ، ومَن رغب عن ذلك فهو هالك ودخل في زمرة : ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف] .

نسأل الله تعالىٰ أن يهدينا سبيل الرشاد .

ثم قال المصنف رحمه الله تعالىٰ وأرضاه عنا :

فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ
وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلاَ كَرَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٣٨- فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ
وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلاَ كَرَمِ

الإعراب الموجز

(فَاقَ) : فعل وفاعل .

(النَّبِيِّينَ) : مفعول به .

(فِي خَلْقٍ) بفتح الخاء وسكون اللام : جار ومجرور متعلق بـ**(فَاقَ)** .

(وَفِي خُلُقٍ) بضم الخاء واللام : جار ومجرور متعلق بـ**(فَاقَ)** .

(وَلَمْ) : حرف جزم .

(يُدَانُوهُ) : مجزوم بحذف النون .

(فِي عِلْمٍ) بكسر العين : جار ومجرور متعلق بـ**(يُدَانُوهُ)** .

(وَلاَ كَرَمِ) : معطوف على **(عِلْمٍ)** ، وإعادة **(لاَ)** كانت لتأكيد النفي .

تفسير الكلمات

(فَاقَ النَّبِيِّينَ) : بمعنى علا ﷺ على جميع النبيين عليهم الصلاة والسلام في الخِلْقَة والسجية .

(فِي خَلْقٍ) : أي خَلْق حسن .

(وَفِي خُلُقٍ) : أي بكل سجية ، وهي ما طُبع عليه ﷺ من كل الخصال الحميدة : كالعلم ، والحياء ، والجود ، والشفقة ، والحلم ، والعدل ، والعفة ، ... وغير ذلك مما لا يُستطاع حصره ولا نشره من أخلاقه ﷺ العالية .

(وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلاَ كَرَمِ) : أي لم يقاربوه في علم ولا كرم .

وخصّ هنا المصنف العلم والكرم وقد دخلا في الخُلُق ؛ لأنهما كالمنبع لسائر الأوصاف الحميدة ، فإذا كـان لا يُقارَب فيهما ففي غيرهما من باب أولىٰ .

وهنا يجب أن نعرف بأن العقل هو أصل الأخلاق الحميدة كلها ، ومنها ينبعث العلم . وقد أعطي ﷺ من العقل ما لا يقاربه غيره مما أُعطي منه .

يقول وهب بن منبه : « أجد في سبعين كتاباً أن جميع ما أُعطي الناس من بُدُوِّ الدنيا إلىٰ انقطاعها من العقل في جنب عقل محمد ﷺ إلا كحبة رمل رُفعت من بين جميع رمال الدنيا »(١).

المعنى الكلي

يقول المصنف أنه ﷺ علا النبيين عليهم الصلاة والسلام في خَلْقهم وفي خُلُقهم ، ولم يقاربوه بعلم ولا كرم ولا غيرهما .

وإنما اقتصر المصنف عليهما لأن العلم رأس الفضائل ، والكرم رأس الفواضل .

ولا يرد علىٰ ذلك ما ورد من النهي عن التفضيل بين الأنبياء ، كقوله ﷺ : « لا تفضلوا بين أنبياء الله – أو بين الأنبياء – »(٢) ؛ لأنه محمول علىٰ تفضيلٍ يؤدي إلىٰ تنقيصٍ . وليس في ذلك تنقيصٌ لأحد من النبيين ؛ لأننا نعتقد باتصاف النبيين بالكمال ، والنبي ﷺ أكمل .

ويؤيد هذا قول الله تبارك وتعالىٰ : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] .

---

(١) : رواه الترمذي في كتابه نوادر الأصول في أحاديث الرسول .

(٢) : أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء ، ومسلم في الفضائل . ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده ، والنسائي في التفسير ، والبيهقي في شعبه عن أبي هريرة .

قال ابن حيدر ... الحمد لله ... محمد

... رسول الله ...

... رسول الله صلى ...

... و ...

* * * *

٣٩- وكُلُّـهُمْ مِـنْ رَسُـولِ اللهِ مُلْتَمِـسٌ
غَرْفـاً مِـنَ البَحْـرِ أَوْ رَشْـفاً مِـنَ الدِّيَـمِ

الإعراب الموجز

(وكُلُّهُمْ) : مبتدأ .

(مِنْ رَسُولِ اللهِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(مُلْتَمِسٌ)** .

والإضافة في **(رَسُولِ اللهِ)** للعهد ، والمعهود هو سيدنا محمد ﷺ .

(مُلْتَمِسٌ) : خبر المبتدأ ، وأفرده هنا مراعاة للفظ **(كُلُّ)** .

(غَرْفاً) : مفعول **(مُلْتَمِسٌ)** ، ويجوز أن تعرب حالاً .

(مِنَ البَحْرِ) : جار ومجرور متعلق بـ**(غَرْفاً)** .

(أَوْ رَشْفاً) بفتح الراء وسكون الشين : معطوف على **(غَرْفاً)** .

(مِنَ الدِّيَمِ) بكسر الدال وفتح الياء : جار ومجرور متعلق بـ**(رَشْفاً)** .

تفسير الكلمات

(وكُلُّهُمْ) : جميعهم .

(مِنْ رَسُولِ اللهِ) : أي من سيدنا محمد ﷺ .

(مُلْتَمِسٌ): أي آخذ ، وإن كان الالتماس في الأصل معناه الطلب .

(غَرْفاً) : مصدر غرفتُ بيدي .

(مِنَ البَحْرِ) : البحر ضد البر ، وسُمِّيَ بذلك لعمقه واتساعه .

(أَوْ رَشْفاً) : الرشف هو المص .

(مِنَ الدِّيَمِ) : جمع ديمة ، وهي المطر الدائم يوماً وليلة من غير رعد ولا برق .

والمراد من (البَحْرِ) و(الدِّيَمِ) : علمه ﷺ وحلمه . وكل منهما استعارة تصريحية ، وكل من الغرف والرشف ترشيح .
وإنما عبّر المصنف هنا في جانب البحر بالغرف ، وفي جانب الديم بالرشف ؛ لأن الغرف مناسب للبحر لكثرته دون الديم التي تجري على وجه الأرض ، فلا يجتمع منها ماء غالباً حتى يُغترف منها .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :
إن كلاً من النبيين آخذ من علمه ﷺ مقدار غَرْفِه من البحر ، أو مَصِّه من المطر الغزير .
وفي كلامه هنا إشارة إلى اختلاف أحوال الملتمسين ، حال كون بعض الملتمسين مغترفاً من البحر ، وبعضهم مرتشفاً من الديم . وأولوا العزم من الأنبياء أكثرهم التماساً من غيرهم .
ثم قال :

وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمِ
مِنْ نُقْطَةِ العِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الحِكَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٤٠- وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمِ
مِنْ نُقْطَةِ العِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الحِكَمِ

الإعراب الموجز

(وَوَاقِفُونَ) : معطوف على **(مُلْتَمِسٌ)** في البيت السابق ، فهو خبر ثان لـ **(كُلُّهُمْ)** ؛ لأن المعطوف على الخبر خبر . والإفراد في الأول نظراً إلى اللفظ ، والجمع في الثاني نظراً إلى المعنى .

ويجوز أن تُجعل للحال على أنّ **(وَاقِفُونَ)** خبر لمبتدأ محذوف ، والجملة حال من الضمير من **(مُلْتَمِسٌ)** .

(لَدَيْهِ) : ظرف مكان ، وهو أخص من **(عِنْدَ)** لأنه لا يطلق إلا على مظروفه . والضمير راجع إلى النبي ﷺ .

(عِنْدَ حَدِّهِمِ) : مضاف ومضاف إليه ، والضمير راجع إلى **(النَّبِيِّينَ)** .

(مِن نُقْطَةِ) بضم النون وسكون القاف : جار ومجرور متعلق بـ **(حَدِّهِمِ)** .

(العِلْمِ) : مضاف إليه .

(أَوْ) : حرف عطف وتقسيم بمعنى الواو .

(مِنْ شَكْلَةِ) بفتح الشين المعجمة وسكون الكاف : جار ومجرور معطوف على **(مِن نُقْطَةِ)** .

(الحِكَمِ) بكسر الحاء وفتح الكاف : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(وَوَاقِفُونَ) : الوقوف هو الانتصاب على الرجلين مع السكون ، ويقابله المشي والاضطجاع .

(لَدَيْهِ) : أي ثابتون عنده ﷺ .

(عِنْدَ حَدِّهِمِ) : الحد هو المنع ، ويطلق كذلك على المقام والرتبة ، وهو المعني هنا .

(مِنَ نُقْطَةِ العِلْمِ) : النقطة على وزن فُعْلة ، مأخوذة من نَقَّطْتُ الكتاب إذا وضعتُ النقط على الحروف .

وقد تطلق كذلك على ما يتركب منه الخط ، وهو جوهر لا يقبل القسمة لا طولاً ، ولا عرضاً ، ولا عمقاً .

والجملة صفة كاشفة لـ**(حَدِّهِمِ)** ، أي حدهم الكائن من نقطة العلم . أو حال ، أي ثابتاً من نقطة العلم .

(أَوْ مِنْ شَكْلَةِ) : الشكلة على وزن فَعْلَة ، مأخوذة من شَكَّلْتُ الكتاب إذا قيّضته بالإعراب .

(الحِكَمِ) : جمع حكمة على وزن فِعْلَة ، وفي الاصطلاح الحكمة استكمال النفس الإنسانية بقوتي العلم والعمل .

والإضافة في **(مِن نُقْطَةِ العِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الحِكَمِ)** بمعنى اللام .

وليُعلم أن اللام من **(العِلْمِ)** و**(الحِكَمِ)** يجوز أن تكون للعهد الذهني ، وعند ذلك يُحمل العلم والحكم على علم الله ﷻ وحكمه .

ويراد بالنقطة هنا ما منح الله ﷻ به عباده من علمه الذي لا يتناهى ، وبالشكلة ما منّ الله به عليهم بغامض حكمته . والتعبير عن هذين المقدارين في النقطة والشكلة إنما هو تقريبي لا تحقيقي .

ويجوز أن يكونا عِوَضَيْن عن المضاف إليه ، والتقدير : من نقطة علمه وشكلة حكمه ، والضمير عائد إلى النبي ﷺ .

ويراد بالنقطة والشكلة العبارة التي يعبر بها عن حقيقة علمه وحكمته لا إلى حقيقتهما ، فإن حقيقتهما ليس لأحد نسبة إليهما أصلاً .

قال العلامة أبو السعود رحمه الله تعالى:

وتخصيص النقطة بالعلم ، والشكلة بالحكم ؛ لكون الدقة والإغماض في الحكمة أكثر من العلم ، والكشف والإعراب في الشكلة أكثر من النقطة ، إذ النقطة إنما ترفع الإبهام عن المعاني المتعلقة بالكلم .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

إن كل النبيين ملتمسون من رسول الله ﷺ غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم حال كونهم واقفين لدى سدته العلية ، وحضرته السنية ، بحسب مراتبهم التي نالوها عند الله ﷻ ، فلا يستطيعون تجاوز هذه المراتب شعرة واحدة . وهو ﷺ يعرج في عالم الملكوت ، ويصعد في مصاعد اللاهوت إلى مقام تكل عنه أجنحة الطائرين ، وتقف دونه أقدام السائلين .

ولينظر القارئ إلى حسن المعنى حيث كانت الواو للحال حتى صار الوقوف قيداً لالتماسهم ، وهل يحسن في مقام المدح إلا مثل هذا المعنى ؟

وإن حُملت الواو على العطف كان المعنى أن جميعهم ملتمس وواقف .

ثم قال المصنف:

فَهوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ

ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيباً بَارِئُ النَّسَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٤١- فَـهوَ الَّـذِي تَـمَّ مَعْنَـاهُ وَصُورَتُـهُ

ثُـمَّ اصْطَفَـاهُ حَبِيبـاً بَـارِئُ النَّسَـمِ

الإعراب الموجز

(فَهوَ) : مبتدأ .

(الَّذِي) : خبره ، وسوّغ ذلك صلته .

(تَمَّ) بفتح التاء : فعل ماض .

(مَعْنَاهُ) : فاعل ، و **(مَعْنَىٰ)** مضاف ، والهاء مضاف إليه .

والجملة صلة **(الَّذِي)** .

(وَصُورَتُهُ) : معطوف علىٰ لفظة **(مَعْنَاهُ)** ، والمعطوف علىٰ المرفوع مرفوع .

(ثُمَّ) : حرف عطف .

(اصْطَفَاهُ) : معطوف علىٰ **(تَمَّ مَعْنَاهُ)** .

(حَبِيباً) : حال من الهاء .

(بَارِئُ) : فاعل **(اصْطَفَاهُ)** ، وهي مضاف .

(النَّسَمِ) بفتحتين : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(تَمَّ) : كَمُلَ .

(مَعْنَاهُ) : أي كمالاته الباطنية .

(وَصُورَتُهُ) : أي صفاته الظاهرية .

(اصْطَفَاهُ) : اختاره .

(حَبِيباً) : أي محبوباً .

(بَارِئُ) : بمعنىٰ خالق .

(النَّسَمِ) : جمع نَسَمة ، والمقصود منها الإنسان .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

هو ﷺ الذي كَمُلَ باطنه في الكمالات ، وظاهره في الصفات ، ثم اختاره خالق الإنسان حبيباً ، ليس له في محاسنه شريك من البشر .

فمَن كان موصوفاً بكمال الصفات ظاهراً وباطناً كان محبوباً عند الله سبحانه وتعالى .

وجوهر حسنه ﷺ لا يقبل القسمة بينه وبين غيره ، كما أن الجوهر الفرد الذي يُتَوَهَّم في الجسم لا يقبل القسمة كذلك ، حيث قال علماء الكلام : إن الجسم مركب منه غير منقسم بوجه من الوجوه لا بالفرض ولا بالوهم . لذا قال صاحب التصنيف :

مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ فِي مَحَاسِنِهِ
فَجَوْهَرُ الحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٤٢- مُـنَزَّهٌ عَـنْ شَـرِيكٍ فِـي مَحَاسِـنِهِ
فَجَوْهَـرُ الحُسْـنِ فِيـهِ غَـيْرُ مُنْقَسِـمِ

الإعراب الموجز

(مُنَزَّهٌ) : خبر ثان لـ**(فَهوَ)** ، أي وهو منزه .

(عَنْ شَرِيكٍ) : جار ومجرور متعلق بـ**(مُنَزَّهٌ)** .

(فِي مَحَاسِنِهِ) : جار ومجرور متعلق بـ**(شَرِيكٍ)** .

(فَجَوْهَرُ) : مبتدأ ، وهي مضاف .

(الحُسْنِ) : مضاف إليه .

(فِيهِ) : جار ومجرور متعلق بخبر المبتدأ المحذوف .

(غَيْرُ) : بالرفع خبر بعد خبر .

(مُنْقَسِمِ) : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(مُنَزَّهٌ) : التنزيه هو التقديس والتطهير . وهو في الأجسام بمعنى إزالة النجاسة العينية والحُكمية ، وفي المعاني إزالة الأوصاف الذميمة والسمات القبيحة المضادة لصفات الكمال .

(عَنْ شَرِيكٍ) : الشريك بمعنى المشاركة والاشتراك ، أي الاجتماع لاستحقاقين فصاعداً في شيء واحد .

(فِي مَحَاسِنِهِ) : المحاسن جمع حُسْن .

(فَجَوْهَرُ) : هو الجسم النفيس المعدني .

وهو عند المتكلمين الجزء الذي لا يتجزأ ولا يقبل القسمة أصلاً لا طولاً ، ولا عرضاً ، ولا عمقاً كما ذكرنا آنفاً .

(الحُسْنِ) : أي في الصورة .

وهذه الكلمة عبارة عن كيفية ناشئة من تناسب أجزاء المُرَكَّب ، تروق في المنظر ، وتميل إليها الطباع السليمة .

وهنا العبارة تدل على الفرق بين الجمال وبين الحُسن ، حيث الجمال لا يطلق إلا على الكيفية الحاصلة في الإنسان ، وأما الحُسن فهو أعم .

والمراد به هنا ما هو أعم من حسن الصورة والمعنى .

(غَيْرُ مُنْقَسِمِ): الانقسام هو التجزؤ إما عقلاً ، أو حساً ، أو وهماً.

فحسنه ﷺ غير قابل لذلك .

المعنى الكلي

يقول المصنف: إنه ﷺ كما انحصر تمام حُسن الصورة ، وجمال كمال المعنى في صورته ﷺ ومعناه ، فهو منزه عمّن يشاركه في جوهر الحُسن والجمال ، منفرد عن أن يماثله مثل ، أو أن يشابهه ند في الملاحة والاعتدال .

فجوهر حسنه ﷺ مصون عن عرض الانقسام ، بل هو غير قابل للقسمة في شيء من الأنام .

وكيف لا وهو ﷺ سلطان سُدّة الملاحة ، وكوكب أُفق سماء الصباحة ؟! ما وُجِد في بستان الحُسن إلا غصن قامته ، ولا طلع في برج الجمال إلا شمس طلعته .

قال الشاعر :

هو البدرُ إلا أنه غيرُ ناقصٍ   هو الشمسُ إلا أنه غيرُ مُنْكَسِفِ
هو البحرُ إلا أنه غيرُ هائجٍ   هو الطودُ إلا أنه غيرُ مُنْتَسِفِ

ثم قال المصطفى صلى الله عليه

[illegible]

[illegible]

* * * *

٤٣- دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَىٰ فِي نَبِيِّهِمِ
وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحاً فِيهِ وَاحْتَكِمِ

الإعراب الموجز

(دَعْ) : فعل أمر ، وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت .

(مَا) : موصول اسمي في محل نصب على المفعولية لـ**(دَعْ)** .

(ادَّعَتْهُ) : فعل ومفعول .

(النَّصَارَىٰ) : فاعل .

والجملة صلة **(مَا)** ، والعائد ضمير المفعول .

(فِي نَبِيِّهِمِ) : جار ومجرور متعلق بـ**(ادَّعَتْهُ)** .

(وَاحْكُمْ) : فعل أمر وفاعل .

(بِمَا) : جار ومجرور متعلق بـ **(وَاحْكُمْ)** ، و**(مَا)** موصول اسمي .

(شِئْتَ) بفتح التاء : فعل وفاعل صلة **(مَا)** ، والعائد هنا محذوف تقديره شئته .

(مَدْحاً) : منصوب بنزع الخافض ، أي مِنْ مَدْحٍ .

(فِيهِ) : جار ومجرور متعلق بـ**(مَدْحاً)** .

(وَاحْتَكِمِ) : فعل وفاعل ، وهو معطوف على **(دَعْ)** .

تفسير الكلمات

(دَعْ) : اترك .

(مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَىٰ) : أي ما قالته النصارىٰ وهم قوم عيسىٰ عليه السلام .

والنصارىٰ جمع نصراني ، وسُمُّوا بذلك لانتسابهم إلىٰ ناصرة ، وهي قبيلة بالشام كان ينزلها عيسىٰ بن مريم عليه السلام ،

قيل بأنها قريته .

(فِي نَبِيِّهِمِ) : أي اقض في نبيهم .

وفائدة الإضافة في قول المصنف **(نَبِيِّهِمِ)** الرد عليهم ، فإنهم يُسَلِّمون بأنه نبيهم ثم ينسبون له الألوهية ، والمعهود من النبي أنه من البشر .

وليست الإضافة هنا للاختصاص ، فإن ذلك يوهم نفي أنه ليس بنبي لنا أيضاً وهذا غير صحيح ، فهو نبي لنا وإنا نؤمن بنبوته لا أنه صاحب شريعتنا ، وهو سيبعث فينا إماماً . ويوهم أيضاً أن محمداً ﷺ بنبي للنصارىٰ ، وهذا باطل .

(وَاحْكُمْ) : بمعنىٰ اقض بعد ذلك له ﷺ .

(بِمَا شِئْتَ) : بصحة ما شئت مما سمعت ، والمشيئة هنا الإرادة .

(مَدْحاً) : المدح هو الثناء علىٰ الفعل الجميل سواء كان اختيارياً أو غيره .

(فِيهِ) : أي غير أن لا تدّعي ما ادعته النصارىٰ في عيسىٰ عليه السلام .

كأنه قال : إن سمعتَ مدحاً بأي شيء كان ما عدا ما ذُكر فاقض بصحته ولا تُكَذِّب قائله .

(وَاحْتَكِمِ) : أي إظهاراً علىٰ أن المحكوم عليه بصحة مدحه يرضىٰ بتحكيمك في ذلك ، فيجعل حيازة الحكم لك .

وهو احتراس عما يوهمه **(وَاحْكُمْ)** أنَّ ذلك لسلطان الحاكم وقهره ، فزاد **(وَاحْتَكِمِ)** ليدل علىٰ أنه من الحكم الذي يرتضيه المحكوم عليه به ؛ لأن مما يستدعيه الحكم محكوماً فيه ﷺ ، ولا بد أن يكون غير فعل الحاكم .

المعنى الكلي

إن المصنف هنا يخاطب كل من قصد مدح النبي ﷺ بالرخصة له بسلوك أي أسلوب أراده من أساليب المدح بَيْدَ ما ادّعته النصارىٰ في عيسىٰ بن مريم عليه السلام، النبوة في موضع النبوة، فإنه لا يجوز الإقدام عليه لاستلزامه الشرك والكفر، وما عداه من صفات الكمال ونعوت الجمال فإنك ذو رخصة فيه، وما عليك فيه من حرج، بل إنك لو بذلتَ في ذلك كل طاقتك وجهدك، وَجُدْتَ في تحصيلك عليه، لم تُحِطْ إلا بالقليل من معاني كماله ونعوت جماله ﷺ. فإن عظمةَ ممدوحك عظمةٌ قد طاعت لها أعمال الجبابرة، وإن علو شأنه ﷺ مرتبة قد خضعت لها جباه القياصرة.

وما عناه المصنف هنا أن مدحه ﷺ مهما كان مبالغاً فيه فإنه قاصر بحقه عليه الصلاة والسلام، ويستطيع الإنسان المسلم أن يمدحه ﷺ بكل مدح سوىٰ ما قالت النصارىٰ في عيسىٰ بن مريم عليه السلام.

فعن ابن عباس عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارىٰ عيسىٰ بن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله»[1].

وإن المصنف هنا دفع وهم ما يوشك أن يخطر ببال بعض من قصرت فطنته عن ترك بعض كمالاته ﷺ، وبعضٍ من مقاماته، مدعياً أن هذا القول إفراط في مدحه ﷺ.

وقد مدحه هنا بما يدل علىٰ كثرة التفاوت بين مرتبته ﷺ ومرتبة

---

(١): أخرجه البخاري في صحيحه.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

٤٤- وَانسُبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَـرَفٍ

وَانسُبْ إِلَى قَدْرِهِ مَـا شِـئْتَ مِـنْ عِظَـمِ

الإعراب الموجز

(وَانسُبْ) بضم السين : فعل أمر معطوف على **(دَعْ)** في البيت السابق .

(إِلَى ذَاتِهِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(انسُبْ)** .

(مَا) : اسم موصول في موضع نصب على المفعولية بـ **(انسُبْ)** .

(شِئْتَ) بكسر الشين وفتح التاء : فعل وفاعل ، وهو صلة **(مَا)**، والعائد هنا محذوف تقديره شئته .

(مِنْ شَرَفٍ) : جار ومجرور بيان لـ **(مَا)** متعلق بـ **(انسُبْ)** .

(وَانسُبْ) : فعل أمر وفاعل .

(إِلَى قَدْرِهِ) : جار ومجرور .

(مَا) : اسم موصول في موضع نصب .

(شِئْتَ) : صلة **(مَا)** ، وعائدها محذوف .

(مِنْ عِظَمِ) : جار ومجرور .

تفسير الكلمات

(وَانسُبْ) : النسبة هي العلاقة بين الشيئين .

(إِلَى ذَاتِهِ) : إلى شخصيته وهويته ، وإلى الحقيقة التي يكون بها ذلك الشيء شيئاً .

(مَا شِئْتَ) : أي ما شئته .

(مِنْ شَرَفٍ) : الشرف هو المجد ، والمراد به النباهة وعلو الشأن .

قال الشاعر :

شرفي وفخري في الوجود وعزتي

أني بتُرْب نعالكم أتمَسَّك

(إِلَىٰ قَدْرِهِ) : القدر بمعنىٰ المقدار ، وقد غُلب استعماله في المقدار من الشرف .
لهذا قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : « رحم الله امرأ عرف قدره فلم يتعد طوره » .
وقال الشاعر :

كان قدري ما رأيتُ لديكمُ
فلقد أضعتُ بحبكم أوقاتي

(مِنْ عِظَمِ) : العظم بمعنىٰ العظمة ، وهي زيادة الرتبة في الوصف الجميل .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالىٰ: إنك أيها المستمع ، إذا عرفتَ بعض ما له ﷺ من المزايا التي يقصر عنها باع البراعة ، ويضيق عن إحصاء بعضها نطاق الأوراق ، ويكل عن حمل نَزْرٍ منها متون النياق ، فانسب إلىٰ ذاته الشريفة وعنصره اللطيف ما شئتَ وما اخترتَ من الشرف الباذخ ، والمجد الشامخ . وانسب إلىٰ قدره العالي ومقداره المتعالي ما أردته وقصدته من المنزلة العلية ، والمرتبة السنية . ولا تقف عند حد وغاية ، ولا تتوقف لدىٰ منزلة ونهاية إلا عند وصفٍ مختصٍ بمَن منه الهداية وإليه النهاية ، وهو الله ﷻ .

وهذا البيت هو تفصيل لما أجمله الناظم في قوله: (وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحاً فِيهِ وَاحْتَكِمِ) .

ثم قال رحمه الله تعالىٰ :

فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللهِ لَيْسَ لَهُ
حَدٌّ فَيُعْرِبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٤٥- فَـإِنَّ فَضْـلَ رَسُـولِ اللهِ لَيْـسَ لَـهُ
حَـدٌّ فَيُعْـرِبَ عَنْـهُ نَـاطِقٌ بِفَـمِ

الإعراب الموجز

(فَإِنَّ) : حرف توكيد ونصب ، والفاء تعليلية .

(فَضْلَ) : اسمها ، وهي مضاف .

(رَسُولِ) : مضاف إليه ، وهي مضاف .

(اللهِ) : اسم الجلالة مضاف إليه .

(لَيْسَ) : فعل ماض ناقص .

(لَهُ) : جار ومجرور متعلق بخبر **(لَيْسَ)** مقدم .

(حَدٌّ) : بفتح الحاء المهملة : اسمها مؤخر .

والجملة الفعلية خبر **(إِنَّ)** .

(فَيُعْرِبَ) : الفاء سببية ، و **(يُعْرِبَ)** : منصوب بأنْ مضمرة وجوباً بعد فاء السببية لجواب النفي .

(عَنْهُ) : جار ومجرور متعلق بـ **(يُعْرِبَ)** .

(نَاطِقٌ) : فاعل **(يُعْرِبَ)** .

(بِفَمِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(نَاطِقٌ)** على تقدير مضاف ، أي بلسان فم ناطق .

تفسير الكلمات

(فَإِنَّ) : أي لأن .

(فَضْلَ) : بمعنى الزيادة .

وجاء بمعنى الفضيلة التي هي ضد الرذيلة ، وهي عبارة عن الصفة الجميلة الزائدة على ما يجب من المحامد .

(رَسُولِ اللهِ) : أي المبعوث من قِبَلِ الله تعالى .

(لَيْسَ لَهُ حَدٌّ) : أي ليس له نهاية ؛ لأنه ﷺ لم يزل يترقى في الكمال كل لحظة .

(فَيُعْرِبَ) : فيُفْصِحَ ويُبَيِّنَ .

(عَنْهُ) : أي عن فضل رسول الله ﷺ .

(ناطِقٌ) : متكلم .

(بِفَمِ) : أي بلسان ، وقد عبّر عنه المصنف بالفم لأنه محله ، فهو مجاز مرسل من باب إطلاق اسم المحل على الحالّ فيه .

المعنى الكلي

يُبَيِّن المصنف في هذا البيت الإذن في نسبة ما يشاء المادح ويهواه الواصف في ذات سيدنا محمد ﷺ الزاكية ، وقدره العالي من الشرف الباذخ ، والعِظَم الراسخ .

ثم ذكر بأن فضائله ﷺ المتوالية والمتتالية لم تبلغ في مجرى الكمال ومسلك العز والجلال إلى غاية يقف عندها الواصف ، ونهاية يتوقف عليها المادح . فإنه ﷺ مظهرٌ لكمال مَن لا يحيط بكماله حصرٌ ، ولا حدٌّ يحصيه ضبطٌ ولا عدٌّ .

قال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف : ١٠٩] .

ولمّا كان قدره ﷺ لا حد له ، لزم من ذلك أن جميع ما ظهر على يديه ﷺ من الآيات لم يكن شيء منها مناسباً لقدره العظيم ، فقدره ﷺ أعظم ؛ لهذا قال المصنف :

لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَماً
أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرِّمَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٤٦- لَوْ نَاسَبَتْ قَدْرَهُ آيَاتُهُ عِظَماً

أَحْيَا اسْمُهُ حِينَ يُدْعَى دَارِسَ الرِّمَمِ

الإعراب الموجز

(لَوْ) : حرف شرط لامتناع الثاني لامتناع الأول .

(نَاسَبَتْ) : فعل ماض ، وتاؤه للتأنيث .

(قَدْرَهُ) : مفعول به مقدم .

(آيَاتُهُ) : فاعل مؤخر .

(عِظَماً) بكسر العين : تمييز منصوب بالفتحة ، ويجوز نصبه على نزع الخافض .

(أَحْيَا) : فعل ماض ، وهو جواب **(لَوْ)** .

(اسْمُهُ) : فاعل **(أَحْيَا)** .

(حِينَ) : ظرف زمان منصوب بـ**(أَحْيَا)** .

(يُدْعَى) : فعل مضارع مبني لما لم يُسَمَّ فاعله ، ونائب الفاعل مستتر فيه عائد على **(اسْمُهُ)** .

(دَارِسَ) : مفعول **(أَحْيَا)** ، وهي مضاف .

(الرِّمَمِ) بكسر الراء وفتح الميم : مضاف إليه ، والأصل : أحيا اسمُه دارسَ الرمم حين يُدعى به .

تفسير الكلمات

(لَوْ نَاسَبَتْ) : لو ماثلت .

(قَدْرَهُ) : مبلغه من الرفعة .

(آيَاتُهُ) : أي التي هي أعلام نبوته ﷺ ، وهي جمع آية .

(عِظَماً) : أي بالقدر والمكانة .

(أَحْيَا اسْمُهُ) : أي الشريف .

(حِينَ يُدْعَىٰ) : وقت ينادىٰ .

(دَارِسَ) : بمعنىٰ مدروس ، وإضافته لما بعده من إضافة الصفة للموصوف ، أي الرمم المدروسة .

(الرِّمَمِ) : جمع رِمَّة ، وهي لغة العظام البالية ، والمدروسة التي زيد في بلائها .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالىٰ :

وإنه لو ناسب شيء من آياته ﷺ قدره : كتسبيح الحصىٰ في كفه ، وانشقاق القمر له ، وتسليم الأحجار والغزالة عليه ، لكان من جملتها أنه إذا دُعِيَ دارسُ الرمم مع ذكر اسمه الشريف ، أحياه الله تعالىٰ بسبب بركة ذكر ذلك الاسم الشريف .

ومعنىٰ البيت كذلك أنه لو كانت علاماته الدالة علىٰ رفعته ﷺ مماثلة لعظيم قدره ، كان منها إحياء الموتىٰ إذا دعىٰ اللهَ تعالىٰ أحدٌ باسمه ﷺ ، بأن يقال : يا الله ، أسألك بحق محمد أن تحيي هذا الميت ، فيحيىٰ بإذن الله .

ولم يُنقل إلينا بأنَّ شيئاً من ذلك قد وقع ، فلم يكن إذاً إحياء الموتىٰ بالتوسل باسمه من آياته ﷺ ، فليست آياته مماثلة لقدره في تعداد التعظيم ، بل قدره أكثر من آياته .

وإنما كانت الآيات الظاهرة على يديه ﷺ غير مناسبة لقدره الشريف مراعاة لعقولنا ، حيث إنها لو أتت على مناسبة قدره لأعيانا فهم ذلك ؛ لقصور قدرنا وعقولنا عن قدره عليه الصلاة والسلام .

لهذا أشار المصنف بعد ذلك بقوله :

لَمْ يَمْتَحِنَّا بِمَا تَعْيَا العُقُولُ بِهِ
حِرْصاً عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهِمِ

* * * *

٤٧- لَمْ يَمْتَحِنَّا بِمَا تَعْيَا العُقُولُ بِـهِ

حِرْصاً عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهِمِ

الإعراب الموجز

(لَمْ) : حرف نفي وجزم .

(يَمْتَحِنَّا) : فعل وفاعل ومفعول به .

(بِمَا) : جار ومجرور متعلق بـ **(يَمْتَحِنَّا)** ، و**(مَا)** موصول اسمي .

(تَعْيَا) : فعل مضارع .

(العُقُولُ) : فاعل **(تَعْيَا)** .

(بِهِ) : جار ومجرور متعلق بـ**(تَعْيَا)** . والجملة صلة **(مَا)** ، وعائدها الهاء التي جُرّت بالباء .

(حِرْصاً) : مفعول لأجله .

(عَلَيْنا) : جار ومجرور متعلق بـ**(حِرْصاً)** .

(فَلَمْ) : حرف جزم .

(نَرْتَبْ) : مجزوم بـ**(لَمْ)** .

(وَلَمْ نَهِمِ) : الواو حرف عطف ، و**(لَمْ)** : حرف جزم ، و**(نَهِمِ)** : مجزوم .

والجملة معطوفة على ما قبلها ، والأصل نرتاب بالألف ونهيم بالياء ، وحذفت الألف والياء لالتقاء الساكنين ، وكُسر حرف الروي للقافية .

تفسير الكلمات

(لَمْ يَمْتَحِنَّا) : لم يختبرنا في التكليف .

(بِمَا تَعْيَا) : بما تكل وتعجز .

(العُقُولُ) : جمع عقل ، وهو قوة يُمَيَّزُ بها بين المصالح والمفاسد .

(بِهِ) : أي بسببه .

(حِرْصاً عَلَيْنَا) : لأجل حرصه على هدايتنا ، والحرص على الشيء شدة الرغبة فيه .

(فَلَمْ نَرْتَبْ) : لم نشك بما يُلقى إلينا .

فالارتياب بمعنى الشك ، والشك هو تساوي طرفي النفي والإثبات ، فإذا رجح أحد الطرفين فالراجح هو الظن .

(وَلَمْ نَهِمِ) : أي لم نتحير لذلك ، حيث الهيمان هنا بمعنى الحيرة والضلال .

المعنى الكلي

أي لم يختبرنا ﷺ بشيء تعجز عنه عقولنا ولا تهتدي لوجهه ؛ لشدة رغبته ﷺ في هدايتنا ، بل أتانا بالحقيقة الواضحة ، فلم نتردد بها ، ولم نتحيّر فيها . أتانا ﷺ بالحقيقة السهلة الغراء ، والطريقة القويمة الجلية الشهباء ، فلم يكلفنا بالتكاليف الشاقة كما كُلفت بها الأمم السابقة من قبلنا ؛ حرصاً على هدايتنا ، وشفقة على سلامتنا .

وهذا هو المعنى الظاهر من البيت .

ولا يبعد كذلك أن المصنف قصد من البيت تعليل عدم إحياء اسمه ﷺ العظام الرميمة مع أن سماته إحياء القلوب الميتة .

وتحقيق ذلك أنه لو أحيى اسمه ﷺ الميتة لتاهت العقول فيه ، وتحيّرت الأفهام في معانيه ، وربما أدى ذلك إلى الغلو والوقوع في الضلال كما فعلت النصارى في التغليس بسبب عيسى عليه السلام وأمه .

أي إنما لم يُحْيِ اسمُه ﷺ الموتى ؛ لئلا يمتحنا بما تكل عن دركه عقولنا ، وتعجز عن الاحتياط به أفهامنا ، حتى لا نقع في الشك والريبة ، وحرصاً علينا في سلك طريق الصواب .

وهذا من كرم ربنا تعالى ، ورأفة رسولنا الكريم ﷺ بنا .

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى :

أَعْيَا الوَرَىٰ فَهْمُ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَىٰ

فِي القُرْبِ وَالبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَحِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٤٨- أَعْيَا الوَرَىٰ فَهْمُ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَىٰ
فِي القُرْبِ وَالبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَحِمِ

الإعراب الموجز

(أَعْيَا) : فعل ماض .

(الوَرَىٰ) : مفعول به .

(فَهْمُ) : فاعل **(أَعْيَا)** ، وهي مضاف .

(مَعْنَاهُ) : مضاف إليه .

(فَلَيْسَ) : فعل ماض ناقص ، واسمه ضمير الشأن مستتر فيه .

(يُرَىٰ) : بضم الياء بالبناء للمفعول : خبر **(لَيْسَ)** .

(فِي القُرْبِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(يُرَىٰ)** .

(وَالبُعْدِ) : معطوف علىٰ **(القُرْبِ)** متعلق بـ **(يُرَىٰ)** .

(فِيهِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(مُنْفَحِمِ)** ، وقد يكون متعلقاً بـ **(يُرَىٰ)** ، والضمير المتصل راجع لـ**(فَهْمُ مَعْنَاهُ)** .

(غَيْرُ) : نائب فاعل **(يُرَىٰ)** .

(مُنْفَحِمِ) : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(أَعْيَا) : بمعنىٰ أعجز .

(الوَرَىٰ) : الخلْق .

(فَهْمُ مَعْنَاهُ) : أي فَهْمُ تفضيل أحواله السنية ﷺ ، وصفاته العلية .

وهنا إسناد الإعياء إلىٰ الفهم من المجاز العقلي ، أي أعياهم الله تعالىٰ عن إدراكه .

(فَلَيْسَ يُرَىٰ) : أي يُبْصَر .

(فِي القُرْبِ وَالبُعْدِ) : متعلق بـ (يُرَىٰ) كما ذكرنا .

(فِيهِ) : بمعنىٰ عنه .

(غَيْرُ مُنْفَحِمِ) : مأخوذة من انفحم الرجل إذا سكت عن المجادلة ولم يجب .

المعنى الكلي

أي أعجز الخلق معنىٰ النبي ﷺ ، فلم يصل أحد منهم إليه ، ولا يبصره أحد في حالتي القرب والبعد إلا انفحم ، وبالعجز اتّسم .

وهنا المُتَبادَرُ أنَّ المراد القرب والبعد بحسب المكان ، أي فليس يرىٰ في المكان القريب والمكان البعيد منه ﷺ غيرُ عاجز عن إدراكه .

ويحتمل كذلك أن المراد القرب والبعد بحسب الزمان ، أي فليس يرىٰ في الزمان القريب والبعيد منه ﷺ غيرُ عاجز عن إدراكه .

ويحتمل أيضاً أن المراد القرب والبعد في المعنىٰ ، فأهل الحقيقة الناظرون له ﷺ في عالم الشهود تضعف بصائرهم عن إدراكه مع قربهم منه ؛ لقوة إشراقه عليه الصلاة والسلام . وأهل الظاهر الناظرون له ﷺ في عالم الحس لا يدركون إلا شخصاً مُصَوَّراً ، وجسماً مُقَدَّراً ؛ لبعدهم منه ﷺ .

ثم قال المصنف رحمه الله تعالىٰ :

كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ
صَغِيرَةً وَتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٤٩- كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدِ
صَغِيرَةً وَتُكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ

الإعراب الموجز

(كَالشَّمْسِ) : جار ومجرور في موضع نصب على الحال من فاعل **(أَعْيَا)** .

أو نعت لمصدر محذوف ، أي أعيى كإعياء الشمس .

أو خبر لمبتدأ محذوف ، أي هو كالشمس .

(تَظْهَرُ) : فعل وفاعل .

(لِلْعَيْنَيْنِ) : جار ومجرور متعلق بـ**(تَظْهَرُ)** .

(مِنْ بُعُدِ) بضم العين : جار ومجرور متعلق بـ**(تَظْهَرُ)** .

(صَغِيرَةً) : حال من فاعل **(تَظْهَرُ)** المستتر فيه العائد لـ**(الشَّمْسِ)** .

(وَتُكِلُّ) بضم التاء وكسر الكاف : فعل مضارع ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هي يعود على **(الشَّمْسِ)** .

(الطَّرْفَ) : مفعول به .

(مِنْ أَمَمِ) : جار ومجرور متعلق بـ**(تُكِلُّ)** .

تفسير الكلمات

(كَالشَّمْسِ) : أي هو كالشمس .

وسُمِّيَت الشمس شمساً لبعدها وسرعتها . وكما ذكر علماء الهيئة فإن محلها في الفلك الرابع ، وذكروا قديماً أن قدرها كالأرض بمائة وستين مرة .

(تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعُدٍ صَغِيرَةً) : أي فإنها تَبِين من بُعد قدر التُّرْس أو المرآة المدورة ، وإن كانت في نفس الأمر أعظم من الأرض بكثير .

(وَتُكِلُّ) : بمعنىٰ تتعب وتضعف وتعيىٰ ؛ لقوة شعاعها ونورها .

(الطَّرْفَ) : البصر .

(مِنْ أَمَمِ) : أي من قرب .

المعنى الكلي

يقول المصنف في هذا البيت :

إنه ﷺ يشبه الشمس التي تظهر للعين المجردة صغيرة قدر المرآة والترس ، وتُوقف البصر عند رؤيتها من قرب لو فُرض ذلك ؛ لأنها كبيرة جداً ، ولكبرها تكاد تخطف البصر وتعميه ، فلا تُدْرَك لكمالها وإن شوهدت من بُعُد .

وكذلك النبي ﷺ لا يُدرك معناه وإن شوهدت صورته عليه الصلاة والسلام .

ثم قال رحمه الله تعالىٰ :

وَكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَهُ
قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْهُ بِالحُلُمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٥٠- وكَيفَ يُدرِكُ فِي الدُّنيـا حَقِيقتَـهُ
قَـومٌ نِيَـامٌ تَسَـلَّوا عَنـهُ بِـالحُلُمِ

الإعراب الموجز

(وكَيْفَ) : للاستفهام الإنكاري ، وهي متعلقة بـ **(يُدْرِكُ)** .

(يُدْرِكُ) : فعل مضارع مرفوع .

(فِي الدُّنْيَا) : جار ومجرور متعلق بـ **(يُدْرِكُ)** .

(حَقِيقَتَهُ) : مفعول **(يُدْرِكُ)** ، والضمير المضاف إليه لمعناه .

(قَوْمٌ) : فاعل **(يُدْرِكُ)** .

(نِيَامٌ) : صفة لـ**(قَوْمٌ)** .

(تَسَلَّوْا) بفتح التاء والسين واللام المشددة : فعل ماض وفاعل .

(عَنْهُ) : جار ومجرور متعلق بـ **(تَسَلَّوْا)** .

(بِالحُلُمِ) بضم الحاء واللام : جار ومجرور متعلق بـ **(تَسَلَّوْا)** .

تفسير الكلمات

(وكَيْفَ) : استفهامية إنكارية بمعنى النفي هنا ، أي لا يدرك .

(يُدْرِكُ) : الإدراك هو حصول صورة الشيء في العقل .

(فِي الدُّنْيَا) : التي هي المُلك ، وهي ضد الآخرة .

(حَقِيقَتَهُ) : قدره ومنزلته .

(قَوْمٌ) : المراد بهم جميع الورىٰ .

(نِيَامٌ) : غافلون عن النظر لحقيقته ﷺ .

وهذا وصف لازم لا مخصص ، لقوله عليه الصلاة والسلام : «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»[(١)] .

---

(١) : ذكره عبدالرؤوف المناوي في كتابه فيض القدير ج٥ ص٥٦ .

(تَسَلَّوْا) : مأخوذ من السلو ، وهو طلب التخلص من أثر وثاق المحبة . وقد يطلق على تطييب الخاطر والتعويض عما يحب .

(عَنْهُ) : الضمير يعود للنبي ﷺ .

(بِالحُلُمِ) : أي النوم ، ويُجمع على أحلام .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

إن مَن في الدنيا لا يدرك الحقائق كلها ؛ لأن نفس أحوال الدنيا حجاب بينه وبين الآخرة كما يحجب النوم النائم عن إدراك أحوال اليقظة . وكذا أحوال جميع الورى ، لا يشاهدون حال تفضيل سيدنا محمد ﷺ على سائر الخلق معاينة وتفصيلاً كما أدركوه في الخبر جملة إلا يوم القيامة ، حيث يكون ﷺ صاحب المقام المحمود الذي يغبطه فيه الأوّلون والآخِرون ، وحيث يؤتى الوسيلة وهي الدرجة التي لا ينالها عبد من عبيد الله سواه ﷺ .

ثم قال المصنف:

فَمَبْلَغُ العِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ
وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٥١- فَمَبْلَغُ العِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرٌ
وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ

الإعراب الموجز

(فَمَبْلَغُ) : مبتدأ ، وهو مضاف .

(العِلْمِ) : مضاف إليه .

(فِيهِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(مَبْلَغُ)** .

(أَنَّهُ) بفتح الهمزة : أنَّ واسمها .

(بَشَرٌ) : خبره .

و **(أَنَّ)** ومعمولاها في تأويل مصدر المبتدأ .

(وَأَنَّهُ خَيْرُ) : جملة معطوفة على خبر المبتدأ .

(خَلْقِ) : مضاف إليه ، ومضاف أيضاً .

(اللهِ) : مضاف إليه .

(كُلِّهِمِ) : توكيد يفيد الإحاطة والشمول .

تفسير الكلمات

(فَمَبْلَغُ) : أي فمنتهى .

(العِلْمِ) : المقصود به علم الورى .

(أَنَّهُ بَشَرٌ) : هو ﷺ بشر ، ولكن الله تبارك وتعالى خصّه بالرسالة إلى خلقه ، وجعل رسالته عامة وشاملة .

(وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ) : أي خير مخلوقات الله .

(كُلِّهِمِ) : المقصود بهم الإنس والجن والملائكة .

المعنى الكلي

لقد عنى المصنف هنا أن غاية ما يصل إليه علم الخلق فيه ﷺ أنه بشر ، وأنه خير خلق الله تعالى ومخلوقاته أجمعين من إنس ، وجن ، وملائكة ، ... وغيرهم .

ثم قال رحمه الله تعالى :

وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسْلُ الكِرامُ بِهَا

فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِن نُورِهِ بِهِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٥٢- وكُلُّ آيٍ أَتَىٰ الرُّسْلُ الكِرامُ بِهَا
فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِن نُورِهِ بِهِمِ

الإعراب الموجز

(وكُلُّ) : مبتدأ .

(آيٍ) : مضاف إليه .

(أَتَىٰ) : فعل ماض .

(الرُّسْلُ) بسكون السين ، ويقال في غير النظم بضمها : فاعل .

(الكِرَامُ) : صفة **(الرُّسْلُ)** .

(بِهَا) : جار ومجرور متعلق بـ **(أَتَىٰ)** .

(فَإِنَّمَا) : كافة ومكفوفة .

(اتَّصَلَتْ) : فعل ماض ، وفاعله ضمير مستتر فيه يعود على **(آيٍ)** .

(مِن نُورِهِ) ، **(بِهِمِ)** : جار ومجرور متعلقان بـ **(اتَّصَلَتْ)** .

تفسير الكلمات

(آيٍ) : جمع آية ، وهي العلامة .

(الرُّسْلُ) : جمع رسول .

(الكِرَامُ) : جمع كريم .

(بِهَا) : راجع لـ**(آيٍ)** .

(فَإِنَّمَا) : للحصر .

(اتَّصَلَتْ) : الاتصال ضد الانقطاع .

(مِن نُورِهِ بِهِمِ) : الباء في **(بِهِمِ)** صلة للاتصال .

المعنى الكلي

يعني المصنف هنا أن كل المعجزات التي أتى بها الرسل الكرام فإنما اتصلت من نوره ﷺ بهم ، فإن نوره عليه الصلاة والسلام كان مخلوقاً قبل خلق آدم عليه السلام ، وانتقل إليه ثم إلى الأصلاب ، إلى أن تحمل الأمهات فينتقل إليهن .

ولم يقل : **(فإنما هي نوره)** ؛ لأنه يوهم أنه وُزِّعَ عليهم وقد لا يبقى له شيء ، فاحترس عنه بقوله : **(اتَّصَلَتْ مِن نُورِهِ بِهِمِ)** ، حيث **(مِنْ)** للتبعيض ، وأفادت بأن نوره ﷺ لم يزل قائماً به ، ولم ينتقص منه شيء .

ولا يقال : كيف تكون المعجزات التي أتى بها الرسل الكرام لأممهم من نوره ﷺ مع أنهم متقدمون عليه في الوجود ؛ لأننا نقول : إنه ﷺ متقدم على جميع الأنبياء من حيث النور المحمدي .

ثم قال الناظم :

فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا
يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٥٣- فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا
يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ

الإعراب الموجز

(فَإِنَّهُ شَمْسُ) : إنَّ واسمها وخبرها .

(فَضْلٍ) : مضاف إليه .

(هُمْ كَوَاكِبُهَا) : مبتدأ وخبر ، والضمير المضاف إليه عائد لـ**(شَمْسُ)** .

(يُظْهِرْنَ) بضم الياء وكسر الهاء : فعل مضارع وفاعل ، والنون ضمير **(كَوَاكِبُ)** .

(أَنْوَارَهَا) : مفعول **(يُظْهِرْنَ)** ، والضمير المضاف إليه لـ**(شَمْسُ)** .

(لِلنَّاسِ) ، **(فِي الظُّلَمِ)** : جار ومجرور متعلقان بـ **(يُظْهِرْنَ)** .

تفسير الكلمات

(فَإِنَّهُ) : أي لأنه ﷺ .

(شَمْسُ فَضْلٍ) : أي كالشمس في الفضل .

(هُمْ كَوَاكِبُها) : عنى المصنف بـ **(هُمْ)** الرسل الكرام ، فقد شبّههم بالكواكب التي تستمد نورها من الشمس . ووجه التشبيه فيهما أن الشمس جرم مضيء بذاته ، والكواكب أجرام غير مضيئة بذاتها ، بل هي أجسام صقيلة تقبل الضوء . فإذا كانت الشمس في مكان معين فاض نورها من جوانبها ، فيطلب الصعود حيث النور يطلب مركز العلو دائماً ، فيصادف أجرام الكواكب الصقيلة المقابلة له فيرتسم فيها ، فتضيء في الظلمات ، وتظهر أنوار الشمس فيها للناس من غير أن ينقص من نور الشمس شيء .

فنوره ﷺ بذاته ، ونور سائر الأنبياء ممتد من نوره ﷺ من غير أن ينقص منه شيء .

(يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا) : أي أنوار الشمس .

(فِي الظُّلَمِ) : أي يظهرون ذلك النور في الكفر الشبيه بالظلم .

المعنى الكلي

يعني المصنف أنه ﷺ شمس فضل هم عليه وعليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام كواكبها ، يُظهرون أنوار تلك الشمس للناس في حالة غلبة عمى الجهل وظلمة الكفر .

وإن قيل : إنه ﷺ متأخر الوجود عنهم ، ونور كل منهم متقدم عليه ، فكيف تكون أنوارهم من نوره ؟

فنجيب : أنَّ نوره ﷺ متقدم وإنْ تأخر وجود ذاته .

وكما أن الشمس إذا بدت لم يبق أثر للكواكب ، وإنما يظهر أثرها حال غيبتها وهو عند الظلام . فكذلك آياته ﷺ وشريعته لما ظهرت نسخت غيرها من سائر الشرائع ، كما يشير لذلك قوله رحمه الله في بعض النسخ :

حتى إذا طَلَعَتْ في الأُفْقِ عَمَّ هُدا
ها لِلعالَمِينَ وأَحْيَتْ سائِرَ الأُمَمِ

وظاهر هذا البيت الذي أظهرناه هنا أنه ﷺ مرسل للأمم السابقة لكن بواسطة الرسل ، فهم نواب عنه ﷺ .

وبهذا قال الشيخ السُّبكي ومَن تبعه آخذاً من قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا

﴿مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٨١].

وكما يعلم من الحكم الشرعي أن الذي عليه الجمهور أنه ﷺ مرسل لهذه الأمة دون الأمم السابقة ، ولو أن القول الأول فيه وجه حسن .

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى :

أَكْرِمْ بِخَلْقِ نَبِيٍّ زَانَهُ خُلُقٌ

بِالحُسْنِ مُشْتَمِلٍ بِالبِشْرِ مُتَّسِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٥٤- أَكْــرِمْ بِخَلْــقِ نَبِــيٍّ زَانَــهُ خُلُــقٌ

بِالْحُسْــنِ مُشْــتَمِلٍ بِالْبِشْــرِ مُتَّسِــمِ

الإعراب الموجز

(أَكْرِمْ) بكسر الراء : فعل تعجب لفظه الأمر ومعناه الخبر .

(بِخَلْقِ) بفتح الخاء وسكون اللام : الباء زائدة لا تتعلق بشيء ، وإنما دخلت عليه لتحسين اللفظ ، و **(خَلْقِ)** : فاعل .

(نَبِيٍّ) : مضاف إليه .

(زَانَهُ) : فعل ماض ومفعول .

(خُلُقٌ) بضمتين : فاعل **(زَانَهُ)** ، والجملة نعت أول لـ **(نَبِيٍّ)** .

(بِالْحُسْنِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(مُشْتَمِلٍ)** .

(مُشْتَمِلٍ) : نعت ثان لـ **(نَبِيٍّ)** .

(بِالْبِشْرِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(مُتَّسِمِ)** .

(مُتَّسِمِ) بضم الميم : نعت ثالث لـ **(نَبِيٍّ)** .

تفسير الكلمات

(أَكْرِمْ) : صيغة أمر معناه التعجب .

(بِخَلْقِ نَبِيٍّ) : بصورة نبي .

(زَانَهُ خُلُقٌ) : حسّنه خُلُق بمعنىٰ زاده حسناً ، قال تعالىٰ : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم : ٤] .

(بِالْحُسْنِ) : بالبهاء .

(مُشْتَمِلٍ) : أي مُرْتَدٍ ، من الارتداء .

(بِالبِشْرِ) : بطلاقة الوجه وبشاشته .
(مُتَّسِمِ) : متصف .

المعنى الكلي

يقول المصنف في هذا البيت :

ما أحسن صورة نبي حسّنه خُلُق متصف بالحُسن ، متصف بالبِشر وطلاقة الوجه !

ثم قال رحمه الله تعالى :

كَالزَّهْرِ فِي تَرَفٍ وَالبَدْرِ فِي شَرَفٍ

وَالبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِي هِمَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٥٥- كَالزَّهْرِ فِي تَرَفٍ وَالبَدْرِ فِي شَرَفٍ

وَالبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِي هِمَمِ

الإعراب الموجز

(كَالزَّهْرِ) بفتح الزين وسكون الهاء : نعت رابع لـ **(نَبِيٌّ)** في البيت الذي قبله .

(فِي تَرَفٍ) : جار ومجرور متعلق بالكاف لما فيها من معنى التشبيه .

(وَالبَدْرِ فِي شَرَفٍ) ، **(وَالبَحْرِ فِي كَرَمٍ)** ، **(وَالدَّهْرِ فِي هِمَمِ)**: كلها معطوفات بالجر على ما قبلها .

تفسير الكلمات

(كَالزَّهْرِ) : هو نَوْرُ الشجر .

(فِي تَرَفٍ) : أي في لطافة ونضارة ونعومة .

(وَالبَدْرِ) : القمر ليلة كماله ، وإنما سُمي بدراً في تلك الليلة لأنه يبدر الشمس في طلوعها .

وشُرِّف البدر على سائر الكواكب الليلية كما شُرف النبي ﷺ على سائر الخلق .

(فِي شَرَفٍ) : في رفعة وعلو منزلة .

(وَالبَحْرِ فِي كَرَمٍ) : أي في جود .

(وَالدَّهْرِ) : أي الزمان .

(فِي هِمَمِ) : جمع همة على وزن فِعْلة ، وهي العزم على الشيء والإرادة له .

وإنها في الاصطلاح عبارة عن صفة تبعث صاحبها على طلب معالي الأمور ، وتحجزه عن الميل إلى سِفْسافها ، مع عدم المبالاة في ارتكاب المشاق .

المعنى الكلي

عنى المصنف في هذا البيت أن خُلُقه ﷺ الذي هو ذاته الشريفة كالزهر في تنعم، ونضارة جسم، وطيب رائحة. وكالبدر في الشرف والرفعة، وحُسن البهجة. وهذان الوصفان يرجعان إلى الصورة، والخلق المشتمل على الحسن.

وخلقه ﷺ كالبحر في كرم، وكالدهر في همم.

ولا خفاء في كرم البحر، فقد قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [النحل: ١٤].

فما بالك بكرم من البحر هو نقطة من جوده ﷺ؟

فكرم النبي عليه الصلاة والسلام عرفناه عن طريق الأحاديث الكثيرة، ومنها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن أعرابياً سأل النبي ﷺ فأمر له بغنم - ذكر كثرتها -، فأتى الأعرابي قومه وقال: يا قوم أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاء مَن لا يخاف الفقر[1].

ووجه التشبيه بالدهر أن الحادثات الدقيقة والجلية إنما تقع في الدهر، فنسبوها إليه. والجاهل يسند الفعل إليه، والموحد المؤمن يعتقد أن المؤثر في جميع الكائنات هو الله تعالى، فإذا أسند الفعل إلى الدهر فيكون هنا على سبيل المجاز العقلي؛ لأنه واقع فيه. وهذا نحو قول القائل: (نهاره صائم وليله قائم)، أسند الصوم إلى النهار، والقيام إلى الليل مجازاً لوقوعهما فيهما.

---

(١): رواه ابن حبان في صحيحه.

يروى عن حسان بن ثابت أنه قال في مدح النبي ﷺ :

لـــه هـمـــمٌ لا منتـــهى لِكِبارِهـــا وهمته الصغـرى أجـلُّ مـن الدهـرِ
لـه راحـةٌ لـو أنَّ مِعشـار عُشـرها على البَرِّ كان البَرُّ أندى مـن البحـرِ

وهذا أبلغ في مدحه ﷺ من كلام المصنف .

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى :

كَـأَنَّـهُ وَهْـوَ فَـرْدٌ مِـنْ جَلاَلَتِـهِ
فِـي عَسْـكَرٍ حِـينَ تَلْقَـاهُ وَفِـي حَشَـمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٥٦- كَـأَنَّـهُ وَهْـوَ فَـرْدٌ مِـنْ جَلاَلَتِـهِ
فِـي عَسْـكَرٍ حِـينَ تَلْقَـاهُ وَفِـي حَشَـمِ

الإعراب الموجز

(كَأَنَّهُ وَهوَ فَرْدٌ) : نعت خامس لـ**(نَبِيٌّ)** .

و**(كَأَنَّ)** : للتشبيه ، والضمير هو اسمها ، والجملة حال من المفعول في **(تَلْقَاهُ)** .

(مِنَ جَلاَلَتِهِ) : جار ومجرور ، والجملة مفعول من أجله ، فهو تعليل للتشبيه المستفاد من **(كَأَنَّ)** .

(فِي عَسْكَرٍ) : جار ومجرور خبر **(كَأَنَّ)** .

(حِينَ) : منصوب على الظرفية بـ **(كَأَنَّ)** لما فيه من معنى التشبيه .

(تَلْقَاهُ) : فعل وفاعل ومفعول به .

(وَفِي حَشَمِ) بفتح الحاء : جار ومجرور معطوف على **(فِي عَسْكَرٍ)** .

وتقدير البيت : كأنه حين تلقاه وهو فرد في عسكر وفي حشم من أجل جلالته .

تفسير الكلمات

(وَهوَ فَرْدٌ) : أي وهو وحده ﷺ .

(مِنَ جَلاَلَتِهِ) : من عظمته ومهابته .

(فِي عَسْكَرٍ) : في جيش كثير وكبير .

(حِينَ تَلْقَاهُ) : حين تراه .

(وَفِي حَشَمِ) : الحشم هو الخدم .

وفي هذا البيت من البديع التشطيرُ كما هو مشاهد . والتشطير هو أن يُقْسَم البيت إلىٰ شطرين ، ثم يُصْرَع كل شطر ، ويُخالَف بينهما في قافية التصريع .

المعنى الكلي

إن المصنف بعد أن بيّن جمال صورة النبي ﷺ ، شرع في هذا البيت لِيُبَيِّن كمال مهابته ووفور أهبته ، فشبّهه وهو فرد غير محفوف بالأنصار والأعوان ، ولا مُحْدَوْدَق بالفرسان والشجعان ، في حالة كونه قد أحدقت به ليوث المعارك ، واحْتَفَّتْ به أُسُد الوقائع ، مشيراً إلىٰ أنَّ أوصافه ﷺ الكمالية ، ونعوته الجلالية في إحداق المهابة في قلوب الخصوم ، والخوف في روح الأعداء ، قائمة مقام عسكر قد ملأ وجه الأرض ، كما إذا كان ﷺ في عسكر وفي حشم له هيبة ووقار ، فكذلك وهو منفرد .

ويروىٰ أن بعض الصالحين رأىٰ أبا بكر الصديق ﷺ في المنام وهو يزف النبي ﷺ بهذا البيت والذي بعده .

ثم قال المصنف رحمه الله تعالىٰ :

كَأَنَّما اللُّؤْلُؤُ المَكْنُونُ فِي صَدَفٍ

مِنْ مَعْدِنَيْ مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٥٧- كَأَنَّما اللُّؤْلُؤُ المَكْنُونُ فِي صَدَفٍ
مِنْ مَعْدِنَيْ مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسَمِ

الإعراب الموجز

(كَأَنَّمَا) : حرف تشبيه و **(مَا)** زائدة .

(اللُّؤْلُؤُ) : مبتدأ .

(المَكْنُونُ) : صفة .

(فِي صَدَفٍ) بفتحتين : جار ومجرور متعلق بـ **(المَكْنُونُ)** .

(مِنْ مَعْدِنَيْ) بكسر الدال وفتح النون : خبر المبتدأ .

(مَنْطِقٍ) : مضاف إليه .

(مِنْهُ) : جار ومجرور نعت **(مَنْطِقٍ)** .

(وَمُبْتَسَمِ) بفتح السين وقال بعضهم بكسرها : معطوف على **(مَنْطِقٍ)** .

تفسير الكلمات

(اللُّؤْلُؤُ) : الدر المُسَمّى بالجوهر .

(المَكْنُونُ) : المصون .

(فِي صَدَفٍ) : أي في غلاف اللؤلؤ ومعدنه .

(مِنْ مَعْدِنَيْ) : هما **(مَنْطِقٍ مِنْهُ ومُبْتَسَمِ)** .

(مَنْطِقٍ مِنْهُ) : المنطق هو محل النطق ، وهو راجع لكلامه ﷺ .

(وَمُبْتَسَمِ) : المبتسم هو محل الابتسام ، وهو راجع لثغره ﷺ .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

كأن اللؤلؤ الذي كان مصوناً في صدفه يخرج من معدنين

من معادنه ﷺ : أحدهما معدن كلماته ، والثاني معدن ابتسامته .

أما فصاحة لسانه وبلاغته ، فقد كان ﷺ من ذلك بالمحل الأفضل ، والموضع الذي لا يُجهل . وحسبك قول بعض أصحابه له : « ما رأينا الذي هو أفصح منك »[1] .

كما كان ﷺ جهير الصوت كثيراً .

وإن المصنف هنا عندما شبّهه باللؤلؤ قصد رحمه الله ما في حديث أم معبد رضي الله عنها ، فقد وصفته فقالت : « رأيتُ رجلاً حلو المنطق ، فضلاً لا نزراً ولا هذراً ، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن »[2] .

وأما تشبيه مبسمه باللؤلؤ ، فمن ذلك قول بعض ناعتيه عليه الصلاة والسلام : « إذا تكلّم رُئي كالنور يخرج من بين ثناياه »[3] .

وقال آخر : « كان إذا ضحك افترّ عن مثل سنا البرق » ، يعني بذلك بياض ثغره وصفاء لونه ، وهذا كله من صفات اللؤلؤ .

وكان ضحكه ﷺ في غالب أوقاته تبسماً لجلالته ووقاره .

ثم قال صاحب التصنيف :

لاَ طِيبَ يَعْدِلُ تُرْباً ضَمَّ أَعْظُمَهُ ... طُوبَى لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ وَمُلْتَثِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) ذكره صاحب البيان والتعريف في بيان سبب الحديث: **(إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين)** ج١ ص٢٦٥ .

(٢) أخرجه الطبراني بإسناد صحيح عن العرب الأعاربة ، والحاكم في المستدرك ، والحافظ أبو القاسم في الأربعين الطوال .

(٣) أخرجه الترمذي في الشمائل عن الدارمي .

٥٨- لاَ طِيبَ يَعْدِلُ تُرْباً ضَمَّ أَعْظُمَهُ

طُوبَىٰ لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ وَمُلْتَثِمِ

الإعراب الموجز

(لاَ) : نافية مبنية علىٰ الفتح .

(طِيبَ) بكسر الطاء : اسم **(لاَ)** مبني علىٰ الفتح .

(يَعْدِلُ) : فعل مضارع ، وفاعله ضمير مستتر جوازاً تقديره هو ، والجملة خبر **(لاَ)** .

(تُرْباً) بضم التاء وسكون الراء : مفعول **(يَعْدِلُ)** .

(ضَمَّ) : فعل وفاعل ، والجملة نعت **(تُرْباً)** .

(أَعْظُمَهُ) : مفعول به لـ**(ضَمَّ)** .

(طُوبَىٰ) : مبتدأ .

(لِمُنْتَشِقٍ) بكسر الشين : جار ومجرور خبر **(طُوبَىٰ)** .

(مِنْهُ) : جار ومجرور متعلق بـ **(مُنْتَشِق)** ، والضمير لـ**(تُرْباً)** .

(وَمُلْتَثِمِ) : معطوف علىٰ **(مُنْتَشِق)** .

تفسير الكلمات

(لاَ طِيبَ) : أي لا طيب في الوجود .

والطيب اسمٌ لما يُتَطَيَّبُ به من مسك وغيره .

(يَعْدِلُ) : يساوي .

(تُرْباً) : أي التراب .

(ضَمَّ) : بمعنىٰ جمع وحوىٰ .

(أَعْظُمَهُ) : جمع عظم ، والمراد به هنا جميع بدنه الشريف ﷺ من تسمية الكل باسم الجزء ، حيث الله ﷻ حرّم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء .

(طُوبَىٰ) : كلمة دعائية .

(لِمُنْتَشِقٍ) : الانتشاق هو الشم .

(وَمُلْتَثِمِ) : الالتثام هو التقبيل مع تعفير الوجه ، يقال : لَثَمَ الحجر الأسود أي قبّله .

ومعلوم أن تقبيل قبره ﷺ قال بكراهيته السادة الفقهاء ، إنما هناك مذهب آخر يجيز ذلك ؛ لهذا نرى السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله ﷺ قد قبّلت تراب قبره عليه الصلاة والسلام ، ولم تكتف بذلك بل قالت :

ماذا على مَن شَمَّ تربة أحمدٍ ... ألاّ يَشُمَّ مدى الزمان غواليا[1]

صُبَّتْ عليّ مصائبٌ لو أنها ... صُبّت على الأيام عُدْنَ لياليا

المعنى الكلي

لَمّا ذكر المصنف بعضاً من أوصاف جسده ﷺ الشريف ، وبدنه اللطيف في حال حياته ، قال رحمه الله تعالى :

إنه لا شيء من أنواع الطيب مهما كان ثميناً يعادل طيب تربته الشريفة ، ويماثل ريح حضرته المنيفة . فطوبى لمن استمسك في استنشاق طيب هذه التربة التي قد جمعت بحر الجود ، ومصدر

---

(١) الغالية طيب معروف .

الكرم والوفاء ، ومنبع الشجاعة والأخلاق ، وذلك إن استمسك بعروة دينه الوثقىٰ ، وتشبث بأذيال مِلَّتِه المثلىٰ ﷺ .

ومعلوم أن طيب التراب المذكور إنما سرىٰ مِن طيبه ﷺ الذي هو أعلىٰ أنواع الطيب .

قال أنس ﷺ : « ما شممتُ عنبراً قط ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ »(١) .

ولا يُدْرِك ذلك إلا مَن كُشِفَ له الغطاء من الأولياء ؛ لأن أحوال القبر من الأمور التي لا يدركها إلا أهل المعرفة .

ونقول هذا لنرد به علىٰ ما يقال : لو كان التراب المذكور من الطيب لزم أن يُدْرِك طيبه كل أحد ، كالمسك فإنه يدرك طيبه كل إنسان ، علىٰ أنه لا يلزم من قيام المعنىٰ بمحل إدراك كل أحد له لجواز انتفاء شرط أو وجود مانع ، والقاعدة تقول : (عدم الإدراك لا يدل علىٰ انتفاء المُدْرَك) .

ألا يرىٰ القارئ الكريم أن المزكوم لا يدرك رائحة المسك مع أنها قائمة به ؟ علماً بأن النبي ﷺ قال : « القبر إما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار »(٢) .

ولا يشك أحد من المسلمين بأن قبره ﷺ روضة من رياض الجنة ، وهو القائل ﷺ : « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة »(٣) .

---

(١) رواه مسلم ، وأحمد ، وابن حبان .

(٢) رواه الترمذي والطبراني في الأوسط عن أبي سعيد ، ورواه الطبراني أيضاً عن أبي هريرة ، وكلاهما مرفوعاً بسند ضعيف .

(٣) رواه الشيخان البخاري ومسلم ، والترمذي ، وأحمد ، والطبراني ، والديلمي ، والبزار ، وأبو نعيم ، وأبو يعلىٰ . وقد جاء في بعض الروايات بيتي بدل قبري .

وكل من القبر والمنبر داخل في حكم ما بينهما ، أمّا القبر فللخبر العام الذي ذُكر ، وأما المنبر لقوله ﷺ في آخر الحديث السابق : « ومنبري على حوضي » .

وإذا تقرّر كون هذا المكان من الجنة ، لم يبق عند العاقل المسلم المؤمن امْتِراء في أنَّ لا طيب يعدله ، فافهم وسلِّم تسلم .

ثم قال المصنف :

أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ

يَا طِيبَ مُبْتَدَأٍ مِنْهُ وَمُخْتَتَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٥٩- أَبَانَ مَوْلِدُهُ عَنْ طِيبِ عُنْصُرِهِ
يَا طِيبَ مُبْتَدَأٍ مِنْهُ وَمُخْتَتَمِ

الإعراب الموجز

(أَبَانَ مَوْلِدُهُ) : فعل وفاعل .

(عَنْ طِيبِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(أَبَانَ)** .

(عُنْصُرِهِ) بضم العين والصاد : مضاف إليه .

(يَا) : حرف نداء ، والمنادىٰ محذوف هنا .

(طِيبَ) بكسر الطاء : مفعول لفعل محذوف ، والتقدير : يا عقلاء انظروا طيب...

(مُبْتَدَأٍ) - وفي بعض النسخ **(مُفْتَتَحٍ)** - : مضاف إليه .

(مِنْهُ) : جار ومجرور نعت **(مُبْتَدَأٍ)** .

(وَمُخْتَتَمِ) : معطوف علىٰ **(مُبْتَدَأٍ)** ، ونعته محذوف وتقديره منه .

تفسير الكلمات

(أَبَانَ) : أظهر .

(مَوْلِدُهُ) : أي آيات زمان ولادته .

(عَنْ طِيبِ) : الطيب هو الخلوص عما لا ينبغي في النسب .

(عُنْصُرِهِ) : وهو أصله ، أي آباؤه الذين تناسل منهم .

(يَا طِيبَ) : المراد به هنا التعجب ، حيث لا ينادىٰ حقيقة إلا للعاقل أو الذي نُزِّل منزلته ، والعرب إذا استعظمت شيئاً نادته علىٰ سبيل التعجب .

(مُبْتَدَأٍ مِنْهُ) : الضمير عائد للنبي ﷺ وإلىٰ عنصره .

(وَمُخْتَتَمِ) : أي منه عليه الصلاة والسلام .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالىٰ :

إن ما ظهر في زمن ولادته ﷺ ومكانها من الأمور الخارقة للعادة من علامات النبوة ومعجزات الرسالة ، أظهر وكشف عن طيب ذلك العنصر النبوي الشريف ، وخلوص آبائه ﷺ عما لا ينبغي من النسب .

كما دلت تلك الآيات الواضحات علىٰ أنه ﷺ قد تعلق ذلك العنصر الشريف والجسد المنيف من الكمالات النفسانية والسعادات الأزلية ما هو عجيب أن يتعجب العقلاء من كيفيته ، ويتفكر الأذكياء من كميته ، حتىٰ يعلموا أنه سيكون من هذا المولود من الشأن ، والحالات ، والفضائل ، والكمالات ما لا يحصىٰ .

وحاصل الكلام ما قاله العلامة العدوي أنه ﷺ قد شهدت فاتحته بخاتمته ، لهذا فقد قال الشاعر :

إنَّ الهلال إذا رأيتَ نُمُوَّه ... أيقنتَ أنْ سيصير بدراً كاملاً

ومن آيات مولده ﷺ ما نقل عن أمه أنها قالت : « لقد أخذني الطلق وإني لوحيدة في المنزل وعبدالمطلب في طوافه يوم الإثنين ، فسمعتُ وَجْبَة[1] هالتني ، ورأيت كأن جناح طير أبيض مسح فؤادي ، فذهب رعبي وكل وجع أجده ، وكنت عطشة فإذا بشربة بيضاء فشربتها ، فأصابني نور عال ... إلىٰ آخر الحديث »[2] .

---

(١) : بمعنىٰ سقطة .

(٢) : الحديث طويل قد ذكره الإمام القسطلاني بطوله .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

* * * *

٦٠- يَـومٌ تَفَـرَّسَ فِيـهِ الفُـرْسُ أَنَّـهُمُ
قَـدْ أُنْـذِرُوا بِحُلُـولِ البُـؤْسِ وَالنِّقَـمِ

الإعراب الموجز

(يَوْمٌ) : خبر مبتدأ محذوف تقديره : يوم ولادته ﷺ يومٌ تفرّس .

(تَفَرَّسَ) بفتح التاء والفاء والراء المشددة : فعل ماض .

(فِيهِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(تَفَرَّسَ)** .

(الفُرْسُ) : بضم الفاء وسكون الراء : فاعل **(تَفَرَّسَ)** .

والجملة صفة **(يَوْمٌ)** .

(أَنَّهُمُ) بفتح الهمزة : أنَّ واسمها .

(قَدْ) : حرف تحقيق .

(أُنْذِرُوا) بضم الهمزة وكسر الذال : فعل ماض ، والواو نائب الفاعل ، والجملة خبر **(أَنَّ)** .

و**(أَنَّ)** ومعمولاها في تأويل مصدر منصوب على المفعول في **(تَفَرَّسَ)** .

(بِحُلُولِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(أُنْذِرُوا)** .

(البُؤْسِ) بضم الباء وسكون الواو : مضاف إليه .

(وَالنِّقَمِ) بكسر النون وفتح القاف : معطوف على **(البُؤْسِ)** .

تفسير الكلمات

(يَـوْمٌ) : أي يومَ ولادته ﷺ يومٌ ، والمراد باليوم : الوقت ليلاً أو نهاراً ، قصيراً أو طويلاً .

أي زمان الولادة فقط ، وإن كان محتملاً فيما تقدم للحدث ، وللزمان ، وللمكان .

(تَفَرَّسَ) : تَفَطَّنَ . والتفرس معرفة الشيء بالفِراسة بكسر الفاء ، وهي شدة قوةٍ تُدرك بها الأمور الخفية بالقرائن .

ومنه قوله ﷺ : «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»[1] .

(فِيهِ) : بمعنى منه .

(الفُرْسُ) : هم أهل مملكة فارس ، وكانوا مجوساً يعبدون النار بعد أن رُفع كتابهم حين بدّلوه وغيّروه . وسُمّوا بذلك لأنهم كانوا لأبيهم بضعة عشر رجلاً كل منهم فارس وشجاع ، فسُمّوا الفرس .

(أَنَّهُمُ قَدْ أُنذِرُوا) : أي أُعلموا ، والإنذار هو التحذير من وقوع البلاء .

(بِحُلُولِ) : بنزول .

(البُؤْسِ) : هو الشدة المؤثرة في القلب ، والهم والحزن .

(وَالنِّقَمِ) : جمع نقمة ، وهي ضد النعمة .

المعنى الكلي

يقول المصنف هنا :

لقد ظهر للفرس في زمان ولادته ﷺ من الأمارات التي أخبرهم بها علماؤهم قبل ذلك وكأنهم في ظهور أمر رسول الله ﷺ أنه كائن . وأن ما أنذرهم به كهانهم من خراب مملكتهم ، وتشتت أمرهم ،

---

(١) : رواه الترمذي ، وابن جرير ، والطبراني بإسناد حسن .

وتفريق قبائلهم على يد صاحب هذا المولد ﷺ ، وأيدي أصحابه القائمين بشريعته هو حالٌ بهم وواقع لا محالة .

ثم قال رحمه الله تعالى :

وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَىٰ وَهوَ مُنْصَدِعٌ
كَشَمْلِ أَصْحَابِ كِسْرَىٰ غَيْرَ مُلْتَئِمِ

* * * *

٦١- وبَاتَ إيوانُ كِسْرَىٰ وَهوَ مُنصَدِعٌ
كَشَمْلِ أَصْحَابِ كِسْرَىٰ غَيْرَ مُلْتَئِمِ

الإعراب الموجز

(وبَاتَ) : فعل ماض تام .

(إِيوَانُ) بكسر الهمزة : فاعل **(بَاتَ)** .

(كِسْرَىٰ) بفتح الكاف وكسرها وسكون السين : مضاف إليه .

(وَهوَ مُنْصَدِعٌ) : مبتدأ وخبر في موضع الحال من **(إِيوَانُ)** .

(كَشَمْلِ) : بفتح الشين : جار ومجرور في موضع نصب على النعتية لمصدر محذوف ، والتقدير : انصداعاً مثل انصداع شملِ ، وهي مضاف .

(أَصْحَابِ) : مضاف إليه ، ومضاف أيضاً .

(كِسْرَىٰ) : مضاف إليه ، ونقل هنا من الإضمار إلى الإظهار لبيان إهانة الاسم .

(غَيْرَ) : منصوب على الحال من **(كَشَمْلِ)** .

(مُلْتَئِمِ) بضم الميم وفتح التاء : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(وبَاتَ) : بمعنى أمسى .

(إِيوَانُ) : كديوان ، وهو بناء يُبنى طولاً غير مسدود الوجه ، يُعِدُّه الملك لجلوسه فيه لتدبير أمور مملكته .

وقد كان سمك ذلك الإيوان مائة ذراع في مثلها ، وقد مكث

في بنائه نيفاً وعشرين سنة ، وكان يظن أنه لا يُهدم أبداً إلا عند نفخة الصعق . علماً بأن هارون الرشيد في خلافته أراد هدمه لَمّا بلغه أنَّ تحته مالاً عظيماً ، فعجز عنه وأبقاه علىٰ حاله . هذا ما قاله الشيخ الباجوري .

(كِسْرَىٰ) : هو لقب لكل ملك من ملوك الفرس ، والمراد به هنا أنوشروان بن قباد بن فيروز .

(مُنصَدِعٌ) : منشق .

(كَشَمْلِ) : الشمل من أسماء الأضداد يطلق علىٰ الاجتماع والافتراق ، يقال : جمع الله شملك ، أي ضمه عن التفرق .

(غَيْرَ مُلْتَئِمِ) : غير مجتمع .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالىٰ:

إن من العلامات التي ظهرت في زمان ولادته ﷺ دلت علىٰ علو نائرة نور الحق ، وانطفاء نار الباطل ، وارتفاع شأن أهل العدل والإحسان ، واضمحلال أمر أهل الكفر والعصيان .

ومن هذه العلامات انصداع شرفات إيوان كسرىٰ . فإنه قد روت الثقات من الرواة أن إيوان كسرىٰ سقطت منه أربع عشرة شرفة في ليلة ولادته ﷺ من غير سَبْق أمارة تدل علىٰ التهيؤ للانهدام ، وتَقَدُّم علامة يُتوقع منها وقوع ذلك الانفصام .

فوقوع ذلك الأمر مع إحكام البناء ورصّ تلك الأركان قد أوقع في قلوب الفرس الهول والأحزان ، وألقىٰ في روعهم البؤس والخذلان ، علماً منهم بأن هذا الحدث أمر عظيم الشأن دلّ علىٰ انتهاء ملكهم .

وبتعبير آخر عنى المصنف أن يوم ولادته ﷺ يومٌ ظهر فيه للفرس أنهم أنذروا بنزول الشدة والعقوبات بهم ، حيث قارنه ما ذكره المصنف من الإرهاصات المؤسسة لنبوته ﷺ .

ثم قال رحمه الله تعالى :

وَالنَّارُ خَامِدَةُ الأَنْفَاسِ مِنْ أَسَفٍ
عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي العَيْنِ مِنْ سَدَمِ

* * * *

٦٢- وَالنَّارُ خَامِدَةُ الأَنفَاسِ مِنْ أَسَفٍ
عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي العَيْنِ مِنْ سَدَمِ

الإعراب الموجز

(وَالنَّارُ خَامِدَةٌ) : مبتدأ وخبر .

(الأَنفَاسِ) : مضاف إليه .

(مِنْ أَسَفٍ) بفتح الهمزة والسين : جار ومجرور متعلق بـ **(خَامِدَةٌ)** على أنه علة له .

(عَلَيْهِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(أَسَفٍ)** ، والضمير للإيوان أو الكفر الدال عليه المقام .

(وَالنَّهْرُ) بفتح النون وسكون الهاء : مبتدأ .

(سَاهِي) : مضاف .

(العَيْنِ) : مضاف إليه .

(مِنْ سَدَمِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(سَاهِي)** على أنه علة له .

تفسير الكلمات

(وَالنَّارُ) : أي نار الفرس التي كانوا يعبدونها من دون الله . وكان لها خدمة يوقدونها ، ولم تخمد قبل تلك الليلة بألف عام - وفي رواية بألفي عام - .

(خَامِدَةٌ) : منطفئة اللهب مع بقاء الجمر .

(الأَنفَاسِ) : جمع نَفَس بتحريك الفاء ، وهو خروج هواء ودخول آخر لترويح القلب وإخراج ما احترق من الداخل لحرارته .

وقد جرت عادة الله تبارك وتعالى باستيفاء حياة الحيوان

بدخول هذا النَفَس وخروجه .

(مِنْ أَسَفٍ) : أي من أجل أسف ، والأسف شدة الحزن ، والتنوين فيه للتفخيم .

(وَالنَّهْرُ) : المقصود به نهر الفرات الذي كان به قُوامُهم ، وكان قد ضلّ الطريق ووقع في سماوة ، وهي بادية بين دمشق والعراق .

(سَاهِي العَيْنِ) : ساكن عن الجريان .

(مِنْ سَدَمٍ) : أي من ندم وحزن .

وفي البيت استعارتان :

أولاً : شبّه المصنف النار بحيوان ، وذكر المشبَّه مع شيء من لوازم المشبَّه به وهي الأنفاس .

ثانياً : شبّه النهر بما شبه به النار ، وذكر ما هو من لوازم المشبّه به أي العين .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالىٰ :

إن نار مجوس الفرس وماء نهرهم قد لحقهما من الحيرة والدهشة والاضطراب ما يلحق ذوي العقول عند الإحساس بحلول الحوادث ، ونزول الكوارث .

فالنار قد خمد لهبها وسكن زفيرها من شدة ما لحقها من الأسف علىٰ زوال مُلك واقديها ، وحلول النقمة علىٰ مُسَعِّريها .

وماء الفرات قد ضلّ السبيل ولا يهتدي إلىٰ مجراه ، ولا يفقه كيف مسراه ، علماً منه بما سيكون مما هو جدير بما تجري عليه

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

* * * *

٦٣- وَسَاءَ سَاوَةَ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا
وَرُدَّ وَارِدُهَا بِالغَيْظِ حِينَ ظَمِي

الإعراب الموجز

(وَسَاءَ) : فعل ماض .

(سَاوَةَ) بفتح الواو: مفعول به على حذف مضاف ، أي أهل ساوة .

(أَنْ) بفتح الهمزة وسكون النون : موصول حرفي مؤول مع صلته لمصدر مرفوع على الفاعلية بـ **(سَاءَ)** .

(غَاضَتْ) بالغين والضاد المعجمتين : فعل ماض وتاؤه للتأنيث .

(بُحَيْرَتُهَا) بضم الباء وفتح الحاء : فاعل **(غَاضَتْ)** ، والهاء ضمير يعود لـ**(سَاوَةَ)** .

(وَرُدَّ) بضم الراء المهملة : فعل ماض مبني لِما لم يُسَمَّ فاعله .

(وَارِدُهَا) : نائب فاعل .

(بِالغَيْظِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(رُدَّ)** .

(حِينَ) : ظرف زمان منصوب بـ **(رُدَّ)** .

(ظَمِي) بفتح الظاء وكسر الميم وسكون الياء التي أُبدلت من الهمزة : فعل ماض ، وفاعله ضمير مستتر فيه يعود إلى **(وَارِدُهَا)** .

تفسير الكلمات

(وَسَاءَ سَاوَةَ) : بمعنى وأحزن أهل المدينة المدعوة ساوة ، وهي بلد تقع بين همدان والري .

(أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُها) : أي نقصت وجفت بحيث لم يبق فيها شيء ،

حتى أن لهب النار نبع من قعرها كأنما طُبخت أرضها .
وكان طول هذه البركة ستة أميال وعرضها كذلك ، تسير فيها السفن في البلاد التي على ساحلها .
وقال البكري: كان طولها عشر أميال ، وعرضها ستة أميال .
(وِرْدٌ وَارِدُهَا) : كذا أحزنها أيضاً أن رجع واردها الذي يأتي إليها يستسقي من مائها .
(بِالغَيْظِ) : أي من الغيظ المصاحب للغضب .
(حِينَ ظَمِي) : حين عطش .

المعنى الكلي

يقول المصنف : إن أهل بحيرة ساوة قد سيئت أحوالهم ، وانقطعت حبالهم ، إذ غاض ماء بحيرتهم التي كانوا يعيشون عليها .

فقد روي أنه كان لأهل ساوة بطيحة متسعة تتلاطم أمواجها تلاطم أمواج البحر الزاخر ، حيث التقت بها أنواع من الأنهار ، واحتفّت بها أجناس من الأشجار ، وأحاط بها من جميع جوانبها بِيَع وكنائس كانت معابد ومجامع لأهل البغي والعناد .

فلما منّ الله تبارك وتعالى على أهل الرشاد من العباد بميلاد سيد الكائنات سيدنا محمد ﷺ ، غاضت تلك البحيرة ، وبادت تلك البلاد ، ويبست تلك الأشجار . وذلك بما كسبت أيديهم ، وما الله يريد ظلماً للعباد .

ثم قال المصنف :

كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالماءِ مِنْ بَلَلٍ
حُزْناً وَبِالماءِ مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٦٤- كَـأَنَّ بِالنَّـارِ مَـا بِالمـاءِ مِــنْ بَلَـلٍ
حُزْنـاً وَبِالمـاءِ مَـا بِالنَّـارِ مِــنْ ضَـرَمِ

الإعراب الموجز

(كَأَنَّ) : حرف مشبه بالفعل ينصب الاسم ويرفع الخبر .

(بِالنَّارِ) : جار ومجرور متعلق بخبر **(كَأَنَّ)** المقدم .

(مَا) : اسم موصول ، وهو اسم **(كَأَنَّ)** مؤخر .

(بِالمَاءِ) : جار ومجرور صلة **(مَا)** متعلق بفعل محذوف .

(مِنْ بَلَلٍ) بفتحتين : جار ومجرور بيان لـ **(مَا)** الموصولة متعلق بحال محذوفة من عائد الصلة .

(حُزْناً) بسكون الزاي : مفعول لأجله .

(وَبِالمَاءِ) : خبر **(كَأَنَّ)** المحذوفة ، مدلول عليها بـ**(كَأَنَّ)** المذكورة قبل .

(مَا) : اسمها .

(بِالنَّارِ) : جار ومجرور صلتها .

والألف واللام في **(النَّارِ)** و**(المَاءِ)** للعهد الذكري ، أي النار المعبودة وماء البحيرة .

(مِنْ ضَرَمٍ) : جار ومجرور بيان لـ **(مَا)** الموصولة الثانية ، والمفعول لأجله محذوف لدلالة ما قبله عليه .

تفسير الكلمات

(كَأَنَّ) : من أدوات التشبيه .

(بِالنَّارِ) : أي نار فارس .

(بِالْمَاءِ) : أي ماء بحيرة ساوة .

(مِنْ بَلَلٍ) : من نداوة .

(حُزْناً) : أي للحزن ، وهو ضد السرور .

(وَبِالْمَاءِ) : أي كأن بالماء المتقدم ذكره .

(مَا بِالنَّارِ مِنْ ضَرَمٍ) : لحزنه ، والضرم هو الالتهاب .

المعنى الكلي

لقد عنى المصنف هنا أن الذي حدث في بحيرة ساوة وفي نار فارس ليس بأمر عادي ، إنما كان هو من علامة مولده ﷺ ؛ لهذا قال :

كأن الذي بالماء من برودة ومن بلل حاصل في نار فارس عند الولادة ؛ لأنها قد ذهب طبعها وانتقل إليها طبع الماء . وكأن الذي بالنار من الحرارة قد انتقل وحصل في الماء وصار له ، حتى ذهب طبعه من البرودة والإرواء والجريان ، وانتقل إلى طبع النار حتى ذهب وجف واحترق .

ولا تستغرب أيها القارئ الكريم فإنه قد كثر مثل هذا الاستعمال في لغة العرب ، حتى إنهم ليقولون : احترق النيل أي ماء النيل وانتقص على خلاف العادة .

ثم قال الناظم رحمه الله :

وَالجِنُّ تَهْتِفُ وَالأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ
وَالحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعْنىً وَمِنْ كَلِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٦٥- وَالجِـنُّ تَـهْتِفُ وَالأَنْـوَارُ سَـاطِعَةٌ
وَالحَـقُّ يَظْـهَرُ مِـنْ مَعْنـىً وَمِـنْ كَلِـمِ

الإعراب الموجز

(وَالجِنُّ تَهْتِفُ) : مبتدأ أول وخبره .

(وَالأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ) : مبتدأ ثان وخبره .

(وَالحَقُّ يَظْهَرُ) : مبتدأ ثالث وخبره .

(مِنْ مَعْنىً) ، **(وَمِنْ كَلِمِ)** : جار ومجرور متعلقان بـ **(يَظْهَرُ)** .

تفسير الكلمات

(وَالجِنُّ) : هم أولاد إبليس كما أن البشر أولاد آدم .

وقيل : إن الجن أولاد الجان ، فإبليس أبو الشياطين ، والجان أبو الجن . والقول الأول أرجح وأقوىٰ .

(تَهْتِفُ) : أي تصوت في تلك الليلة علىٰ الجبال وفي بطون الأودية ، وترفع أصواتها بالإعلان بما أظلّ الناس من نبوته ﷺ .

(وَالأَنْوَارُ) : جمع نور ، وهي نقيض الظلمة .

والمقصود منها هنا الأنوار التي خرجت معه ﷺ عند ولادته .

(سَاطِعَةٌ) : بمعنىٰ مرتفعة .

(وَالحَقُّ) : أي صدق النبوة .

(يَظْهَرُ مِنْ مَعْنىً) : أي ينكشف كالأنوار .

(وَمِنْ كَلِمِ) : كهتف الجن .

ولا يخفىٰ ما في العبارة من لف ونشر مشوش .

المعنى الكلي

والمعنىٰ هنا أن من علامات استعلاء دائرة نوره ﷺ القويم ، وأمارات استيلاء دائرة طريقه المستقيم ، وتباشير علو شأن هذا النبي الكريم الذي أُرسل رحمة للعالمين ، ومن مبشرات الرؤوف الرحيم : ارتفاع أصوات الجن في كل مكان في الإنباء عن ظهور صاحب النبوة سيدنا محمد ﷺ ، وارتفاع بنيان الإيمان ، وانخفاض ما ارتفع من الشرك والطغيان ، وسطوع أنوار الملة الغراء ، وطلوع كوكب السنة الشهباء ، وظهور بدر الحق المبين من مطالع سور الكلم ، ومكامن أسرار معاني أمور الدين .

حيث كانت الأنوار عند ولادته ﷺ ساطعة لِما جاء في الحديث عن أمه ﷺ أنها قالت : « لما ولدته خرج مني نور أضاء له قصور الشام . فولدته نظيفاً ، ولدته كما يولد السخل ما به قذر ، ووقع إلىٰ الأرض وهو جالس علىٰ الأرض بيده »[1] .

وإلىٰ ذلك يشير عمه العباس بقوله :

وأنتَ لَمّا وُلِدْتَ أشرقتِ الأر ... ضُ وضاءتْ بنوركَ الآفاقُ

فنحن في ذلك الضياءِ وفي النو ... رِ وسُبْلِ الرشاد نخترقُ

وبتعبير آخر يقول المصنف :

كان في مولده ﷺ أمور تخالف العادة ، منها : صياح الجن مما حصل لهم من الخوف والرعب ، وكانوا يتكلمون مع أوليائهم فيما داهمهم من ذلك مع ظهور أنواره ﷺ يوم مولده الشريف في الآفاق .

---

(١) : رواه ابن سعد في طبقاته .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

٦٦- عَمُوا وَصَمُّوا فَإِعْلاَنُ البَشَائِرِ لَمْ
تُسْمَعْ وَبَارِقَةُ الإِنْذَارِ لَمْ تُشَمِ

الإعراب الموجز

(عَمُوا) بفتح العين : فعل ماض وفاعل ، والضمير يعود للفرس .

(وَصَمُّوا) بفتح الصاد : فعل ماض وفاعل ، والجملة معطوفة على ما قبلها .

(فَإِعْلاَنُ) بكسر الهمزة : مبتدأ .

(البَشَائِرِ) : مضاف إليه .

(لَمْ تُسْمَعْ) بالبناء للمفعول : جازم ومجزوم ، واكتسب التأنيث من المضاف إليه . والجملة خبر المبتدأ .

(وَبَارِقَةُ) : مبتدأ .

(الإِنْذَارِ) بكسر الهمزة : مضاف إليه .

(لَمْ تُشَمِ) بضم التاء : جازم ومجزوم ، والجملة خبر المبتدأ .

تفسير الكلمات

(عَمُوا) : العمى ذهاب البصر ، وقيل : عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيراً .

(وَصَمُّوا) : الصمم ذهاب القوة السمعية عما من شأنه أن يكون سميعاً .

(فَإِعْلاَنُ) : الإعلان هو الإظهار .

(البَشَائِرِ) : جمع بشارة ، وهي الإخبار بوقوع أمر سار .

(لَمْ تُسْمَعْ) : لم تُسمع سماع قبول .

(وبَارِقَةُ) : ولامعة ، مأخوذة من بَرِقَ إذا لمع .

(الإِنْذَارِ) : أي به ﷺ .

(لَمْ تُشَمِ) : لم تُنْظَر .

المعنى الكلي

عنى المصنف هنا أن أهل فارس عموا فلم يبصروا بارقة الإنذار ، وصموا فلم يسمعوا إعلان البشائر من بعد إخبار الكهان لهم بأن دينهم المائل عن الحق لا يدوم .

فإن بعضاً ممن بُشر بقدوم النبي ﷺ الذي أرسل رحمة للعالمين ، وشاهداً لعلامة الدلالة على ظهور الحق المبين ، لم تطرق صِماخَيْه طارقة النبأ العظيم ، ولم يشم ناظراه بارقة ذلك النور المتألق في ظلمة الليل البهيم . وما ذلك إلا لأنهم لهم أعين لا يبصرون بها ، وآذان لا يسمعون بها . فإنهم كالأنعام ، وإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

ثم قال رحمه الله تعالى :

مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ
بِأَنَّ دِينَهُمُ المُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٦٧- مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الأَقْوَامَ كَاهِنُهُمْ

بِأَنَّ دِينَهُمُ المُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ

الإعراب الموجز

(مِنْ بَعْدِ) : جار ومجرور متعلق بـ**(صَمُّوا)** في البيت السابق ، وهو مطلوب أيضاً لـ**(عَمُوا)** من جهة المعنى على سبيل التنازع .

(مَا) : موصول حرفي يُسْبَكُ مع صلته بمصدر مجرور بإضافة **(بَعْدِ)** إليه .

(أَخْبَرَ) : فعل ماض .

(الأَقْوَامَ) : مفعول به مقدم .

(كَاهِنُهُمْ) : فاعل مؤخر .

(بِأَنَّ) بفتح الهمزة : متعلق بـ**(أَخْبَرَ)** .

(دِينَهُمُ) : اسم **(أَنَّ)** .

(المُعْوَجَّ) بضم الميم وسكون العين : نعت **(دِينَهُمُ)** .

(لَمْ يَقُمِ) بفتح الياء وضم القاف : جازم ومجزوم ، والجملة خبر **(أَنَّ)** .

تفسير الكلمات

(مِنْ بَعْدِ) : أي وكان عماهم عما شاهدوا من الآيات ، وصممهم عما سمعوا منها من بعد ...

(مَا أَخْبَرَ الأَقْوَامَ) : جمع قوم ، والمراد أي مِن بعد ما علم العُمْي الصُّم حقيقة الحال من كهانهم .

(كَاهِنُهُمْ) : الكاهن هو الذي كانوا يصدقونه ويتبعونه . وجمع الكاهن كهان ، وهم علماؤهم الذين كانوا يخبرونهم بالغيب حسبما يخبرهم بذلك أصحابهم من الجن الذين كانوا يسترقون السمع ، لكنهم يزيدون على الكلمة الصادقة مائة كذبة .

(بِأَنَّ دِينَهُمُ الْمُعْوَجَّ) : أي بأن عقائدهم المائلة عن الحق .

(لَمْ يَقُمِ) : لم يدم ، مأخوذ من قام الأمر إذا دام .

المعنى الكلي

عنى المصنف في هذا البيت أن القوم الذين طُبِعَ على قلوبهم وخُتِمَ على سمعهم وأبصارهم ، لم ينفع فيهم ما ظهر من الآيات البينات ، ولم ينتفعوا بما سطع من الأنوار والحجج القاطعات ، ولم يصغوا إلى ما قرع سمعهم من الزواجر والمواعظ ، مع أن شياطينهم الملعونين وكهنتهم الضالين قد أنبؤوهم بأن طريقتهم التي أصبحت عوجاء بسبب تبديلهم وتغييرهم أخذت في الاضمحلال والذهاب ، وأن صاحب الشريعة الشهباء والسنة الغراء قد سطعت أنوار تباشير طلائع دولته ، وطلعت كواكب السعد من سماء ملته .

ثم قال رحمه الله تعالى :

وَبَعْدَ مَا عَايَنُوا فِي الأُفْقِ مِنْ شُهُبٍ
مُنْقَضَّةٍ وَفْقَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ صَنَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٦٨- وَبَعْدَ مَا عَايَنُوا فِي الأُفْقِ مِنْ شُهُبٍ
مُنْقَضَّةٍ وَفْقَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ صَنَمِ

الإعراب الموجز

(وَبَعْدَ) : يجوز فيه النصب بالعطف على محل **(مِنْ بَعْدِ مَا أَخْبَرَ الأَقْوَامَ)** في البيت السابق ، ويجوز فيه الجر بالعطف على لفظه ، والرواية وردت بالنصب دون الجر .

(مَا) : موصولة بمعنى الذي .

(عَايَنُوا) : صلتها ، وعائدها محذوف والتقدير عاينوه .

(فِي الأُفْقِ) بضم الهمزة وسكون الفاء : جار ومجرور متعلق بـ **(عَايَنُوا)** .

(مِنْ شُهُبٍ) بضم الشين والهاء : جار ومجرور بيان لـ**(مَا)** .

(مُنْقَضَّةٍ) بضم الميم وسكون النون وتشديد الضاد : نعت **(شُهُبٍ)**.

(وَفْقَ) بفتح الواو وسكون الفاء : منصوب بنزع الخافض ، أي على وفق .

(مَا) : موصول اسمي .

(فِي الأَرْضِ) : جار ومجرور صلتها .

(مِنْ صَنَمِ) بفتح الصاد والنون : جار ومجرور بيان لـ **(مَا)** ، أي من جنس الصنم الصادق بالكثير .

تفسير الكلمات

(وَبَعْدَ مَا) : أي بعد الذي .

(عَايَنُوا) : أي عاينوه ، بمعنى شاهدوه وأبصروه .

(فِي الأُفْقِ) : المراد بالأفق هنا السماء ، لا حقيقته التي هي أطراف السماء .

(مِنْ شُهُبٍ) : جمع شهاب ، وهو شعلة من نار ساطعة .

(مُنْقَضَّةٍ) : أي ساقطة من السماء على الشياطين الذين كانوا يسترقون السمع ليلة ولادته ﷺ ، ولم يكن للكفار عهد بمثل ذلك ، وإن كان لهم عهد به في الجملة .

(وَفْقَ مَا فِي الأَرْضِ) : أي مثل ما في الأرض في الانقضاض ؛ لأن أصنام الدنيا أصبحت منكوسة تلك الليلة .

(مِنْ صَنَمِ) : الصنم هو الوثن ما كان غير مصور .

وقيل : الصنم ما كان من حجر ، والوثن ما كان من غيره كنحاس .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

إن المشركين عموا فلم يؤمنوا به ﷺ من بعد ما أخبرهم كهانهم بما ذكرنا سابقاً ، ومن بعد ما عاينوا في الأفق من الشهب التي لم يشاهدوها من قبل ذلك .

وأشار المصنف بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ﴾ [الجن].

وذلك أن الشياطين كانوا قبل مبعث النبي ﷺ يقعدون إلى سماء الدنيا ، ويسترقون ما يُذكر فيها من قِبَلِ الملائكة . فلما بُعث النبي ﷺ حُرست السماء بالشهب ، فعاينوا شيئاً لم يعاينوه من قبل .

وقال بعض العلماء : إن الرجم كان قبل مبعث النبي ﷺ ، ولكن لم يكن كثيراً كما هو اليوم في شدة الحراسة .

واختلف العلماء : هل حدث رجم الشياطين بمولده عليه الصلاة والسلام ؟

ولقد حكىٰ الزمخشري في تفسير سورة الجن عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما : أن الشياطين كانوا لا يحتجبون عن السماوات ، فلما وُلد عيسىٰ عليه السلام حُجبوا عن ثلاث سماوات ، فلما وُلد سيدنا محمد ﷺ حُجبوا من السماوات كلها ، فمنعوا من سائرها بسقوط الشهب عليهم بكثرة . لكن كانوا مع هذا كله يقعدون في مقاعد قريبة من السماء بحيث يسمعون صريف أقلام الملائكة التي تكتب ما يقع في العالم ، فلما بعث ﷺ مُنعوا من ذلك بالشهب أيضاً كما قال تعالىٰ حكاية عنهم : ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ . [الجن: ٩].

ثم قال صاحب التصنيف :

حَتَّىٰ غَدَا عَنْ طَرِيقِ الوَحْيِ مُنْهَزِمٌ
مِنَ الشَّيَاطِينِ يَقْفُو إِثْرَ مُنْهَزِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٦٩- حَتَّىٰ غَدَا عَنْ طَرِيقِ الوَحْيِ مُنْهَزِمٌ
مِنَ الشَّيَاطِينِ يَقْفُو إِثْرَ مُنْهَزِمِ

الإعراب الموجز

(حَتَّىٰ) : حرف غاية للابتداء .

(غَدَا) : فعل ماض .

(عَنْ طَرِيقِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(غَدَا)** .

(الوَحْيِ) : مضاف إليه .

(مُنْهَزِمٌ) بضم الميم وسكون النون وكسر الزاي : فاعل **(غَدَا)** .

(مِنَ الشَّيَاطِينِ) : جار ومجرور نعت **(مُنْهَزِمٌ)** .

(يَقْفُو) : فعل مضارع ، وفاعله مستتر فيه يعود إلىٰ **(مُنْهَزِمٌ)** . والجملة نعت ثان له .

(إِثْرَ) بكسر الهمزة وسكون الثاء : متعلق بـ **(يَقْفُو)** ، وهي مضاف .

(مُنْهَزِمِ) : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(حَتَّىٰ) : بمعنىٰ إلىٰ .

(غَدَا) : صار ، ولنا أن نقول : الغُدْوَة مقابل الرَّوْحة .

(عَنْ طَرِيقِ الوَحْيِ) : المقصود به السماء ، والوحي هو الكلام الخفي .

(مُنْهَزِمٌ) : هارب .

(مِنَ الشَّيَاطِينِ) : بيان لـ**(مُنْهَزِمٌ)** مَشُوب بتبعيض .

(يَقْفُو إِثْرَ مُنْهَزِمِ) : أي يتبع إثر هارب آخر .

المعنى الكلي

يقول المصنف :

ولم تزل الشهب تنقض على الشياطين التي كانت تسترق السمع من قبل المولد الشريف ، حتى صار كل من الشياطين منهزماً تابعاً انهزامه إثر منهزم آخر من الشياطين .

ثم قال :

كَأَنَّهُمْ هَرَباً أَبْطَالُ أَبْرَهَةٍ

أَوْ عَسْكَرٌ بِالحَصَىٰ مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِي

❁ ❁ ❁ ❁

٧٠- كَـأَنَّـهُمْ هَرَبـاً أَبْطَـالُ أَبْرَهَـةٍ

أَوْ عَسْكَرٌ بِـالحَصَىٰ مِـنْ رَاحَتَيْهِ رُمِـي

الإعراب الموجز

(كَـأَنَّـهُمْ) : حـرف تشـبيه ونصـب ينصـب الاسـم ويرفـع الخـبر ، والضمير اسمها .

(هَرَباً) : حـال ، والعـامل فيـها مـا في **(كَـأَنَّ)** مـن معنـىٰ التشـبيه ، وذو الحال اسم **(كَأَنَّ)** .

(أَبْطَالُ) : خبرها ، وهي مضاف .

(أَبْرَهَةٍ) بفتـح الهمـزة وسـكون البـاء : مضـاف إليـه ، وصُـرف هنـا للضرورة الشعرية .

(أَوْ عَسْكَرٌ) : معطوف علىٰ **(أَبْطَالُ)** ، ويجوز عطفه كذلك علىٰ **(أَبْرَهَةٍ)** .

(بِالحَصَىٰ) : جار ومجرور متعلق بـ **(رُمِي)** .

(مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِـي) : بالبنـاء للمفعـول ، معطـوف في المعنـىٰ علـىٰ خبر **(كَأَنَّ)** .

وتقدير البيت : كأن الشياطين في حال كونهم هاربين أبطـال أبرهـة ، أو كأنهم عسكر رُمِيَ بالحصىٰ من راحتي النبي ﷺ .

تفسير الكلمات

(كَأَنَّهُمْ) : أي الشياطين .

(هَرَباً) : في حال هروبهم من الشهب .

(أَبْطَـالُ) : أي شـجعان . وسُـمي البطـل بطـلاً لأن الشـجعان تبطـل هممهم وشجاعتهم عند ملاقاته .

والمراد بالأبطال هنا الأبطال الشجعان من فرسان أبرهة الذين جاءوا لهدم الكعبة .

(أَبْرَهَةٍ) : هو صاحب الفيل ، ومعناه بلسان الحبشة الأبيض الوجه .

وذلك أن ملك اليمن بنىٰ فيها كنيسة ليصرف إليها الحجاج ، فأحدث فيها رجل من بني كنانة ولطّخ صدرها بالعَذِرة ، فلما علم أبرهة بذلك أقسم لَيهدمن الكعبة ، فجاء بالجيش العظيم والفيلة الكثيرة متجهاً إلىٰ مكة . وحين تهيئوا للدخول وهدم الكعبة غُشي عليهم وولوا هاربين ، ورُموا بحجارة من سجيل كما أخبرنا ربنا تبارك وتعالىٰ في القرآن الكريم في سورة الفيل . فتفرّقت عليهم وترادفت فلا تخطئ واحداً منهم ، وصرخ القوم وصار بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون . وكان الحجر لا يصيب شيئاً إلا هشمه ، وما وقع علىٰ رجل إلا خرج من الجانب الآخر ، وإن وقع علىٰ رأسه خرج من دبره . وقال بعضهم : كان إذا غاص في دماغ الرجل ذهب منه السمع والبصر ، وإذا غاص في جوفه قطّع أمعاءه ، نعوذ بالله تعالىٰ من مقته وعذابه .

(أَوْ عَسْكَرٌ) : العسكر هو الجيش العظيم .

(بِالحَصَىٰ) : جمع حصاة ، وهي حجارة صغار صلبة .

(مِنْ رَاحَتَيْهِ) : أي من بطن كفيه ﷺ .

(رُمِي) : تنبيهاً علىٰ أن ذلك الرمي وإن باشرته كفاه الشريفتان ﷺ ، فالرامي في الحقيقة هو الله تعالىٰ .

قال تبارك اسمه في كتابه العزيز : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال: ١٧].

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

كأن الشياطين الذين رُموا بالشهب في شدة هربهم أمثال أبرهة في حال كونهم هاربين هرباً شديداً .

ولقد أشار المصنف هنا بقوله : **(أَوْ عَسْكَرٌ بِالحَصَىٰ مِنْ راحَتَيْهِ رُمِي)** إلى ما روي عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي في يوم بدر قالا : « لما دنا القوم بعضهم من بعض أخذ رسول الله ﷺ قبضة من تراب ، فرمى بها في وجوه القوم وقال : شاهت الوجوه ، فدخلت في أعينهم كلهم ، وأقبل أصحاب رسول الله ﷺ يقتلونهم ويأسرونهم ، وكانت هزيمتهم في رمية رسول الله ﷺ »(1) .

وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « رفع رسول الله ﷺ يده يوم بدر فقال : يا رب ، إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبداً . فقال له جبريل : خذ قبضة من التراب ، فأخذ قبضة من التراب فرمى بها في وجوههم ، فما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة ، فولوا مدبرين »(2) .

وقال قتادة رحمه الله : أخبر ابن وهب عن ابن زيد قال : « هذا يوم بدر أخذ رسول الله ﷺ ثلاث حصيات ، فرمى بحصاة في ميمنة القوم ، وحصاة في ميسرة القوم ، وحصاة بين أظهرهم ، وقال : شاهت الوجوه ، فانهزموا . وذلك قول الله تعالى: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ »(3) .

---

(1) ، (2) ، (3) : هذه الروايات ذكرها الطبري في تفسيره .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

* * * *

٧١- نَبْذاً بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحٍ بِبَطْنِهِمَا
نَبْذَ المُسَبِّحِ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمِ

الإعراب الموجز

(نَبْذاً) : مفعول مطلق والناصب له **(رُمِي)** ؛ لأنه يلاقيه في المعنى ، حيث المعنى هو النبذ على حد وقعتُ جُلُساً .

(بِهِ) ، **(بَعْدَ)** : متعلقان بـ **(رُمِي)** .

(تَسْبِيحٍ) : مضاف إليه .

(بِبَطْنِهِمَا) : نعت **(تَسْبِيحٍ)** .

(نَبْذَ) : مفعول مطلق .

(المُسَبِّحِ) بضم الميم وكسر الباء المشددة : مضاف إليه .

(مِنْ أَحْشَاءِ) : جار ومجرور حال من **(المُسَبِّحِ)** .

(مُلْتَقِمِ) بضم الميم وسكون اللام وكسر القاف : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(نَبْذاً) : بمعنى رمياً .

(بِهِ) : أي بالحصى .

(بَعْدَ تَسْبِيحٍ بِبَطْنِهِمَا) : أي بعد تسبيح الحصى لله في كفه ﷺ . والتسبيح هنا تنزيه الله تبارك وتعالى عن النقائص .

(نَبْذَ المُسَبِّحِ) : أي كنبذ المسبح ، والمقصود به هنا سيدنا يونس عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم .

(مِنْ أَحْشَاءِ) : جمع حشى ، وهو ما حوته الضلوع من الحيوان .

(مُلتَقِم) : المراد به الحوت الذي التقم سيدنا يونس عليه السلام ، حيث قال الله تعالى : ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ [الصافات]. أي فابتلع الحوت سيدنا يونس عندما ألقي من السفينة ، حيث سار في البحر وركبه بدون إذن من الله تبارك وتعالىٰ . فلولا أنه كان من الذاكرين لله كثيراً في بطن الحوت لصار له قبراً إلىٰ يوم القيامة .

قال تعالىٰ : ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ، فببركة تسبيحه خرج من بطن الحوت وأُلقي علىٰ وجه الأرض بالساحل بعد فترة اختلف فيها وهو عليل ، وبقي علىٰ الشاطئ بعد أن أنبت له الله عز وجل شجرة من يقطين ، وسخر له غزالة ترضعه من لبنها ، حتىٰ قوي عوده وعاد إلىٰ نشاطه ، وأرسله الله بذلك إلىٰ قومه .

وفي كلام المصنف من المحسنات البديعية ما هو واضح ؛ لأنه بعد أن تكلم علىٰ انقضاض الشهب علىٰ الشياطين ، وتشبيههم في حال هربهم بأبطال أبرهة ، أو عسكر رُمِيَ بالحصىٰ من راحتيه الشريفتين ، استتبع الكلام علىٰ تسبيح الحصىٰ بكفيه ﷺ .

وحقيقة الاستتباع أن يضمن كلامٌ سيق لمعنىً معنىً آخر .

وقد شبّه المصنف هنا نبذ النبي ﷺ بنبذ الحوتِ الحوتَ ، كما شبّه تسبيح الحصىٰ بتسبيح يونس عليه السلام .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالىٰ هنا :

لقد طرح رسول الله ﷺ الحصىٰ بعد ما سبح في كفيه طرحاً

في وجوههم مثل طرح يونس بعد ما سبح في بطن الحوت .

وحديث تسبيح الحصىٰ في كفيه ﷺ روي عن أنس رضي الله عنه حيث قال : « تناول النبي ﷺ من الأرض سبع حصيات فسبّحن في يده ، ثم ناولهن أبا بكر فسبحن في يده ، ثم ناولهن النبيُّ ﷺ عمرَ فسبحن في يده كما سبحن في يد أبي بكر ، ثم ناولهن عثمان فسبحن في يده كما سبحن في يد عمر »(١).

وفي العبارة رد علىٰ من اعترض علىٰ المصنف بأنه لم يثبت أن الحصىٰ الذي رمىٰ به النبي ﷺ يوم بدر أو يوم حنين سبح في كفه قبل أن يرمي به .

والحاصل أن المصنف قصد الإخبار بخرق العادة في كون حصى الكفين أصاب الجمع العظيم .

ثم كأنه يقول : وهذا الإخبار الغريب كان بعد إخبار آخر غريب وقع له في الحصىٰ وكان خارقاً للعادة كذلك ، وهو كونه سبّح في كفه الشريفة ﷺ .

ثم قال رحمه الله :

جَـاءَتْ لِدَعْوَتِـهِ الأَشْـجَارُ سَـاجِدَةً
تَمْشِـي إِلَيْـهِ عَلَـىٰ سَـاقٍ بِـلاَ قَـدَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

(١) : رواه الطبراني في الأوسط ، وابن سعد بإسناد حسن . كما روىٰ البزار نحوه عن أبي ذر .

٧٢- جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الأَشْجَارُ سَاجِدَةً

تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَىٰ سَاقٍ بِلاَ قَدَمِ

الإعراب الموجز

(جَاءَتْ) : فعل ماض ، والتاء علامة التأنيث .

(لِدَعْوَتِه) : جار ومجرور متعلق بـ **(جَاءَتْ)** .

(الأَشْجَارُ) : فاعل **(جَاءَتْ)** .

(سَاجِدَةً) : حال من **(الأَشْجَارُ)** .

(تَمْشِي) : فعل مضارع ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هي .

والجملة حال ثان من **(الأَشْجَارُ)** ، أو من فاعل **(سَاجِدَةً)** المستتر فيه . فهي على الأول من الأحوال المترادفة ، وعلى الثاني من الأحوال المتداخلة .

(إِلَيْه) ، **(عَلَىٰ سَاقٍ)** : جار ومجرور متعلقان بـ **(تَمْشِي)** .

(بِلاَ قَدَمِ) بكسر الباء وفتح القاف : في موضع النعت لـ**(سَاقٍ)** ، أو متعلق بـ **(تَمْشِي)** .

تفسير الكلمات

(جَاءَتْ) : أتت .

(لِدَعْوَتِهِ) : أي لندائه ﷺ .

ولم يقل المصنف لدعائه ؛ تنبيهاً على أنها بأول دعوة واحدة بادرت إلى امتثال أمره ﷺ .

(الأَشْجَارُ) : جمع شجرة ، وهي ما له ساق من النبات . والألف واللام فيها للجنس .

(سَاجِدَةً) : خاشعة ، فالمراد بالسجود هنا معناه اللغوي وهو الخضوع .

(تَمْشِي إِلَيْهِ) : الضمير يعود للنبي ﷺ .

(عَلَىٰ سَاقٍ) : الساق ما تحت الفروع من الشجرة .

(بِلاَ قَدَمٍ) : القدم هو طرف الرجل ، والمراد هنا أي لا قدم يعينها على المشي .

المعنى الكلي

إن المصنف أشار بهذا البيت إلى الحديث الذي رُوي عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه قال : « سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح ، فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته ، فاتبعته بإداوة من ماء ، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به ، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي . فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما ، فأخذ بغصن من أغصانها فقال : انقادي عليّ بإذن الله ، فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده ، حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال : انقادي عليّ بإذن الله ، فانقادت معه كذلك ، حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما لأَمَ بينهما - يعني جمعهما - ، فقال : التئما عليّ بإذن الله ، فالتأمتا . قال جابر : فخرجت مخافة أن يحس رسول الله ﷺ بقربي فيبتعد ، فجلست أحدث نفسي فحانت مني لفتة ، فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبلاً ، وإذا الشجرتان قد افترقتا ، فقامت كل واحدة منهما على ساق ، فرأيت رسول الله ﷺ وقف وقفة فقال برأسه هكذا - وأشار برأسه يميناً وشمالاً - »[1] .

---

(١) : رواه مسلم في صحيحه في حديث طويل ، والطبراني في الأوسط والكبير عن ابن مسعود ، والبزار بنحوه . كما أخرجه الدارمي وعبد بن حميد .

كما أشار إلى الحديث الذي رواه بريدة قال : « جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني قد أسلمت فأرني شيئاً أزد به يقيناً . قال : ما الذي تريده ؟ قال : ادعُ تلك الشجرة فلتأتك ، قال : اذهب فادعها . قال : فأتاها الأعرابي فقال : أجيبي رسول الله ، فمالت على جانب من جوانبها فقطّعت عروقها ، ثم مالت على الجانب الآخر فقطّعت عروقها ، ثم أقبلت عن عروقها وفروعها مغبرة فقالت : عليك السلام يا رسول الله . قال : فقال الأعرابي : حسبي حسبي يا رسول الله ، فقال لها : ارجعي ، فرجعت فحامت على عروقها وفروعها كما كانت ، فقال الأعرابي : ائذن لي أن أقبل رأسك ورجلك ، فأذن له . ثم قال : يا رسول الله ، ائذن لي أن أسجد لك . فقال : لا يسجد أحد لأحد ، ولو أمرتُ أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ؛ لِعِظَم حقه عليها »[1] .

ولقد اتضح لدينا كيف أتت لدعوته الأشجار حال كونها خاضعة حين دعاها لتأتيه لحاجته بها ، أو دعائه إياها للإيمان به حال كونها تمشي على ساق بلا قدم .

وإنما ذلك معجزة له ﷺ ، وتأييد إلهي لا يكون إلا لمثله .

ثم أكد المصنف اعتدال مشيتها وسلوكها بقوله :

كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْراً لِمَا كَتَبَتْ
فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الخَطِّ بِاللَّقَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) : رواه أبو بكر المقري في تقبيل اليد ج١ ص٦٤ . وروى نحوه البزار بسند آخر ، وأبو بكر الروياني في مسنده ج١ ص٧٨ .

٧٣- كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْراً لِمَا كَتَبَتْ

فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الخَطِّ بِاللَّقَمِ

الإعراب الموجز

(كَأَنَّمَا) : حرف تشبيه مهمل .

(سَطَرَتْ) بفتح السين والطاء : فعل ماض ، والتاء للتأنيث ، وفاعله مستتر فيه جوازاً يعود على **(الأَشْجَارُ)** في البيت السابق .

(سَطْراً) : مفعول به .

(لِمَا) : جار ومجرور متعلق بـ **(سَطَرَتْ)** ، و**(مَا)** موصول اسمي .

(كَتَبَتْ) : فعل ماض ، والتاء للتأنيث .

(فُرُوعُها) : فاعل لـ**(كَتَبَتْ)** .

والجملة صلة **(مَا)** ، والعائد محذوف أي كتبته .

(مِنْ بَدِيعِ) : جار ومجرور بيان لـ **(مَا)** متعلق بـ**(كَتَبَتْ)** .

(الخَطِّ) بفتح الخاء : مضاف إليه .

(بِاللَّقَمِ) بفتح اللام والقاف : جار ومجرور متعلق بـ**(كَتَبَتْ)** .

تفسير الكلمات

(كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْراً) : أي كأن الشجرة بمشيها إليه ﷺ أو بسجودها .

(لِمَا كَتَبَتْ فُرُوعُهَا) : أي خطّت فروعها .

(مِنْ بَدِيعِ الخَطِّ) : أي المبتدع إما لحسنه تتميم للاستعارة ، وإما لأنه خط لا يُعهد مثله من مثلها .

(بِاللَّقَمِ) : وهو وسط الطريق ، والباء هنا بمعنىٰ في .

وفي (اللَّقَمِ) تتميم ، أي لم تنحرف عما كتبته عن وسط الطريق .

المعنى الكلي

هنا شبّه المصنف فروع تلك الشجرة عند مشيها في الأرض بالأقلام ، وشبّه أثر مشيها على الأرض بالحروف المكتوبة ، وشُبهت الأرض وهي (اللَّقَم) باللوح ، فقال :

كأن الأشجار في مشيها قد سطرت فروعها سطراً على الأرض ، وكتبت كتابة بديعة حسنة على اللَّقَمِ .

ثم قال رحمه الله تعالى :

مِثْلَ الغَمَامَةِ أَنَّىٰ سَارَ سَائِرَةً

تَقِيهِ حَرَّ وَطِيسٍ لِلْهَجِيرِ حَمِي

❁ ❁ ❁ ❁

٧٤- مِثْلَ الغَمَامَةِ أَنَّىٰ سَارَ سَائِرَةً

تَقِيهِ حَرٌّ وَطِيسٍ لِلْهَجِيرِ حَمِي

الإعراب الموجز

(مِثْلَ) : بالنصب علىٰ الحال من فاعل **(تَمْشِي)** .

وتعرب كذلك بالرفع **(مِثْلُ)** علىٰ أنها خبر مبتدأ محذوف ، أي هي مثل الغمامة .

(الغَمَامَةِ) : مضاف إليها .

(أَنَّىٰ) بفتح الهمزة والنون المشددة : ظرف زمان ، وفيه معنىٰ الشرط .

(سَارَ) : فعل ماض علىٰ أنه فعل الشرط .

(سَائِرَةً) : بالنصب حال من **(الغَمَامَةِ)** ، ويجوز أن تكون حالاً من المضاف إليه ؛ لأن المضاف **(مِثْلَ)** بمعنىٰ مماثل ، فهو عامل في الحال .

وجواب الشرط محذوف ، أي فهي سائرة معه .

(تَقِيهِ حَرٌّ) بفتح التاء وكسر القاف : فعل مضارع متعد لاثنين ، أولهما الهاء ، وثانيهما **(حَرٌّ)** بفتح الحاء والراء المشددة .

والجملة إما صفة لـ**(سائِرَةً)** ، وإما حال من **(الغَمَامَةِ)** .

(وَطِيسٍ) بفتح الواو وكسر الطاء : مضاف إليه .

(لِلْهَجِيرِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(حَمِي)** .

(حَمِي) بفتح الحاء وكسر الميم وسكون الياء : فعل ماض ، وفاعله ضمير **(وَطِيسٍ)** المستتر فيه ، والجملة نعت **(وَطِيسٍ)** .

تفسير الكلمات

(مِثْلَ الغَمَامَةِ) : الغمامة سحاب يعم الأفق ، أي وهذه الآية هي مثل آية الغمامة في التسخير .

(أنَّىٰ) : بمعنىٰ كيف .

(سَارَ سَائِرَةً) : السير هو الحركة الشديدة الكثيرة .

(تَقِيه) : أي تحفظه ﷺ بظليلها له .

(حَرِّ وَطِيسٍ) : أي حر الشمس الشبيهة في الحرارة بالوطيس .

والوطيس هنا في كلام المصنف مستعار للشمس علىٰ طريق الاستعارة التصريحية ، وإن كان في الأصل هو التنور .

(لِلْهَجِيرِ) : اللام بمعنىٰ عند ، أي عند الهجير .

(حَمِي) : بمعنىٰ اشتدّ ، يقال : حمي الوطيس إذا اشتد الحر .

المعنى الكلي

عنىٰ المصنف هنا أن تسخير الله ﷻ الأشجار له ﷺ كتسخير الغمام ليسير معه كالمظلة فوق رأسه ﷺ ؛ ليحفظ بدنه المطهر وجسمه الشريف من حر سموم الهجير ، والله تبارك وتعالىٰ علىٰ كل شيء قدير .

وكما حفظ الله تبارك وتعالىٰ باطنه ﷺ من الشَّيْن والرَّيْن ، حفظ كذلك ظاهره من أذىٰ ما يؤذي . وكما سخّر له العالم السفلي من المياه والجبال والأحجار ، فكذلك سخر له العالم العلوي من الشمس والقمر والغمام والأمطار . فهو ﷺ النبي المطاع ، والرسول الواجب الاتباع .

واعلم أيها القارئ أن تظليل الغمام له ﷺ في سفره جاء في كثير

من الروايات ، من ذلك ما رواه القاضي عياض في الشفاء أن خديجة ونساءها رأينه حين قدم من سفره لبُصرىٰ ومَلَكان يظلانه ، فذكرتْ ذلك لميسرة غلامها ، فأخبرها أنه رأىٰ ذلك منذ خرج معه في سفره .

وكذلك روي أن حليمة السعدية رضي الله عنها رأت غمامة تظله وهو عندها ، وأن أخاه من الرضاع شاهد مثل ذلك .

كما أشار المصنف في هذا البيت إلىٰ ما رواه ابن إسحاق معضلاً أنه لما خرج ﷺ مع عمه في جماعة ، نزلوا قريباً من صومعة بَحيرا[1] وصنع لهم طعاماً كثيراً ؛ لأنه فيما يزعمون رأىٰ رسول الله ﷺ حين أقبل وغمامة تظله من بين القوم ، ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريباً منه ، فنظر إلىٰ الغمامة حين أظلته الشجرة ، وتهصرت أغصانها علىٰ رسول الله ﷺ حين استظل تحتها .

وفي رواية أخرىٰ عن أبي موسىٰ الأشعري قال : « خرج أبو طالب إلىٰ الشام وخرج معه النبي ﷺ في أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا علىٰ الراهب - يعني بحيرا - هبطوا فحلوا رحالهم ، فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت . قال : فنزل وهم يحلون رحالهم ، فجعل يتخللهم حتىٰ جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ وقال : هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين ، يبعثه الله رحمة للعالمين . فقال له أشياخ من قريش : وما علمك ؟ فقال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خرّ ساجداً ، ولا يسجدان إلا لنبي ، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل غضروف كتفه مثل

(١) : بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة مقصوراً ، واسمه جِرجِيس بكسر الجيمين .

التفاحة . ثم رجع فصنع لهم طعاماً ، فلما أتاهم به وكان هو في رعية الإبل قال : أرسلوا إليه ، فأقبل وعليه غمامة تظله . فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة ، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه ، فقال : انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه .... إلى آخر الحديث»[1] .

ثم قال الناظم :

أَقْسَمْتُ بِالقَمَرِ المُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ
مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ القَسَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) : رواه الترمذي في سننه وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من طريق أبي نوح قراد ، واسمه عبدالرحمن بن غزوان ، وهو ممن خرّج له البخاري ، ووثقه جماعة من الحفاظ . وقد سمعه منه أحمد وابن معين وأبو موسى ، إما أن يكون تلقاه من النبي ﷺ فيكون أبلغ ، أو من بعض كبار الصحابة ، أو كان مشهوراً فأخذه بطريق الاستفاضة .
كما رواه الحاكم وصححه ، وابن أبي شيبة ، وأبو نعيم الأصبهاني ، والخرائطي في الهواتف ، وابن عساكر ، والبيهقي وقال : هذه قصة مشهورة عند أهل المغازي .
وقال الحافظ ابن حجر : الحديث رجاله ثقات ، وذكر الجلال السيوطي في الخصائص الكبرى أن للقصة شواهد .

٧٥- أَقْسَمْتُ بِالقَمَرِ المُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ
مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ القَسَمِ

الإعراب الموجز

(أَقْسَمْتُ) بضم التاء : فعل وفاعل .

(بِالقَمَرِ) : جار ومجرور متعلق بـ**(أَقْسَمْتُ)** على تقدير مضاف بين الجار والمجرور ، أي برب القمر .

(المُنْشَقِّ) : نعت **(القَمَرِ)** .

(إِنَّ) : حرف توكيد ونصب .

(لَهُ) : جار ومجرور متعلق بخبر **(إِنَّ)** مقدم ، والضمير يعود لـ**(القَمَرِ)** .

(مِنْ قَلْبِهِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(نِسْبَةً)** ، والضمير يعود للنبي ﷺ .

(نِسْبَةً) بكسر النون وسكون السين وفتح الباء : اسم **(إِنَّ)** مؤخر .

وجملة **(إِنَّ)** ومعموليها جواب **(أَقْسَمْتُ)** لا محل لها من الإعراب .

(مَبْرُورَةَ) : نعت لمحذوف .

(القَسَمِ) : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(أَقْسَمْتُ) : القسم هو اليمين .

(بِالقَمَرِ) : أي برب القمر ؛ لأن أهل الشرع يمنعون الحلف لغير الله تعالى وإنْ عليه ألسُن العوام ، حيث لا يجوز للمخلوق أنْ يقسم بغير الخالق ، كما ورد عن النبي ﷺ أنه قال :

« مَن حلف بغير الله فقد أشرك »[1] .

وأما ربنا تبارك وتعالىٰ فله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته لأنها من آثاره ، والشاهد في القرآن كثير .

وقد سُمي القمر قمراً لبياضه ولاستنارته ، أو لأنه يَغلب العيون بنوره . حيث يسمىٰ في الليالي البيض بذلك ، وهي ليلة الثالث عشرة ، والرابع عشرة ، والخامس عشرة .

(المُنْشَقِّ) : أي الذي انشق معجزة لسيدنا محمد ﷺ .

(إِنَّ لَهُ) : أي للقمر المنشق .

(مِنْ قَلْبِهِ) : أي قلب النبي ﷺ .

(نِسْبَةً) : أي شبهاً .

ونسبة القمر من قلبه ﷺ أن قلبه الشريف إنما شُقَّ ، وكذلك القمر .

(مَبْرُورَةَ القَسَمِ) : مِن بَرَّ في يمينه ، أي أمضاها علىٰ الصدق .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالىٰ :

أقسمتُ برب القمر يميناً مبرورة أن للقمر المنشق شبهاً لقلبه ﷺ في انشقاق كل منهما . ووجه الشبه هنا بين الانشقاقين جَرْيُهُما علىٰ خلاف العادة في الانشقاق والالتئام من غير تأثير ولا إخلال .

أما انشقاق القمر له ﷺ فكان معجزة له ، وذلك حينما سأله أهل مكة أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر فلقتين كما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه

(١) : رواه الترمذي وحسّنه من رواية ابن عمر . وأخرجه أحمد ، وأبو داود ، وابن حبان ، والبيهقي .

قال : « بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنىٰ انفلق القمر فلقتين ، فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه ، فقال لنا رسول الله ﷺ : اشهدوا »[١] .

وعنه كذلك قال : « انشق القمر علىٰ عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش : هذا سحر ابن أبي كبشة ، فقالوا : انظروا ما يأتيكم به السفار ، فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم . قال : فجاء السفار فقالوا ذلك »[٢] .

وأما انشقاق صدره وقلبه الشريف عليه الصلاة والسلام ، فقد وقع أربع مرات جمعها بعضهم بقوله :

وشُقَّ صدرُ المصطفىٰ وهو في ... دار بني سعدٍ بلا مِرْية
كشَقِّه وهو ابن عشر ثم في ... ليلة معراج وعند البعثة

وقيل بأن صدره ﷺ شُقَّ أيضاً وهو ابن عشرين عاماً .

ثم قال المصنف :

وَمَا حَوَىٰ الغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ ... وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي

❁ ❁ ❁ ❁

(١) : رواه مسلم وغيره بألفاظ أخرىٰ .

(٢) : رواه البيهقي ، وابن جرير بزيادة : فأنزل الله عز وجل : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ .

٧٦- وَمَا حَوَىٰ الغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِـنْ كَرَمِ

وَكُـلُّ طَـرْفٍ مِـنَ الكُفَّـارِ عَنْـهُ عَمِـي

الإعراب الموجز

(وَمَا) : موصول اسمي في موضع رفع خبر لمبتدأ محذوف .

(حَوَىٰ) : فعل ماض .

(الغَارُ) : فاعل .

والجملة صلة **(مَا)** ، والعائد محذوف أي حواه .

(مِنْ خَيْرٍ) ، **(وَمِنْ كَرَمٍ)** : جار ومجرور متعلقان بـ**(حَوَىٰ)** . و**(مِنْ)** فيهما للبيان لـ**(مَا)** على تقدير مضاف ، أي مِن صاحب خير ومِن صاحب كرم .

(وَكُلُّ طَرْفٍ) بفتح الطاء وسكون الراء : مبتدأ ومضاف إليه .

(مِنَ الكُفَّارِ) : جار ومجرور متعلق بنعت **(طَرْفٍ)** .

(عَنْهُ) : جار ومجرور متعلق بـ **(عَمِي)** ، والضمير للمَحْوِيِّ المستفاد من **(حَوَىٰ)** الشامل له ﷺ ولصاحبه ﵁ .

(عَمِي) : فعل ماض ، وفاعله مستتر فيه يعود على **(كُلُّ طَرْفٍ)** ، والجملة خبر المبتدأ .

تفسير الكلمات

(وَمَا حَوَىٰ) : أي وما جمع .

وتكون **(مَا)** هنا واقعة على صفات مَن يعقل ، وهو أحد مواضعها نحو قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء : ٣]، أي الطيب .

(**الغَارُ**) : هو اسم المكان الذي اختفىٰ فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه ، وهو ثقب في جبل ثور في أسفل مكة .

(**مِنْ خَيْرٍ**) : يُفَسَّرُ الخير هنا بالأخلاق الحميدة التي كان يتصف بها النبي ﷺ .

(**وَمِنْ كَرَمٍ**) : الكرم هو ما يتصف به ، أي من صفاته ﷺ وصفات أبي بكر رضي الله عنه .

(**وكُلُّ طَرْفٍ**) : الطرف هو البصر .

(**عَنْهُ**) : أي عن المَحْوِيِّ .

(**عَمِي**) : بمعنىٰ لم يبصروا ما فيه مع قربهم منه .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالىٰ :

ومن معجزاته ﷺ أنه دخل هو وأبو بكر الغار هرباً من الكفار ، فطلبوهما حتىٰ وقفوا علىٰ فم الغار ، فأعماهم الله تعالىٰ عنهما ببركة النبي ﷺ .

قال الله عز وجل : ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]. وقصة الغار أكبر دليل علىٰ أن الله تبارك وتعالىٰ قادر علىٰ أن يحفظ أحبابه ، وأن يعمي عيون أعدائهم في وضح النهار .

فقد روي عن أنس رضي الله عنه أن أبا بكر قال : « نظرتُ إلىٰ أقدام المشركين علىٰ رؤوسنا ونحن في الغار ، فقلت : يا رسول الله ، لو أن أحدهم نظر إلىٰ قدميه أبصرنا تحت قدميه . فقال : يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ »[1] .

---

(١) : رواه مسلم ، والبخاري بسند آخر ، والترمذي ، و أحمد ، وابن حبان ، والبزار ، وغيرهم بإسناد حسن .

ومما ورد كذلك في قصة الغار ما رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد ذُكر عنده أبو بكر فقال: «وددتُ لو أنَّ عملي كله من عمله يوماً واحداً من أيامه وليلة من لياليه. وأما الليلة فليلة سار مع رسول الله ﷺ إلى الغار، فلما انتهيا إليه قال: والله لا تدخله حتى أدخل قبلك، فإن كان فيه شيء أصابني دونك. فدخله فكسحه ووجد في جوانبه ثقباً، فشق إزاره وسد بها تلك الثقب، وبقي منها اثنان فألقمهما رجله، ثم قال لرسول الله ﷺ: ادخل. فدخل رسول الله ﷺ فوضع رأسه في حجره فنام، فلُدغ أبو بكر في رجله من الجُحْر، فلم يتحرك مخافة أن ينبه رسول الله ﷺ، فسقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺ، فقال: ما لك يا أبا بكر؟ قال: لُدغت فداك أبي وأمي، فتفل عليه رسول الله ﷺ فذهب ما كان يجده ...»(1).

ثم قال المصنف:

فَالصِّدْقُ فِي الغَارِ وَالصِّدِّيقُ لَمْ يَرِمَا
وَهُمْ يَقُولُونَ مَا بِالغَارِ مِنْ أَرِمِ

* * * *

(1): خرّجه النسائي، ورواه الطبري في الرياض النضرة.

٧٧- فَالصِّدْقُ فِي الغَارِ وَالصِّدِّيقُ لَمْ يَرِمَا
وَهُـمْ يَقُولُـونَ مَـا بِالغَـارِ مِـنْ أَرِمِ

الإعراب الموجز

(فَالصِّدْقُ) : مبتدأ على تقدير مضاف ، أي ذو الصدق .

(فِي الغَارِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(يَرِمَا)** .

(وَالصِّدِّيقُ) : معطوف على **(الصِّدْقُ)** .

(لَمْ يَرِمَا) بفتح الياء : جازم ومجزوم .

وأصل **(يَرِمَا)** يريمان ، وحذفت النون للجزم والياء للضرورة .

والجملة خبر المبتدأ وما عُطف عليه .

(وَهُمْ) : مبتدأ ، والضمير للكفار .

(يَقُولُونَ) : خبره .

(مَا) : حرف نفي .

(بِالغَارِ) : جار ومجرور خبر لمبتدأ مؤخر .

(مِنْ) : حرف جر زائد .

(أَرِمِ) بفتح الهمزة وكسر الراء : مبتدأ مؤخر .

والجملة مقول **(يَقُولُونَ)** .

تفسير الكلمات

(فَالصِّدْقُ) : أي ذو الصدق وهو النبي ﷺ ، ويصح أن يكون بمعنى الصادق .

(فِي الغَارِ) : هو الثقب في الجبل ، وقد تقدّم شرحه وذكره .

(وَالصِّدِّيقُ) : هو أبو بكر ﷺ في الغار .
(لَمْ يَرِمَا) : لم يبرحا منه .
(وَهُمْ يَقُولُونَ) : أي والحال أن الكفار حين نظروهم وهما فيه يقولون ...
(مَا بِالغَارِ مِنْ أَرِمِ) : أي ليس في الغار من أحد .

المعنى الكلي

عنى المصنف هنا أن النبي ﷺ وصاحبه حلاّ في الغار ولم يبرحا منه والكفار محدقون ببابه ، وذلك نزولاً عند القضاء والقدر . فعند ذلك أعمى الله تبارك وتعالى عنهما الأبصار مع كثرة الأنوار ، فصار الكفار المشركون ينظرون في الغار ويقولون : ما بالغار من أحد ، حيث وقاهما الله ﷻ من أذى المشركين .

وقد أشار الناظم هنا إلى الحديث الذي رواه مصعب المكي حيث قال : « أدركت أنس بن مالك وزيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة ، فسمعتهم يحدثون أن النبي ﷺ قال : أمر الله شجرة ليلة الغار فنبتت في وجه النبي ﷺ فسترته ، وأمر العنكبوت فنسجت في وجه النبي ﷺ فسترته ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقعتا بفم الغار . فأقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وسيوفهم ، حتى إذا كانوا من النبي ﷺ قدر أربعين ذراعاً ، فعجل بعضهم ينظر في الغار ، فرأى حمامتين بفم الغار ، فرجع إلى أصحابه فقالوا له : ما لك لم تنظر في الغار ؟ فقال : رأيت حمامتين بفم الغار فعرفت أن ليس فيه أحد »[1] .

---

(١) : رواه البزار والطبراني في الكبير .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

* * * *

٧٨- ظَنُّوا الحَمَامَ وَظَنُّوا العَنكَبُوتَ عَلَىٰ

خَيْرِ البَرِيَّةِ لَمْ تَنسُجْ وَلَمْ تَحُمِ

الإعراب الموجز

(ظَنُّوا الحَمَامَ) : فعل وفاعل ومفعول أول ، والضمير راجع للكفار .

(وَظَنُّوا العَنكَبُوتَ) : فعل وفاعل ومفعول أول .

(عَلَىٰ خَيْرِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(تَنسُجْ)** .

(البَرِيَّةِ) : مضاف إليه .

(لَمْ تَنسُجْ) بفتح التاء وضم السين ويجوز كسرها : جازم ومجزوم ، والفاعل ضمير مستتر يعود على **(العَنكَبُوتَ)** .

والجملة في موضع المفعول الثاني لـ**(ظَنُّوا)** الثانية .

(وَلَمْ تَحُمِ) بفتح التاء وضم الحاء : جازم ومجزوم ، والفاعل ضمير يعود على **(الحَمَامَ)** ، ومتعلقه محذوف .

والجملة في موضع المفعول الثاني لـ**(ظَنُّوا)** الأولىٰ .

تفسير الكلمات

(ظَنُّوا) : أي أن الكفار لما أعمىٰ الله أبصارهم وبصائرهم حسبوا .

(الحَمَامَ) : أي لما رأوا حومه حول الغار .

(وَظَنُّوا العَنكَبُوتَ) : أي الناسجة .

(علىٰ خَيْرِ البَرِيَّةِ) : البرية هي الخليقة ، والمقصود هنا نبينا محمد ﷺ .

(لَمْ تَنسُجْ) : النسج هو الحياكة .

(وَلَمْ تَحُمِ) : الحوم هو الطواف .

وكما هو ظاهر ومشاهد فإن البديع في البيت هنا في اللف والنشر المشوش على خلاف الترتيب ، فـ (تَنسُجْ) راجع للعنكبوت ، و (تَحُمِ) راجع للحمام . والتقدير : ظنوا الحمام لم تحم على خير البرية ، وظنوا العنكبوت لم تنسج على خير البرية .

كما أن البديع في التكرير في قوله (ظنّوا... وظنّوا) .

وفيه كذلك رد العجز على الصدر في قوله (الحَمَامَ) و (تَحُمِ) .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالى :

إن الكفرة لما رأوا الحمامة حامت حول الغار ، والعنكبوت نسجت عليه في ساعة واحدة ، ظنوا أن خير البرية وصاحبه ليسا في الغار ؛ لظنهم استبعاد حوم الحمام حول الغار ، واستبعاد نسج العنكبوت عليه في وقت لا يسع ذلك ، ولأن هذين الحيوانين متوحشان لا يألفان معموراً ، فإذا أحسّا بالإنسان فرّا منه كما هو معهود .

وفي هذا البيت إشارة إلى ما رواه ابن سعد في طبقاته أن قريشاً طلبت رسول الله ﷺ أشد الطلب حتى انتهوا إلى باب الغار ، فقال بعضهم : إن عليه العنكبوت قبل ميلاد محمد ، فانصرفوا .

وكذلك إلى الحديث الذي مرّ معنا آنفاً في شرح البيت السابق .

ثم قال المصنف :

وِقَايَـــةُ اللهِ أَغْنَـــتْ عَـــنْ مُضَاعَفَـــةٍ

مِـــنَ الـــدُّرُوعِ وَعَـــنْ عَـــالٍ مِـــنَ الأُطُـــمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٧٩- وِقَايَةُ اللهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةٍ
مِنَ الدُّرُوعِ وَعَنْ عَالٍ مِنَ الأُطُمِ

الإعراب الموجز

(وِقَايَةُ) بكسر الواو : مبتدأ .

(اللّهِ) : مضاف إليه .

(أَغْنَتْ) : فعل وفاعل ، والجملة خبر المبتدأ .

(عَنْ مُضَاعَفَةٍ) : جار ومجرور متعلق بـ **(أَغْنَتْ)** .

(مِنَ الدُّرُوعِ) : جار ومجرور متعلق بمحذوف نعت **(مُضَاعَفَةٍ)** .

(وَعَنْ عَالٍ) : جار ومجرور معطوف على **(عَنْ مُضَاعَفَةٍ)** .

(مِنَ الأُطُمِ) بضم الهمزة والطاء : جار ومجرور متعلق بمحذوف نعت **(عَالٍ)** .

تفسير الكلمات

(وِقَايَةُ اللّهِ) : أي حماية الله وصيانته .

(أَغْنَتْ) : أي أجزأت عنه ﷺ في التحصين .

(عَنْ مُضَاعَفَةٍ مِنَ الدُّرُوعِ) : أي عن كثافة الحديد .

والدروع هي التي تُنسج حلقتين حلقتين من الحديد ، وتُلْبَس تحصيناً من العدو .

(وَعَنْ عَالٍ) : أي وأغنت النبي ﷺ وأبا بكر عن مرتفع .

(مِنَ الأُطُمِ) : جمع أطمة وهي الحصن ، أي الحصون التي يُتَحَصَّن فيها من العدو .

المعنى الكلي

عنىٰ المصنف هنا أن الله ﷻ حفظ النبي ﷺ وصاحبه عن أن تنالهما أيدي المشركين في الغار بهذين الضعيفين جداً ، وهما : بيض الحمام ، ونسج العنكبوت . ونصرهما من أعداد المشركين وأمدادهم بهما ؛ حيث كان نسج العنكبوت وبيض الحمام أقوىٰ من الحصون والقلاع التي يُتَحَفَّظُ بها من الأعداء .

وكما يلاحظ القارئ بأن هذه المعجزة تشير إلىٰ أنَّ الله ﷻ ينصر أحبابه بأمور قد لا تخطر علىٰ بالٍ .

ثم قال رحمه الله تعالىٰ :

مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضَيْماً وَاسْتَجَرْتُ بِهِ

إِلاَّ وَنِلْتُ جِوَاراً مِنْهُ لَمْ يُضَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٨٠- مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضَيْماً وَاسْتَجَرْتُ بِـهِ
إِلاَّ وَنِلْـتُ جِـوَاراً مِنْـهُ لَـمْ يُضَـمِ

الإعراب الموجز

(مَا) : حرف نفي .

(سَامَنِي) : فعل ماض متعد لاثنين ، أولهما ياء المتكلم المتصلة به .

(الدَّهْرُ) : فاعل **(سَامَنِي)** .

(ضَيْماً) : المفعول الثاني لـ**(سَامَنِي)** .

(وَاسْتَجَرْتُ) : فعل وفاعل معطوف على **(سَامَنِي)** .

(بِهِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(اسْتَجَرْتُ)** ، والضمير يعود للنبي ﷺ .

(إِلاَّ) : حرف إيجاب .

(وَنِلْتُ) بكسر النون وضم التاء : فعل وفاعل في موضع الحال من ضمير المتكلم ، وقد أجاز ذلك غير ابن مالك .

(جِوَاراً) بكسر الجيم أفصح من ضمها : مفعول **(نِلْتُ)** .

(مِنْهُ) : جار ومجرور نعت لـ**(جِوَاراً)** ، والضمير يعود للنبي ﷺ .

(لَمْ يُضَمِ) بالبناء للمجهول بضم الياء وفتح الضاد : جازم ومجزوم ، والجملة نعت **(جِوَاراً)** .

تفسير الكلمات

(مَا سَامَنِي) : أي ما أرادني وقصدني الدهر بظلم .

وقد جاء في بعض النسخ **(مَا ضَامَنِي)** بمعنى : ما ظلمني الدهر في يوم .

وعلى كلا الوجهين لا بد من تقدير مضاف أي أهل الدهر ، وإلا فالدهر لا يظلم ولا يريد ظلماً ، لكن جرت عادة العرب بِنَسْبِ الظلم إليه لوقوعه فيه .

(الدَّهْرُ) : أي الزمان ، والمراد به هنا أهله للسبب الذي تقدم ذكره .

(ضَيْماً) : أي ظلماً أو ذلاً .

(وَاسْتَجَرْتُ بِهِ) : بمعنى طلبت من النبي ﷺ أن يجيرني في ذلك ، حيث السين والتاء هنا للطلب .

(إلاَّ وَنِلْتُ) : أي حَصَّلْتُ .

(جِوَاراً مِنْهُ) : أي قرباً منه ﷺ ، والمراد به هنا للرعاية .

(لَمْ يُضَمِ) : أي لم يُحتقر بل يُحترم .

المعنى الكلي

يقول المصنف هنا :

إنه ما نالني ضيم واستجرت بالنبي ﷺ إلا وكنت نائلاً جواراً محترماً ، وقُضِيَت حاجتي ، وبلغتُ مقصدي ببركة جواره ﷺ .

ثم قال :

وَلاَ الْتَمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ
إلاَّ اسْتَلَمْتُ النَّدَىٰ مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٨١- وَلاَ الْتَمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ

إِلاَّ اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ

الإعراب الموجز

(وَلاَ) : نافية .

(الْتَمَسْتُ) بضم التاء : فعل وفاعل .

(غِنَى) بكسر الغين والقصر مع عدم التنوين : مفعول **(الْتَمَسْتُ)** ، وهو مضاف .

(الدَّارَيْنِ) : مضاف إليهما .

(مِنْ يَدِهِ): جار ومجرور متعلق بـ **(الْتَمَسْتُ)** ، والضمير يعود للنبي ﷺ .

(إِلاَّ) : حرف إيجاب .

(اسْتَلَمْتُ) : فعل وفاعل في موضع الحال لضمير المتكلم .

(النَّدَى) بفتح النون والقصر : مفعول **(اسْتَلَمْتُ)** .

(مِنْ خَيْرِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(اسْتَلَمْتُ)** .

(مُسْتَلَمِ) بفتح التاء واللام : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(وَلاَ الْتَمَسْتُ) : الالتماس هو الطلب بخضوع وذلة ، أي ولا طلبت من فضله ﷺ .

(غِنَى) : أي سعادة .

(الدَّارَيْنِ) : أي داري الدنيا والآخرة .

(مِنْ يَدِهِ) : المراد باليد هنا النعمة ، وقيل : الذات الكريمة .

(**إِلاَّ اسْتَلَمْتُ**) : بمعنى أخذت .

(**النَّدَى**) : الجود والكرم .

(**مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ**) : أي من خير مطلوب منه .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

ما وقعتُ بمأزق ، ولا طلبتُ الغنى في الدنيا والآخرة - في الكفاية في الأولى والسلامة من العذاب في الثانية - من نعمته ﷺ إلا أخذت العطاء من خير مستلم منه ، أي حاصل لي مطلوب منه ؛ لأنه ﷺ لا يرد سائله وبيده خير الدنيا والآخرة ، والله المعطي ، والنبي هو القاسم وهو أبو القاسم .

فأما نيل غنى الدنيا منه ﷺ فهو محسوس ومشاهد في الحس ، وأما نيل غنى الآخرة منه ﷺ فإنه مشاهد بقوة يقين الإيمان .

وفي هذا البيت والذي قبله براعة الطلب .

واللهَ نسأل ببركة سيدنا محمد ﷺ أن ينيلنا شفاعته في أمور دنيانا وآخرتنا .

ثم قال الناظم رحمه الله :

لاَ تُنْكِرِ الوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ

قَلْباً إِذَا نَامَتِ العَيْنَانِ لَمْ يَنَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٨٢- لاَ تُنْكِرِ الوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ
قَلْباً إِذَا نَامَتِ العَيْنَانِ لَمْ يَنَمِ

الإعراب الموجز

(لاَ) : ناهية .

(تُنْكِرِ) بضم التاء وكسر الكاف : فعل مضارع مجزوم بـ **(لاَ)** الناهية ، وفاعله مستتر وجوباً تقديره أنت .

(الوَحْيَ) : مفعول به .

(مِنْ رُؤْيَاهُ) : جار ومجرور متعلق بـ **(تُنْكِر)** .

(إِنَّ) بكسر الهمزة وتشديد النون : حرف توكيد ونصب ، وحرف مشبَّه بالفعل ينصب الاسم ويرفع الخبر .

(لَهُ) : جار ومجرور خبر مقدم لـ **(إِنَّ)** .

(قَلْباً) : اسم **(إِنَّ)** مؤخر منصوب بالفتحة .

(إِذَا) : ظرف للمستقبل فيه معنى الشرط منصوب بـ **(يَنَمِ)** .

(نَامَتِ العَيْنَانِ) : فعل وفاعل ، والجملة مجرورة المحل بإضافة **(إِذَا)** إليها .

(لَمْ يَنَمِ) : جملة فعلية من فعل مضارع وفاعل مستتر يعود إلى **(قَلْباً)** لا محل لها من الإعراب ؛ لأنها جواب **(إِذَا)** وهو شرط غير جازم .

تفسير الكلمات

(لاَ تُنْكِرِ) : أي لا تجحد .

(الوَحْيَ) : أي وقوعه ، والوحي هو ما يُلقى إليه ﷺ من الأحكام .

(مِنْ رُؤْيَاهُ) : أي في رؤياه ، والضمير يعود للنبي ﷺ . والرؤيا هنا ما يراه في نومه .

وكان بدء وحيه عليه الصلاة والسلام الرؤيا الصالحة في النوم ، فكانت كل رؤيا يراها ﷺ تجيء مثل فلق الصبح .

(إِنَّ لَهُ قَلْباً إِذَا نَامَتِ العَيْنَانِ لَمْ يَنَمِ) : أي له ﷺ قلب إذا نامت عيناه لا ينام ، لا كسائر القلوب التي تنام حين تنام أعينها .

والمراد أن له ﷺ اليقظة الدائمة ، وهو مستعد للخطاب وتلقي الوحي يقظة ومناماً .

المعنى الكلي

إن المصنف هنا يخاطب المعاند وينهاه عن إنكار وقوع الوحي إليه ﷺ في منامه ؛ لأن له ﷺ قلباً إذا نامت العينان منه عليه الصلاة والسلام لم ينم منه قلبه ؛ وذلك لأنه مهبط الوحي .

ويدل على ذلك ما ورد عن السيدة عائشة مرفوعاً عن النبي ﷺ قال : « إن عَيْنَيَّ تنامان ولا ينام قلبي » [1].

وقد شُقَّ قلبه الشريف عليه الصلاة والسلام ، وطُهِّرَ من التعلق بغير ذات الله سبحانه ، ومُلِئ حكمة وإيماناً ، فصارت اليقظة الدائمة من صفاته ، فحَسُنَ أن يخاطب ويتعلق به الوحي .

ثم قال المصنف :

وَذَاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ
فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيهِ حَالُ مُحْتَلِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) : أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، وأبو داود ، وابن حبان ، والبيهقي ، وأبو نعيم في الحلية ، ومالك في الموطأ ، وكذا النسائي إلا أنه قال : تنام بدل تنامان .

٨٣- وَذَاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِن نُبُوَّتِهِ
فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيهِ حَالُ مُحْتَلِمِ

الإعراب الموجز

(وَذَاكَ) : ذا اسم إشارة مبتدأ راجع للوحي من رؤياه ﷺ في النوم ، والكاف حرف خطاب .

(حِينَ) : منصوب باستقرار محذوف خبر المبتدأ .

(بُلُوغٍ) : مضاف إليه .

(مِن نُبُوَّتِهِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(بُلُوغٍ)** .

(فَلَيْسَ) : فعل ماض ناقص .

(يُنْكَرُ) : بالبناء للمجهول ، ونائب الفاعل مستتر فيه يعود إلى **(حَالُ)** .

(فِيهِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(يُنْكَرُ)** ، والضمير راجع إلى **(حِينَ)** . والجملة خبر **(لَيْسَ)** مقدم على اسمها .

(حَالُ) : اسم **(لَيْسَ)** مؤخر .

(مُحْتَلِمِ) بكسر اللام : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(وَذَاكَ) : أي رؤياه للوحي في المنام .

وحكمة ذلك الاستئناس بملاقاة المَلَك في النوم ؛ ليطيق ملاقاته بعد ذلك يقظة .

(حِينَ بُلُوغٍ) : حين وصول .

(مِن نُبُوَّتِهِ) : أي إلى نبوته .

(فَلَيْسَ) : تفريع على قوله : **(وَذَاكَ ...)** .

(يُنْكَرُ فِيهِ حالُ مُحْتَلِمٍ) : المحتلم هو النائم ، وحاله هو رؤياه الوحي في النوم .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

وذاك الوحي الثابت من رؤياه ﷺ حال النوم كان أثبت حين وصول من نبوته إليه ﷺ ، فليس ينكر منه عليه الصلاة والسلام هذا.

واعلم أنه ﷺ قد نُبِّئ على رأس الأربعين من عمره ، وهي حد مبدأ النبوة . وأنه أقام ستة أشهر في ابتداء النبوة يرى الوحي في المنام فقط تأنيساً له ﷺ ، وبعد ذلك أصبح الوحي يأتيه يقظة على صورة رجل اسمه دحية الكلبي .

وإذا كان الأمر كذلك فلا يُنكَر الوحي من رؤياه ﷺ حينئذ وإن كانت مرتبته أعلى المراتب ، وكان مقتضى ذلك أن لا يكون الوحي إليه في النوم ؛ لأن الوحي في النوم أدنى منه في اليقظة .

ثم قال المصنف :

تَبَارَكَ اللهُ مَا وَحْيٌ بِمُكْتَسَبٍ

وَلاَ نَبِيٌّ عَلَى غَيْبٍ بِمُتَّهَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٨٤- تَبَارَكَ اللهُ مَا وَحْيٌ بِمُكْتَسَبٍ

وَلاَ نَبِيٌّ عَلَىٰ غَيْبٍ بِمُتَّهَمِ

الإعراب الموجز

(تَبَارَكَ) : فعل ماض .

(اللهُ) : اسم الجلالة فاعله .

(مَا) : حرف نفي .

(وَحْيٌ) : اسم **(مَا)** .

(بِمُكْتَسَبٍ) بفتح السين : خبرها ، والباء زائدة .

(وَلاَ) : حرف نفي بمعنىٰ ليس .

(نَبِيٌّ) : اسمها .

(عَلَىٰ غَيْبٍ) : جار ومجرور متعلق بـ**(مُتَّهَمِ)** .

(بِمُتَّهَمِ) بفتح التاء : خبرها ، والباء زائدة .

تفسير الكلمات

(تَبَارَكَ اللهُ) : أي تعاظم وتعالىٰ .

(مَا وَحْيٌ بِمُكْتَسَبٍ) : أي بمكتسب لأحد بسعيه فيه ، بل هو يختص به الله مَن يشاء مِن عباده .

(وَلاَ نَبِيٌّ) : أي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

(عَلَىٰ غَيْبٍ) : أي علىٰ الإخبار بأمر غاب .

والغيب هو ما لا يستبد العقل بإدراكه ، ولا الحس ، ولا كلاهما .

(بِمتَّهَمٍ): أي بمتهم على ذلك الإخبار لكذبٍ فيه ، وذلك لعصمته .

قال تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ [التكوير : ٢٤] ، أي بمتهم .

المعنى الكلي

يقول المصنف في هذا البيت :

ليس الوحي مكتسباً لنبي من الأنبياء ، فالنبوة لا تكون بالاكتساب ، إنما هي عطاء من الله لمن شاء من عباده .

لهذا قال صاحب الجوهرة :

ولم تكن نبوة مكتسبَهْ　　　ولو رقى في الخير أعلى عقبَهْ

حيث جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكذب ، ومن جميع المعاصي الصغائر والكبائر والرذائل ، قبل النبوة وبعدها . وما وقع من بعضهم يوهم خلاف ذلك فإنه مؤول ، والواجب علينا الأدب مع الأنبياء ، والتسليم بما جرى به القضاء ، والله يختص برحمته من يشاء .

ثم قال المصنف رحمه الله :

كَمْ أَبْرَأَتْ وَصِباً بِاللَّمْسِ رَاحَتُهُ

وَأَطْلَقَتْ أَرِباً مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٨٥- كَمْ أَبْرَأَتْ وَصِباً بِاللَّمْسِ رَاحَتُهُ
وَأَطْلَقَتْ أَرِباً مِنْ رِبْقَةِ اللَّمَمِ

الإعراب الموجز

(كَمْ) : خبرية في موضع نصب على أنها مفعول فيه أو مطلق ، أي كم وقتاً أو مرةً .

(أَبْرَأَتْ) : فعل ماض ، والتاء للتأنيث .

(وَصِباً) : بكسر الصاد مفعول به ، وبفتحها على تقدير مضاف ، أي ذا وَصَبٍ .

(بِاللَّمْسِ) : جار ومجرور متعلق بـ(**أَبْرَأَتْ**) .

(رَاحَتُهُ) : فاعل (**أَبْرَأَتْ**) ، والضمير يعود للنبي ﷺ .

(وَأَطْلَقَتْ) : معطوف على (**أَبْرَأَتْ**) ، وفاعله ضمير مستتر فيه يعود إلى (**رَاحَتُهُ**) .

(أَرِباً) : بفتح الهمزة وكسر الراء مفعول (**أَطْلَقَتْ**) ، وبفتح الراء على تقدير مضاف ، أي ذا أَرَبٍ .

(مِنْ رِبْقَةِ) بكسر الراء وسكون الباء وفتح القاف : جار ومجرور متعلق بـ(**أَطْلَقَتْ**) .

(اللَّمَمِ) بفتحتين : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(كَمْ) : أي كثيراً من المرات .

(أَبْرَأَتْ) : أي شفت .

(وَصِباً) : بكسر الصاد مريضاً ، وبفتحها المرض .

(باللَّمْسِ) : أي بسبب اللمس ، والمس يكون باليد .

(رَاحَتُهُ) : الراحة هي بطن الكف .

(وَأَطْلَقَتْ) : أي وكثيراً ما خَلَّصَت راحته ﷺ .

(أَرِباً) : بكسر الراء أي محتاجاً لعطاء أو لشفاء أو غير ذلك ، وبفتحها الأرَب هو الحاجة .

(مِنْ رِبْقَةِ) : الربقة هي العقدة .

(اللَّمَمِ) : صغار الذنوب . والمراد به الجنون هنا ، أي من عقدة الجنون .

فيروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة جاءت بابن لها إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن ابني به جنون ، وإنه يأخذه عند غدائنا وعشائنا فيخبث علينا . فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا ، فثعّ ثعة[1] ، فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فشفي[2] .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالى :

إنه ﷺ ما مسح بيده الشريفة على مريض إلا عُوفي بفضل الله ، ولا على من علق به داء إلا خلّصه الله تبارك وتعالى منه ، وذلك من معجزاته ﷺ .

فقد روي عن شرحبيل الجعفي قال : « أتيت رسول الله ﷺ وبكفي

---

(١) : أي قاء قيأة .

(٢) : رواه أحمد ، والطبراني في الكبير ، والدارمي .

سلعة فقلت : يا رسول الله ، هذه السلعة قد آذتني ، تحول بيني وبين قائمة السيف أن أقبض عليه ، وعن عنان الدابة . فقال رسول الله ﷺ : ادنُ مني ، فدنوت منه فقال : افتح يدك ، ففتحتها ثم قال : اقبضها ، فقبضتها . ثم قال : ادن مني ، فدنوت منه فقال : افتحها ، ففتحتها . فنفث في كفي ثم وضع يده على السلعة ، فما زال يطحنها بكفه حتى رفع عنها وما أرى أثرها »[1] .

وكذلك ما روي عن الهيثم بن عدي عن أبيه قال : « أصيبت عين قتادة بن النعمان يوم أُحد، فأتى النبيَّ ﷺ وهي في يده ، فقال ﷺ : ما هذا يا قتادة ؟ قال : هذا ما ترى يا رسول الله . قال : إن شئتَ صبرتَ ولك الجنة ، وإن شئتَ رددتُها ودعوتُ الله لك فلم تفتقد منها شيئاً . فقال : والله يا رسول الله إن الجنة لَجزاء جزيل وعطاء جليل ، ولكني رجل مبتلى بحب النساء وأخاف أن يقلن : أعور فلا يُرِدْنَني ، ولكن تردها لي وتسأل الله لي الجنة . فقال : أفعل يا قتادة ، ثم أخذها رسول الله ﷺ بيده فأعادها إلى موضعها ، فكانت أحسن عينيه إلى أن مات ، ودعا اللهَ له بالجنة »[2] .

وكذلك ما روي عن محمد بن حاطب عن أمه أم جليل بنت المجلل قالت له : « أقبلتُ بك من أرض الحبشة ، حتى إذا كنتُ من المدينة على ليلة أو ليلتين طبختُ لك طبخة ، ففني الحطب فخرجتُ أطلبه ، فتناولتَ القدر فانكفأت على ذراعك ، فأتيتُ بك النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله ، هذا محمد بن حاطب ، وهو أول مَن سُمِّيَ بك . قالت : فتفل رسول الله ﷺ في فيك ، ومسح على رأسك ، ودعا لك وقال : أذهب البأس رب الناس ،

---

(١) : رواه الطبراني في الكبير ، وذكره البغوي وابن حجر .

(٢) : ذكره أبو الفرج في صفوة الصفوة ج١ ص٤٦٣ ، ورواه آخرون بألفاظ عدة .

واشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً . قالت : فما قمتُ بك من عنده إلا وقد برئت يدك»[1] .

ثم قال المصنف :

وَأَحْيَـــتِ السُّـــنَّةَ الشَّـــهْباءَ دَعْوَتُـــهُ
حَتَّى حَكَتْ غُـرَّةً فِـي الأَعْصُـرِ الدُّهُـمِ

* * * *

(١) : أخرجه الحاكم ، وابن حبان في صحيحه . ورواه أحمد ، والطبراني ، والنسائي بلفظ آخر .

٨٦- وَأَحْيَتِ السَّنَةَ الشَّهْبَاءَ دَعْوَتُهُ
حَتَّىٰ حَكَتْ غُرَّةً فِي الأَعْصُرِ الدُّهُمِ

الإعراب الموجز

(وَأَحْيَتِ) : معطوف على **(أَبْرَأَتْ)** في البيت الذي قبله .

(السَّنَةَ) بفتح السين والنون : مفعول **(أَحْيَتِ)** .

(الشَّهْبَاءَ) بفتح الشين والباء : نعت **(السَّنَةَ)** .

(دَعْوَتُهُ) : فاعل **(أَحْيَتِ)** .

(حَتَّىٰ) : حرف ابتداء .

(حَكَتْ) بفتح الحاء والكاف : فعل ماض ، وفاعله مستتر فيه يعود إلىٰ **(السَّنَةَ)** .

(غُرَّةً) بضم الغين وفتح الراء : مفعول **(حَكَتْ)** .

(فِي الأَعْصُرِ) بفتح الهمزة وسكون العين وضم الصاد : جار ومجرور متعلق بـ **(حَكَتْ)** .

(الدُّهُمِ) بضمتين : نعت **(الأَعْصُرِ)** .

تفسير الكلمات

(وَأَحْيَتِ) : بمعنىٰ أخصبت .

(السَّنَةَ) : واحدة السنين .

(الشَّهْبَاءَ) : المجدبة بسبب قلة المطر ، وسُمِّيَت بذلك لأنها تشبه الفرس الشهباء ، وهي التي يغلب بياضها علىٰ سوادها ، وإنما أشبهتها لغلبة بياض الأرض فيها لعدم النبات علىٰ سوادها بالنبات .

(دَعْوَتُهُ) : أي طلبه السقيا وتضرعه إلىٰ الله تعالىٰ في أن يُحيي تلك السنة بالمطر ، فاستجاب الله ﷻ دعاءه وأنزل المطر .

(حتَّىٰ حكَتْ) : أي شابهت .

(غُرَّةً) : الغرة تكون في الجبهة ، وهي بياض فوق الدرهم . والأغر الأرض ، وغرة الشيء خياره وأحسنه .

(فِي الأَعْصُرِ) : جمع عصر ، وهو الزمان .

(الدُّهُمِ) : جمع أدهم ، وهو الأسود .

قال تعالىٰ : ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٦٤] ، أي ناعمتان سوداوتان لشدة الخضرة ؛ لأن الخضرة إذا اشتدت ضربت للسواد .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالىٰ :

وكم مرة أحيت دعوته ﷺ السنة المجدبة حتىٰ شابهت تلك السنة بياضاً في الأزمنة السود ؛ لشدة خضرة الزرع فيها حتىٰ يُرىٰ أنه أسود ، وهي السنون التي أحياها الله تعالىٰ بدعوة نبيه ﷺ .

وكما هو ملاحظ فإن في هذا البيت المجاز في استعمال الحياة للنبات .

ولقد أشار المصنف هنا إلىٰ الحديث الصحيح الذي روي عن شريك بن عبدالله بن أبي العز عن أنس رضي الله عنه : « أن رجلاً دخل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو دار القضاء ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبل رسولَ الله ﷺ قائماً ثم قال : يا رسول الله ، هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فادع الله يُغثنا . قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا . قال أنس : ولا والله ما نرىٰ في السماء من سحاب

ولا قَزْعَة[1] ، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار . قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسّطت السماء انتشرت ثم أمطرت ، فلا والله ما رأينا الشمس ستاً . ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة - يعني الثانية - ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبله قائماً فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموال وانقطعت السبل ، فادعُ الله يمسكها عنا . قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام ، والظراب ، وبطون الأودية ، ومنابت الشجر . قال : فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس . قال شريك : سألتُ أنس بن مالك : أهو الرجل الأول ؟ قال : ما أدري »[2] .

ثم قال المصنف :

بِعَارِضٍ جَادَ أَوْ خِلْتُ البِطَاحَ بِهَا
سَيْبٌ مِنَ اليَمِّ أَوْ سَيْلٌ مِنَ العَرِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

(١) : أي قطعة سحاب .

(٢) : رواه البخاري واللفظ له ، ومسلم ، والنسائي ، وابن حبان ، والبيهقي .

٨٧- بِعَارِضٍ جَادَ أَوْ خِلْتُ البِطَاحَ بِهَا
سَيْبٌ مِنَ اليَمِّ أَوْ سَيْلٌ مِنَ العَرِمِ

الإعراب الموجز

(بِعَارِضٍ) : جار ومجرور متعلق بـ**(حكَتْ)** من البيت السابق .

(جَادَ) : فعل ماض ، وفاعله مستتر فيه يعود إلىٰ **(عَارِضٍ)** . والجملة نعت **(عَارِضٍ)** .

(أَوْ) : حرف عطف وغاية .

(خِلْتُ) بكسر الخاء : فعل وفاعل .

(البِطَاحَ) : مفعول أول .

(بِهَا) : جار ومجرور خبر مقدم .

(سَيْبٌ) : مبتدأ مؤخر .

والجملة من المبتدأ والخبر في موضع نصب مفعول ثان لـ**(خِلْتُ)** .

(مِنَ اليَمِّ) بفتح الياء وتشديد الميم : جار ومجرور نعت **(سَيْبٌ)** .

(أَوْ سَيْلٌ) بفتح السين : معطوف علىٰ **(سَيْبٌ)** .

(مِنَ العَرِمِ) بفتح العين وكسر الراء : جار ومجرور في موضع النعت لـ**(سَيْلٌ)** .

تفسير الكلمات

(بِعَارِضٍ) : أي بسحاب ، والمراد به هنا السحاب الذي أرسله الله تعالىٰ بسبب دعوة النبي ﷺ .

(جَادَ) : أي جاد هذا العارض بالمطر الكثير .

(خِلْتُ) : ظننتُ .
(البِطَاحَ) : جمع أبطح ، وهو الوادي المتسع الذي فيه دِقاق الحصى .
(سَيْبٌ) : الماء الجاري .
(مِنَ الْيَمِّ) : من البحر .
(العَرِمِ) : الوادي .

وكما يلاحظ القارئ فإن في هذا البيت من المحسنات البديعية الجناس الناقص في قوله : (سَيْبٌ) و(سَيْلٌ) .

المعنى الكلي

إن المصنف هنا ذكر أن هذا الإحياء للأرض إنما هو بسبب دعوته ﷺ بعارض أرسله الله تعالى فيها ، حتى جاد وكثر مطر هذا العارض إلى أن ظننتُ الوادي المتسع ماء جارياً من البحر ، أو سائلاً من الوادي .

فالمصنف هنا يتشكك في الماء الكثير الكائن على سطح الأرض : هل هو سيب من البحر ، أو سيل من السد ؟ والقارئ مخير بينهما ، فإما أن يشبهه بسيب البحر ، وإما أن يشبهه بسيل السد .

ثم قال رحمه الله :

دَعْنِي وَوَصْفِيَ آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ
ظُهُورَ نَارِ القِرَىٰ لَيْلاً عَلَىٰ عَلَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٨٨- دَعْنِي وَوَصْفِيَ آيَاتٍ لَـهُ ظَـهَرَتْ
ظُـهُورَ نَـارِ القِـرَىٰ لَيْـلاً عَلَـىٰ عَلَـمِ

الإعراب الموجز

(دَعْنِي) : فعل أمر وفاعل ومفعول به .

(وَوَصْفِـيَ) : مفعـول معـه ، وهـو مصـدر مضـاف إلىٰ فاعلـه وهـو ياء المتكلم .

(آيَاتٍ) بمد الهمزة وكسر التاء : مفعول لـ**(وَصْفِيَ)** .

(لَهُ) : جار ومجرور متعلق بنعت **(آيَاتٍ)** .

(ظَهَرَتْ) : فعل ماض ، والتاء للتأنيث .

(ظُهُورَ) : مفعول مطلق مبين للنوع .

(نَارِ) : مضاف إليه ، وهي أيضاً مضافة .

(القِرَىٰ) بكسر القاف وفتح الراء : مضاف إليه .

(لَيْلاً) : مفعول فيه .

(عَلَىٰ عَلَمِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(ظُهُورَ)** .

تفسير الكلمات

(دَعْنِي) : أي اتركني .

(وَوَصْفِـيَ) : الـواو بمعنـىٰ مـع ، والمـراد بـالوصف هنـا نظـم الأوصاف في الكلام المخيَّل الموزون .

(آيَاتٍ) : المراد بها المعجزات الباهرة بالكلمات الظاهرة والآيات القرآنية .

(ظَهَرَتْ) : تبيّنت .

(ظُهُورَ) : أي مثل ظهور .

(نَارِ القِرَىٰ) : أي الضيافة .

ونار القرىٰ هي التي يوقدها العبيد بأمر من أسيادهم من العرب الذين اشتهروا بالكرم علىٰ رؤوس الجبال ليلاً ؛ ليشاهدها الضيفان فيهتدوا بها إلىٰ منازلهم .

(عَلَىٰ عَلَمِ) : أي علىٰ جبل من الجبال المرتفعة التي يُهتدىٰ بها .

المعنى الكلي

يقول المصنف للمعاند العاذل :

اتركني أصف آياتٍ ومعجزاتٍ له ﷺ ظهرت واتضحت وضوحاً وظهوراً ، مثل ظهور نار القرىٰ التي توقد في ليل مظلم علىٰ مكان مرتفع ليهتدي بها الغريب .

ثم قال :

فَالدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْناً وَهْوَ مُنْتَظِمٌ

وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْراً غَيْرَ مُنْتَظِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٨٩- فَـالدُّرُّ يَـزْدَادُ حُسْـناً وَهْـوَ مُنْتَظِـمٌ

وَلَيْـسَ يَنْقُـصُ قَـدْراً غَـيْرَ مُنْتَظِـمِ

الإعراب الموجز

(فَالدُّرُّ) بضم الدال والراء : مبتدأ .

(يَزْدَادُ) : فعل مضارع ، وفاعله مستتر فيه .

(حُسْناً) بضم الحاء : مفعول به لـ(يَزْدَادُ) .

والجملة خبر المبتدأ ، والرابط بينهما الضمير المستتر في (يَزْدَادُ) .

(وَهوَ مُنْتَظِمٌ) : مبتدأ وخبر في موضع نصب على الحال من فاعل (يَزْدَادُ) .

(وَلَيْسَ) : فعل ماض ناقص ، واسمه مستتر فيه جوازاً .

(يَنْقُصُ) : فعل مضارع ، وفاعله مستتر فيه جوازاً .

(قَدْراً) : مفعول به .

والجملة في موضع نصب خبر (لَيْسَ) .

(غَيْرَ) : حال من فاعل (يَنْقُصُ) .

(مُنْتَظِمِ) بضم الميم وكسر الظاء : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(فَالدُّرُّ) : اللؤلؤ المعروف في لألأته .

(يَزْدَادُ حُسْناً) : يزداد بهاء وجمالاً .

(وَهوَ) : أي والحال أنه .

(مُنْتَظِمٌ) : أي مجتمع في سلك لترتيبه وتنزيله في منازله المتناسبة .

(وَلَيْـسَ يَنْقُـصُ قَـدْراً غَـيْرَ مُنْتَظِـمِ) : أي حـال كونـه غـير منتظـم ؛ لأن حسنه ذاتي له فلا يفارقه .

المعنى الكلي

إن المصنف رحمه الله تعالىٰ قال :

إذا كانت آياته ﷺ ومعجزاته ظهرت ظهور نار القرىٰ ليلاً علىٰ علم كما هو مبين في البيت السابق ، فما فائدة وصفك له بهذا النظم ؟

قال : فأجيب : وإنها وإن كانت آياته ومعجزاته ﷺ ظاهرة ظهوراً تاماً ، فإن ظهورها يزداد بذكرها كما أن حسنها يزداد بنظمها . وإن عدم نظمها لا ينقص من قدرها شيئاً ، فحُسنها ذاتي لها لا يفارقها سواء كان نثراً أو نظماً ، مع أن ما يحصل من زيادة الالتذاذ بسماعها منظومة يَنقص مع الإخبار بها منثورة ؛ حيث ما يزيد بوصف ينقص بسلب ذلك الوصف . فاللؤلؤ يزداد حسناً والحال أنه منتظم في السلك لترتيبه وتنزيله في المنازل المتناسبة ، وليس ينقص قدراً حال كونه غير منتظم ؛ لأنه في الأصل حَسَن لذاته ، ولا يفارقه سواء كان منظوماً أو غير منظوم .

وخلاصة المعنىٰ أن معجزات النبي ﷺ شُبِّهَت هنا باللؤلؤ الثمين البهي والجوهر النفيس في أطواق وأعناق الحسناوات ، فهو وإن كان في حالة كونه منثوراً غير بخس ولا مهين ، فهو في حالة كونه منظوماً في عقد جيد الحِسان أحسن صورة وأبهىٰ سمة في المنظر والعيان .

ثم قال المصنف :

فَمَا تَطَاوُلُ آمَالِ المَدِيحِ إِلَىٰ
مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الأَخْلَاقِ وَالشِّيَمِ

٩٠- فَمَا تَطَاوُلُ آمالِ المَدِيحِ إلى
مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الأَخلاَقِ وَالشِّيَمِ

الإعراب الموجز

لنا في الشطر الأول من هذا البيت ثلاثة أوجه للإعراب :

الأول :

(مَا) : نافية .

(تَطَاوَلَ) : فعل ماض .

(آمَالِي) بمد الهمزة : فاعل .

(المَدِيحَ) : منصوب بنزع الخافض .

ويكون المعنى على هذا : فلِمَ تَطَاوَلَ آمالي بالمديح الصادر مني لعلمي باليأس على ذلك والعجز عما هنالك .

الثاني :

(مَا) : للاستفهام الإنكاري وهي مبتدأ .

(تَطَاوُلُ) : مصدر مرفوع على أنه خبر **(مَا)** الاستفهامية .

(آمَالِي) : مضاف إليه .

(المَدِيحَ) : منصوب بنزع الخافض .

ويكون المعنى على هذا : فما فائدة تَطَاوُل آمالي بالمديح إلى تمام ما فيه ﷺ من كرم الأخلاق والشيم مع أنها لا تتناهى .

الثالث :

فقد شرح القسطلاني **(آمَالِ)** بلا ياء ، وجعل **(المَدِيحِ)** مجروراً لأنه مضاف إليه لكن على تقدير مضاف ، أي آمالِ صاحب المديحِ .

وهذا الذي اعتمدناه هنا في كتابة البيت .

(إِلَىٰ مَا) : جار ومجرور متعلق بـ **(تَطَاوُلُ)** .

(فِيهِ) : جار ومجرور صلة **(مَا)** ، والضمير يعود للنبي ﷺ .

(مِنْ كَرَمِ) : جار ومجرور بيان لـ**(مَا)** متعلق بما تعلق به المجرور قبله .

(الأَخْلاَقِ) بفتح الهمزة : مضاف إليه .

(وَالشِّيَمِ) بكسر الشين وفتح الياء : معطوف على **(الأَخْلاَقِ)** .

تفسير الكلمات

(فَمَا تَطَاوُلُ) : التطاول إلى الشيء طلب الوصول إليه ، وفي الأصل مد العنق .

(آمَالِ) : جمع أمل وهو الرجاء .

(المَدِيحِ) : أي صاحب المديح ، والمديح هو الثناء الحسن .

(إِلَىٰ) : أي إلى استقصاء .

(مَا فِيهِ) : الضمير يعود للنبي ﷺ .

(مِنْ كَرَمِ الأَخْلاَقِ) : أي التي جبله الله عليها . والأخلاق جمع خُلُق بضمتين ، وهو ما جُبل عليه الشخص .

(وَالشِّيَمِ) : جمع شيمة ، وهي الغريزة والطبيعة .

والمعنى وكرم الشيم .

المعنى الكلي

يقول المصنف في هذا البيت :

إذا كانت صفاته ﷺ لا يُدرَك لها ، فكيف تصل آمال المادحين إلى تمام ما فيه ﷺ من استقصاء مكارم الأخلاق والطباع التي جُبل عليها ؟!

[illegible]

[illegible]

[illegible]

* * * *

٩١- آيَاتُ حَقٌّ مِـنَ الرَّحْمَـنِ مُحْدَثَـةٌ
قَدِيمَـةٌ صِفَـةُ المَوْصُـوفِ بِـالقِدَمِ

الإعراب الموجز

(آيَاتُ حَقٌّ) : مبتدأ ومضاف إليه .

(مِنَ الرَّحْمَنِ) : جار ومجرور خبر أول .

(مُحْدَثَةٌ) : خبر ثانٍ .

(قَدِيمَةٌ) : خبر ثالث .

وتمييزهما محذوف ، أي محدثةٌ إنزالاً وقديمةٌ معنىً .

(صِفَةُ) : خبر رابع .

ومَن منع تعداد الخبر قدّر لكل خبر ما عدا الأول مبتدأ محذوفاً .

(المَوْصُوفِ) : مضاف إليه .

(بِالقِدَمِ) بكسر القاف وفتح الدال : جار ومجرور متعلق بـ **(المَوْصُوفِ)** .

تفسير الكلمات

(آيَاتُ) : جمع آية من القرآن .

(حَقٌّ) : أي من معجزاته ﷺ آيات موصوفة بأنها حق .

(مِنَ الرَّحْمَنِ) : أي من عند الرحمن .

(مُحْدَثَةٌ) : أي إنزالها ، أخذاً من قوله تعالى : ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾ [الشعراء: ٥] أي كتاب منزل .

(قَدِيمَةٌ) : أي قائمة بذاته تعالى ، والقِدَم ضد الحدوث .

(صِفَةُ المَوْصُوفِ بِالقِدَمِ) : هو الله ﷻ ؛ لأنه الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية .

المعنى الكلي

يقول الناظم رحمه الله تعالىٰ :

ومن معجزاته ﷺ آيات حق من عند الرحمن ، وهي القرآن الكريم .

والحاصل أن الألفاظ التي نقرؤها من كتاب الله لها دلالتان :

١- دلالة بالوضع : وهي التي اعتبرها العلامة ابن قاسم ، فإن المدلول بهذه الدلالة مساوٍ للمدلول الذي تدل عليه الصفة القديمة .

٢- ودلالة بالالتزام العرفي لا العقلي : وهي التي اعتبرها الإمام السنوسي وغيره من المتقدمين ، فإن المدلول بهذه الدلالة هي الصفة القديمة .

فكل من المَسْلَكَيْن صحيح كما في الحواشي الكبرىٰ .

ثم قال رحمه الله تعالىٰ :

لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهيَ تُخْبِرُنَا
عَنِ المَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٩٢- لَـمْ تَقْـتَرِنْ بِزَمَـانٍ وَهْــيَ تُخْبِرُنَــا
عَــنِ المَعَــادِ وَعَــنْ عَــادٍ وَعَــنْ إِرَمِ

الإعراب الموجز

(لَمْ) : حرف جزم .

(تَقْتَرِنْ) : فعل مضارع مجزوم بـ **(لَمْ)** ، وفاعله ضمير مستتر جوازاً يعود إلىٰ **(آياتُ حَقٍّ)** علىٰ تقدير حال محذوفة .

(بِزَمَانٍ) : جار ومجرور متعلق بـ **(تَقْتَرِنْ)** ، والتقدير : لم تقترن الآيات حال كونها قديمة بزمان .

(وَهيَ تُخْبِرُنَا) : مبتدأ وخبره .

(عَنِ المَعَادِ) ، **(وَعَنْ عَادٍ)** ، **(وَعَنْ إِرَمِ)** بكسر الهمزة وفتح الراء : كلها جار ومجرور متعلقات بـ **(تُخْبِرُنَا)** .

تفسير الكلمات

(لَمْ تَقْتَرِنْ) : أي مدلولاتها ، والاقتران هو المصاحبة .

(بِزَمَانٍ) : أي لأنها قديمة من حيث معناها ، والزمان حادث ، والقديم لا يقترن بالحادث لأنه لو اقترن به لكان حادثاً .

(وَهيَ تُخْبِرُنَا) : أي الآيات ألفاظ دالة علىٰ مدلول قديم .

(عَنِ المَعَادِ) : أي عن عود الخَلْق بعد انعدامهم ، وهو الرجوع إلىٰ الله تعالىٰ في الدار الآخرة بعد موتنا وانتقالنا من دار الدنيا .

(وَعَنْ عَادٍ) : أي وتخبرنا أيضاً عن قبيلة عاد التي بعث الله سبحانه وتعالى إليها نبيه هوداً عليه وعلىٰ نبينا أفضل الصلاة والتسليم .

وسُميت بعاد نسبة لاسم أب لها وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ، وكان كافراً يعبد القمر . يروىٰ أنه عاش ألف سنة ومائتين ، وتزوج ألف امرأة ، وقبل أن يموت رأىٰ من صلبه أربعة آلاف .

(وَعَنْ إِرَمٍ) : أي وتخبرنا تلك الآيات أيضاً عن مدينة إِرَم التي بناها شداد بن عاد الذي كان قد وَلِيَ المُلك عن أبيه ، فسمع بذكر الجنة وما فيها ، فعزم أن يبني مثلها ، فبنىٰ مدينة إرم في ثلاثمائة سنة ، وجعل قصورها من الذهب والفضة ، وأساطينها[1] من الزمرجد والياقوت ، وجعل فيها أنهاراً مطردة ، وأصنافاً من الشجر ، وبسط أرضها بتربة من المسك الخالص ، وجعل حصباءها من اللؤلؤ . وعند كمالها رحل إليها بأهل مملكته ، فلما كان منها علىٰ مسيرة يوم وليلة ، بعث الله عليهم صيحة من السماء فأهلكتهم جميعاً .

وقد أطنب المؤرخون كثيراً في شرح إرم وشرح صفاتها ، وهذا مختصر ذلك .

واعلم أن الإخبار عن المعاد قوله تعالىٰ : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الرُّوم: ٢٧] . أخاهم هودا

والإخبار عن عاد قوله تعالىٰ : ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودًاۚ﴾ [الأعراف: ٦٥ / هُود: ٥٠].

والإخبار عن إرَم قوله تعالىٰ : ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ﴿٧﴾﴾ [الفَجر].

---

(١) : أي عمدانها .

ولقد كرّر المصنف (عَنْ) في الثلاثة لأنها أنواع مختلفة ، فلا يحسن جمعها في واحد . ولأن لكلٍ أخباراً تخصه ، ولأن الأول زمان ، والثالث مكان ، والأوسط ذات . فتنبّه أيها القارئ لذلك .

المعنى الكلي

ذكر المصنف أن هذه الآيات البينات لم تختص بزمان دون زمان ، ولا بوقت دون وقت كسائر الكتب ، بل كانت في جميع الأزمنة الغابرة والأعصر الماضية .

وإن حكمها متحقق ثابت مع كل زمان مستقبل ، وهي منورة لقلوبنا بنور الإيمان ، مفيضة علينا معارف الحقائق والعرفان ، جالية أرواحنا بتجلّي اليقين والإيقان . تخبرنا عما وقع في الأزمنة الماضية ، وعما يقع في الأزمنة الآتية من أمر المعاد وأمارات الحشر يوم التناد . فقد أفادتنا علماً يتعلق به سعادة الدارين الدنيا والآخرة .

ثم قال رحمه الله تعالى :

دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ
مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٩٣- دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ
مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ

الإعراب الموجز

(دَامَتْ) : فعل ماض والتاء للتأنيث ، وفاعله ضمير مستتر يعود على **(آيَاتُ)** .

(لَدَيْنَا) : جار ومجرور متعلق بـ **(دَامَتْ)** .

(فَفَاقَتْ) : معطوف على **(دَامَتْ)** .

(كُلَّ) : مفعول **(فَاقَتْ)** .

(مُعْجِزَةٍ) : مضاف إليه .

(مِنَ النَّبِيِّينَ) : جار ومجرور نعت **(مُعْجِزَةٍ)** .

(إِذْ) بكسر الهمزة وسكون الدال : علة لـ **(فَاقَتْ)** ، ويجوز أن تكون حرفاً أو ظرفاً .

(جَاءَتْ): فعل ماض ، وفاعله مستتر فيه يعود إلى **(كُلَّ مُعْجِزَةٍ)** .

(وَلَمْ تَدُمِ) : جملة فعلية حال من فاعل **(جَاءَتْ)** المستتر فيه .

تفسير الكلمات

(دَامَتْ) : بقيت واستمرت .

(لَدَيْنَا) : أي عندنا ، فتسبب ذلك أنها فاقت .

(فَفَاقَتْ) : غلبت .

(كُلَّ مُعْجِزَةٍ): أي كل معجزة صدرت من النبيين غير نبينا محمد ﷺ.

والمعجزة مأخوذة من الإعجاز ؛ لأنها تعجز الخصوم عن أن يأتوا بمثلها . وهي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي ، وهو دعوة النبوة أو الرسالة .

(مِنَ النَّبِيِّينَ) : أي مضت وسلفت من النبيين .

(إِذْ جَاءَتْ) : أي أتت منهم .

(وَلَمْ تَدُمِ) : أي لم تبق ولم تستمر معجزاتهم ، بل انقضت بانقضاء أوقاتهم فلم يبق إلا خبرها .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالى :

إن هذه الآيات التي وقع إليها الإعجاز باقية عندنا ، ففاقت بالشرف والدوام كل معجزة ظهرت على أيدي النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قبل ذلك .

فمعجزاتهم انقضت بانقضائهم ، وظهرت على أيديهم مرة واحدة في مدة حياتهم ، وذلك حين وقوع التحدي بها ثم لم تعد تظهر . أما القرآن الكريم صاحب الآيات الظاهرة والباهرة ، فإنه معجزة متكررة باقية إلى يوم القيامة ؛ وذلك لأنه لمّا كان ﷺ خاتم النبيين ، جعل الله تبارك وتعالى معجزته مستمرة إلى يوم الدين .

وأما وجوه إعجازه فهي كونه آية باقية لا تعدم ولا تنتهي ما بقيت الدنيا ، فقد تكفّل الله تبارك وتعالى بحفظه وهو القائل : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ثم قال الناظم :

مُحَكَّمَاتٌ فَمَا تُبْقِينَ مِنْ شُبَهٍ
لِذِي شِقَاقٍ وَمَا تَبْغِينَ مِنْ حَكَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٩٤- مُحكَمَاتٌ فَمَا تُبْقِينَ مِنْ شُبَهٍ
لِذِي شِقَاقٍ وَمَا تَبْغِينَ مِنْ حَكَمِ

الإعراب الموجز

(مُحكَمَاتٌ) : صفة (آيَاتُ حَقٍّ) في البيت الواحد والتسعين .

(فَمَا) : حرف نفي .

(تُبْقِينَ) بضم التاء وكسر القاف : فعل وفاعل ، والضمير يعود لـ(آيَاتُ) .

(مِنْ) : زائدة لا تتعلق بشيء .

(شُبَهٍ) بضم الشين وفتح الباء : مفعول (تُبْقِينَ) .

(لِذِي) بكسر اللام والذال : جار ومجرور متعلق بـ (شُبَهٍ) .

(شِقَاقٍ) : مضاف إليه .

(وَمَا) : نافية .

(تَبْغِينَ) بفتح التاء وسكون الباء وكسر الغين : معطوف على (تُبْقِينَ) .

(مِنْ) : زائدة لا تتعلق بشيء .

(حَكَمٍ) بفتح الحاء والكاف : مفعول (تَبْغِينَ) .

تفسير الكلمات

(مُحكَمَاتٌ) : أي هذه الآيات المذكورة محكمات ألفاظها ، متقنات النظم في البلاغة ونهاية الوصف مما لا يقدر البشر على الإتيان بمثلها .

ويدل على ذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] .

(فَمَا تُبْقِينَ) : فما تتركن تلك الآيات المحكمات .

(مِنْ شُبَهٍ) : جمع شبهة ، وهي ما يُظَنُّ دليلاً وليست بدليل .

(لِذِي شِقَاقٍ) : أي لصاحب خلاف .

والمراد به هنا الكافر ؛ لأنه شاقٌّ للدين ، إذ هو في شق والإسلام في شق آخر .

(وَمَا تَبْغِينَ) : أي ولا تطلبن .

(مِنْ حَكَمٍ) : أي حاكم يحكم بها .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالىٰ :

إن هذه الآيات متقنات النظم في البلاغة والفصاحة بحيث لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثلها ، وهذا دليل واضح علىٰ أنها من عند الله تبارك وتعالىٰ ، كما قال ﷻ في محكم كتابه : ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

ومع هذا فإنها محفوظة من التحريف والتبديل والتغيير ، وستبقىٰ ناصرة لأهل الحق ، ومزيلة لشبه أهل الضلال والزيغ والعناد ، فما تبقىٰ بها شبهة لصاحب خلاف ، وما تطلب حاكماً يحكم علىٰ خلاف ما أتت به لظهور براهينها عليه .

قال تعالىٰ : ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

ثم قال المصنف :

مَا حُورِبَتْ قَطُّ إِلاَّ عَادَ مِنْ حَرَبٍ
أَعْدَىٰ الأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِيَ السَّلَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٩٥- مَا حُورِبَتْ قَطُّ إِلاَّ عَادَ مِنْ حَرَبٍ

أَعْدَىٰ الأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِيَ السَّلَمِ

الإعراب الموجز

(مَا) : نافية .

(حُورِبَتْ) بضم الحاء وكسر الراء : فعل ماض مبني لما لم يُسَمَّ فاعله ، ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه يعود إلىٰ **(آيَاتُ)** .

(قَطُّ) بفتح القاف وضم الطاء المشددة : ظرف زمان ماض متعلق بـ **(حُورِبَتْ)** .

(إِلاَّ) : حرف إيجاد .

(عَادَ) : فعل ماض .

(مِنْ حَرَبٍ) بفتح الحاء والراء : جار ومجرور متعلق بـ **(عَادَ)** ، و**(مِنْ)** تعليلية .

(أَعْدَىٰ) بالقصر : فاعل **(عَادَ)** .

(الأَعَادِي) : مضاف إليه .

(إِلَيْهَا) : جار ومجرور متعلق بـ **(عَادَ)** ، والضمير يعود لـ**(آيَاتُ)** .

(مُلْقِيَ) بضم الميم وسكون اللام وكسر القاف : حال من فاعل **(عَادَ)** .

(السَّلَمِ) بفتح السين واللام : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(مَا حُورِبَتْ) : أي ما حارب النبيَّ ﷺ أحدٌ أو خاصمه في النبوة جحداً له وحاربه النبيُّ ﷺ بالقرآن إلا كان هو الغالب عليه الصلاة والسلام .

(قَطُّ) : ظرف بمعنىٰ الزمن الماضي .

(عَادَ) : رجع .

(مِنْ حَرَبِ) : المقصود به السلب ، مأخوذ من قولهم : حَرَبتُ الرجل حرباً أي سلبته . والمراد هنا الشدة .

(أَعْدَىٰ) : أي أشد حرصاً علىٰ العداوة التي هي ضد الصداقة .

(الأَعَادِي) : جمع أعداء ، وأعداء جمع عدو . إذاً فالأعادي جمع الجمع .

(إِلَيْهَا) : أي إلىٰ الآيات .

(مُلْقِي) : اسم فاعل من الإلقاء ، والمقصود به الطرح .

(السَّلَمِ) : السلاح ، وهو كناية عن الصلح .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالىٰ :

ما حارب أحدٌ النبيَّ ﷺ إلا كان عليه الصلاة والسلام هو الغالب ، ورجع أشد الأعادي عداوة إليها - أي الآيات - ملقي السلاح ، وسلّم للنبي ﷺ إما بدخوله للإسلام ، وإما بتركه المحاربة لشدة بلاغة هذه الآيات .

وإسناد المحاربة إليها مجاز هنا ؛ لأن المحارب هو الذي أتىٰ بها لا هي .

ثم قال المصنف :

رَدَّتْ بَلاَغَتُهَا دَعْوَىٰ مُعَارِضِهَا
رَدَّ الغَيُورِ يَدَ الجَانِي عَنِ الحُرَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٩٦- رَدَّتْ بَلاَغَتُـهَا دَعْـوَىٰ مُعَارِضِــهَا
رَدَّ الغَيُــورِ يَـدَ الجَـانِي عَــنِ الحُــرَمِ

الإعراب الموجز

(رَدَّتْ بَلاَغَتُهَا) : فعل وفاعل ، والتاء للتأنيث .

(دَعْوَىٰ) : مفعول به ، وهي مضاف .

(مُعَارِضِهَا) : مضاف إليه .

(رَدَّ) : مفعول مطلق تشبيهي ، أي رداً مثل رد .

(الغَيُورِ) بفتح الغين وضم الياء : مضاف إليه من إضافة المصدر إلىٰ فاعله .

(يَدَ) : مفعول لـ(رَدَّ) .

(الجَانِي) بالجيم والنون : مضاف إليه .

(عَنِ الحُرَمِ) بضم الحاء وفتح الراء : جار ومجرور متعلق بـ **(رَدَّ)** .

تفسير الكلمات

(رَدَّتْ) : بمعنىٰ صرفت .

(بَلاَغَتُهَا) : أي بلاغة هذه الآيات .

والبلاغة في كلام العرب مطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال مع فصاحته ، والفصاحة هي خلو الكلام من الحشو والتعقيد والغرابة .

(دَعْوَىٰ مُعَارِضِهَا) : علىٰ أن يأتي بمثلها .

(رَدَّ الغَيُورِ): أي رداً مثل رد الشخص الشديد الغيرة علىٰ النساء .

(الجَانِي) : مأخوذ من الجناية ، يقال : جنىٰ عليه جناية أي فعل به مكروهاً .

(عَنِ الحُرَمِ) : أي عن أهل وعرض الرجل .

المعنى الكلي

لما كانت آيات القرآن الكريم في قمة البلاغة ، ووقف الخلائق أمامها عاجزين عن معارضتها وعن الإتيان بمثلها ، صرفت وأبطلت فصاحتها مع مطابقتها لمقتضيات الأحوال دعوى معارضها ردّ الغيور على النساء يد الجاني عن نسائه الحرم . فإن مِن كونه غيوراً يقتضي أن لا يسامح في ترك الجناية لالتماس النساء وإن لم تكن من محارمه ، بل يرد أيدي الجناة عنهن بمقتضى طبعه ، فكيف بِرَدِّهِ يد الجاني عن حُرَمِه ؟

وهنا أشار المصنف إلى مسيلمة الكذاب حين عارض القرآن لما ادعى النبوة ، وأراد أن يتشبّه بالقرآن الكريم فقال معارضاً سورة النازعات : **(والطاحنات طحناً ، والعاجنات عجناً ، والخابزات خبزاً)** . فافتُضح بذلك لا بارك الله فيه ، ولا بمن اتبعه ومات على طريقه .

ثم قال الناظم رحمه الله تعالى :

لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ البَحْرِ فِي مَدَدٍ
وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الحُسْنِ وَالقِيَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٩٧- لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ البَحْرِ فِي مَـدَدٍ
وَفَـوْقَ جَوْهَـرِهِ فِـي الحُسْـنِ وَالقِيَـمِ

الإعراب الموجز

(لَهَا) : جار ومجرور متعلق بخبر مقدم ، والضمير يعود لـ**(آيَاتٌ)** .

(مَعَانٍ) : مبتدأ مؤخر .

(كَمَوْجِ) : جار ومجرور نعت لـ**(مَعَانٍ)** .

(البَحْرِ) : مضاف إليه .

(فِي مَدَدٍ) بفتحتين : جار ومجرور متعلق بالكاف لِما فيه من معنى التشبيه .

(وَفَوْقَ) : معطوف على نعت **(مَعَانٍ)** ، وهي مضاف .

(جَوْهَرِهِ) : مضاف إليه ، والضمير يعود لـ**(البَحْرِ)** .

(فِي الحُسْنِ) بضم الحاء وسكون السين : جار ومجرور متعلق بمحل الظرف .

(وَالقِيَمِ) بكسر القاف وفتح الياء : معطوف على **(الحُسْنِ)** .

تفسير الكلمات

(لَهَا) : أي لهٰذه الآيات والمعجزات .

(مَعَانٍ) : جمع معنًى ، وهو المراد من اللفظ .

(كَمَوْجِ البَحْرِ) : أي مثل موج البحر ، والموج هو المضطرب من الماء .

(فِي مَدَدٍ) : أي في كونه يمد بعضه بعضاً ، إذْ ما مِن موجة إلا وبعدها موجة . والمراد بالمدد هنا الزيادة .

(وَفَوْقَ) : معطوف على قوله **(كَمَوْجِ)** .

(جَوْهَرِهِ) : المراد الدر المستخرج من البحر .

(فِي الحُسْنِ) : هو ضد القبح .

(وَالقِيَمِ) : جمع قيمة ، والمراد بها هنا القدر والشرف .

المعنى الكلي

أراد المصنف هنا أن يقول للآخرين بأن هذه الآيات المذكورة لها معان كثيرة لا نهاية لها ، فهي في كثرتها وإمداد بعضها بعضاً كموج البحر في مدد ، وفي حسنها البديع وما لها من القدر والشرف الرفيع فائقة حُسن جوهر البحر .

ثم بَيَّنَ أن مع كثرتها فإنها لا توصف بالملالة ، وعجائبها لا تعد ولا تحصى ، فقال :

فَمَا تُعَدُّ وَلاَ تُحْصَى عَجَائِبُهَا
وَلاَ تُسَامُ عَلَى الإِكْثَارِ بِالسَّأَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

٩٨- فَمَا تُعَدُّ وَلاَ تُحْصَى عَجَائِبُهَا
وَلاَ تُسَامُ عَلَى الإِكْثَارِ بِالسَّأَمِ

الإعراب الموجز

(فَمَا) : حرف نفي .

(تُعَدُّ) بضم التاء وفتح العين : فعل مضارع مبني للمفعول ، ونائب الفاعل مستتر فيه يعود على المتنازع منه وهو **(عَجَائِبُهَا)** .

(وَلاَ تُحْصَى) : بالبناء للمفعول معطوف على **(تُعَدُّ)** .

(عَجَائِبُهَا) : نائب فاعل **(تُحْصَى)** .

(وَلاَ تُسَامُ) بضم التاء وفتح السين : معطوف على **(تُعَدُّ)** ، ونائب فاعله مستتر فيه يعود إلى **(آيَاتُ)** .

(عَلَى الإِكْثَارِ) بكسر الهمزة : جار ومجرور .

(بِالسَّأَمِ) بفتح السين المشددة والهمزة المخففة : متعلق مع ما قبله بـ **(تُسَامُ)** .

تفسير الكلمات

(فَمَا تُعَدُّ) : أي من كثرتها .

(وَلاَ تُحْصَى) : من غزارتها .

(عَجَائِبُهَا) : أي معانيها العجيبة .

والعجائب جمع عجيبة ، وهي الشيء الذي لا نظير له .

(وَلاَ تُسَامُ) : أي لا توصف .

(عَلَى الإِكْثَارِ) : على هنا بمعنى مع ، أي مع الإكثار منها الذي لا غاية له .

(بِالسَّأَمِ) : بالملل .

وهنا البيت مفرّع على البيت الذي قبله ، فالشطر الأول فيه مفرع على الشطر الأول ، والشطر الثاني على الشطر الثاني .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

إن هذه الآيات إذا كان لها معان كموج البحر في الكثرة التي لا غاية لها ، وفوق جوهره في الحُسن والقدر والشرف ، ترتّب على ذلك أنها لا تُحصى معانيها العجيبة ، ولا تُعَدُّ لعدم تناهيها ، ولا توصف بالملل مع الإكثار منها لحسنها .

أما غيرها من الكلام ولو بلغ الغاية مما يليق به من الحُسن والبلاغة ، فإنه يوصف بالملل مع الإكثار منه وترديده ، بخلاف آيات القرآن الكريم ، فقارئها لا يملها ، وسامعها لا يمجها ، بل الإكباب على تلاوتها يزيدها حلاوة ، ويوجب لها محبة وطلاوة .

وكما ورد في الحديث الشريف أن النبي ﷺ وصف القرآن فقال : « إنه لا يَخْلَقُ على كثرة الرد ، ولا تنقضي عبره ، ولا تفنى عجائبه ، هو الفصل ليس بالهزل ، لا يشبع منه العلماء ، ولا تزيغ منه الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ... »[1].

ثم قال صاحب التصنيف :

قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ
لَقَدْ ظَفِرْتَ بِحَبْلِ اللهِ فَاعْتَصِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

(١) ذكره القاضي عياض في الشفاء .

٩٩- قَـرَّتْ بِـهَا عَيْـنُ قَارِيـهَا فَقُلْـتُ لَـهُ

لَقَـدْ ظَفِـرْتَ بِحَبْـلِ اللهِ فَـاعْتَصِمِ

الإعراب الموجز

(قَرَّتْ) بفتح القاف وتشديد الراء : فعل ماض والتاء للتأنيث .

(بِهَا) : جار ومجرور متعلق بـ **(قَرَّتْ)** ، والضمير يعود لـ**(آيَاتُ)** .

(عَيْنُ) : فاعل **(قَرَّتْ)** ، وهي مضاف .

(قَارِيهَا) : مضاف إليه .

(فَقُلْتُ) بضم التاء : فعل وفاعل .

(لَهُ) : جار ومجرور متعلق بـ **(قُلْتُ)** ، والضمير يعود لـ**(قَارِيهَا)** .

(لَقَدْ) : حرف تحقيق .

(ظَفِرْتَ) بفتح التاء : فعل وفاعل ، والجملة جواب لقسم محذوف .

(بِحَبْلِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(ظَفِرْتَ)** .

(اللهِ) : اسم الجلالة مضاف إليه .

(فَاعْتَصِمِ) : فعل أمر ، وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت .

تفسير الكلمات

(قَرَّتْ) : سكنت واطمأنت .

(بِهَا) : الضمير راجع للآيات .

(عَيْنُ) : بمعنى ذات .

(قَارِيهَا) : أي تاليها لحصول السرور له .

(فَقُلْتُ لَهُ) : أي فلما قرّت عين قاريها لقراءة ألفاظها العذبة قلتُ له حينئذ ...

(لَقَدْ) : أي والله لقد .

(ظَفِرْتَ) : فزت أيها القارئ .

(بِحَبْلِ اللهِ) : بسببٍ أوصلك أو يوصلك إلى الله .

(فَاعْتَصِمِ) : فاستمسك به .

المعنى الكلي

يقول المصنف في هذا البيت :

إن هذا الآيات قرّت عين تاليها بسببها ، وأَنِسَت بقراءتها ، فقلتُ له : والله لقد فزتَ من الله تعالى بما يوصلك إلى دار كرامته ، فامتنِع ببركة قراءتك لها من عذاب الله ، أو امتنِع باتباع أوامره واجتناب نواهيه من الوقوع في المخالفة التي تؤدي إلى عقاب الله .

نسأل الله تعالى النجاة من النار ومسبباتها .

ثم قال رحمه الله :

إِنْ تَتْلُهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارِ لَظَى

أَطْفَأْتَ حَرَّ لَظَى مِنْ وِرْدِهَا الشَّبِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٠٠- إِنْ تَتْلُهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارِ لَظَى

أَطْفَأْتَ حَرَّ لَظَى مِنْ وِرْدِهَا الشَّبِمِ

الإعراب الموجز

(إِنْ) : حرف شرط جازم .

(تَتْلُهَا) : فعل الشرط ، وهو مجزوم بـ **(إِنْ)** وعلامة جزمه حذف الواو .

(خِيفَةً) بكسر الخاء : مفعول لأجله .

(مِنْ حَرِّ) : جار ومجرور متعلق بـ **(خِيفَةً)** .

(نَارِ) : مضاف إليها ومضافة .

(لَظَى) : مضاف إليها .

(أَطْفَأْتَ) بفتح التاء : فعل ماض وفاعل، والجملة جواب الشرط .

(حَرَّ) : مفعول **(أَطْفَأْتَ)** .

(لَظَى) : مضاف إليها ، وهي من إقامة الظاهر مكان المضمر .

(مِنْ وِرْدِهَا) بكسر الواو وسكون الراء : جار ومجرور متعلق بـ **(أَطْفَأْتَ)** .

(الشَّبِمِ) بفتح الشين المشددة وكسر الباء : صفة **(وِرْدِهَا)** .

تفسير الكلمات

(إِنْ تَتْلُهَا) : إن تقرأها .

(خِيفَةً) : أي خوفاً .

(مِنْ حَرِّ نَارِ لَظَى) : أي جهنم ، وهو اسم من أسماء النار .

(أَطْفَأْتَ حَرَّ لَظَى) : أي أطفأتَ أنت حرها .

(مِنْ وِرْدِهَا) : أي من موردها ، وهو المحل الذي يرد منه الماء .

(الشَّبِمِ) : العذب البارد .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله :

إنك إن تقرأها أيها القارئ خوفاً من عذاب جهنم ، أطفأتَ عنك بقراءتك حر جهنم من أجل وِردها البارد ، إذ الماء به حياة الأشباح ، والآيات بها حياة الأرواح .

واستعارة الوِرد للآيات ترشيحية ؛ لأن (الشِّبِمِ) مما يلائم المستعار منه . ووجه التشبيه أن الماء يطفئ ورودُه حرارةَ العطش ، وورود الآيات الكريمة يطفئ حرارة جهنم ، أعاذنا الله تبارك وتعالى منها ومن مقدماتها .

ثم قال :

كَأَنَّهَا الحَوْضُ تَبْيَضُّ الوُجُوهُ بِهِ
مِنَ العُصَاةِ وَقَدْ جَاءُوهُ كَالحُمَمِ

* * * *

١٠١- كَأَنَّهَا الحَوْضُ تَبْيَضُّ الوُجُوهُ بِهِ
مِنَ العُصَاةِ وَقَدْ جَاءُوهُ كَالحُمَمِ

الإعراب الموجز

(كَأَنَّهَا) : حرف تشبيه ، والهاء اسمها وهو يعود لـ **(آيَاتُ)** .

(الحَوْضُ) : خبرها .

(تَبْيَضُّ الوُجُوهُ) : فعل وفاعل ، والجملة حال من **(الحَوْضُ)** .

(بِهِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(تَبْيَضُّ)** ، وهو رابط الحال بصاحبها .

(مِنَ العُصَاةِ) : جار ومجرور حال من **(الوُجُوهُ)** .

(وَقَدْ) : حرف تحقيق .

(جَاءُوهُ) : فعل وفاعل ومفعول به .

والجملة حال من **(العُصَاةِ)** ، والرابط الواو والهاء .

(كَالحُمَمِ) بضم الحاء وفتح الميم الأولى : جار ومجرور متعلق بموضع الحال من **(جَاءُوهُ)** ، فالجملة حال متداخلة .

تفسير الكلمات

(كَأَنَّهَا) : أي كأن الآيات المذكورة .

(الحَوْضُ) : أي الكوثر .

(تَبْيَضُّ الوُجُوهُ) : أي الذوات ، من باب التعبير باسم الجزء وإرادة الكل .

(بِهِ) : أي الحوض .

(مِنَ العُصَاةِ) : جمع عاص ، وهو ضد المطيع .

والمراد هنا الذين يخرجون من النار بشفاعته ﷺ .

(وَقَدْ جَاءُوهُ) : أي والحال أنهم جاءوه .

فالواو هنا حالية ، والضمير الفاعل راجع للعصاة ، والضمير المفعول راجع للحوض .

(كَالحُمَمِ) : أي حال كونهم كالحُمَم ، وهي جمع حُمّة بمعنىٰ فحمة .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالىٰ :

كأن الآيات في تبييض وجوه القارئين لها كحوض الكوثر في تبييض وجوه العصاة إذا جاءوه كالفحم الأسود .

ووجه تشبيهها بالحوض المذكور أن الآيات تشفع في تاليها وقد جاء مُسْوَدَّ الوجه من المعاصي ، فيَبْيَض بشفاعتها . كما أن الحوض تَبْيَض به وجوه العصاة حين يُصَب عليهم منه بعد مجيئهم من النار كالفحم في السواد الذي أصابهم من النار ، فيعودون بيضاً كالقراطيس ثم يدخلون الجنة .

ثم قال المصنف :

وَكَالصِّرَاطِ وَكَالمِيزَانِ مَعْدِلَةً
فَالقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يُقِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٠٢- وكَالصِّرَاطِ وكَالمِيزَانِ مَعْدِلَةً
فَالقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يُقِمِ

الإعراب الموجز

(وكَالصِّرَاطِ وكَالمِيزَانِ) : كلمتان عُطِفتا على خبر **(آياتُ حَقٍّ)** أول البيت الواحد والتسعين .

(مَعْدِلَةً) : تمييز منصوب .

(فَالقِسْطُ) بكسر القاف : مبتدأ .

(مِنْ غَيْرِهَا) ، **(فِي النَّاسِ)** : جار ومجرور متعلقان بـ **(يُقِمِ)** .

(لَمْ يُقِمِ) بضم الياء وكسر القاف : خبر **(القِسْطُ)** .

تفسير الكلمات

(وكَالصِّرَاطِ) : أي وهذه الآيات كالصراط في الاستقامة ، وإنما حذف ذلك لدلالة المعنى عليها .

والمراد بالصراط الدين الحق الذي لا اعوجاج فيه .

أو الجسر الممدود على ظهر جهنم الذي هو أدق من الشعرة ، يسير الناس عليه إلى الجنة على قدر أعمالهم .

فإنه خط مستقيم لا اعوجاج فيه ، وهما متلازمان فإنه لا يسير على متن جهنم سيراً مستقيماً من غير ميل إلا من كان على طريق الاستقامة في الدنيا .

(وكَالمِيزَانِ) : أي وهذه الآيات المذكورة مثل الميزان الذي توزن فيه أعمال المكلفين .

وكما قيل : فإن الذي يزن الأعمال من الملائكة سيدنا جبريل عليه السلام .

(مَعْدِلَةً) : بمعنى عدلاً ، أي كالميزان من جهة العدل .

ووجه التشبيه بين الآيات وبين كل من الصراط والميزان ، أن الآيات في أحكامها وأخبارها كلها ذات عدل واستقامة كاستقامة الطريق والميزان .

(فَالقِسْطُ) : أي العدل .

(مِنْ غَيْرِهَا) : أي المأخوذ من غيرها وغير ما يُرجع إليها من السنة ونحوها .

(فِي النَّاسِ) : المراد بهم هنا الخصوص ، وإلا لزم أنْ لا يكون في أهل التوراة وغيرهم من أهل الكتب السماوية عدل وهو باطل .

(لَمْ يُقِمِ) : الإقامة هنا الدوام .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالى :

إن آيات القرآن العزيز هي آيات حق ، وهي مستقيمة كالصراط ، وعادلة كالميزان عدلاً دائماً ، حيث العدل من غيرها لم يدم في الناس بل يزول وينقطع على مَرِّ الدهور .

ثم قال :

لاَ تَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا

تَجَاهُلاً وَهُوَ عَيْنُ الحَاذِقِ الفَهِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٠٣- لاَ تَعْجَبَنْ لِحَسُــودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَــا

تَجَــاهُلاً وَهْــوَ عَيْــنُ الحَــاذِقِ الفَــهِمِ

الإعراب الموجز

(لاَ) : حرف نفي .

(تَعْجَبَنْ) بسكون النون الخفيفة : فعل مضارع ، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره أنت .

(لِحَسُودٍ) بكسر اللام : جار ومجرور متعلق بـ **(تَعْجَبَنْ)** .

(رَاحَ) : فعل ماض ، وفاعله مستتر فيه تقديره هو ، والجملة نعت **(حَسُودٍ)** .

(يُنْكِرُهَا) : فعل مضارع ، والهاء مفعول به ، وفاعلـه ضمـير مسـتتر جـوازاً تقديره هو .

والجملة حال من فاعل **(رَاحَ)** المستتر فيه .

(تَجَاهُلاً) : مفعول لأجله .

(وَهْوَ) بسكون الهاء : مبتدأ .

(عَيْنُ) : خبرها .

(الحَاذِقِ) بكسر الذال : مضاف إليه .

(الفَهِمِ) بفتح الفاء وكسر الهاء : نعت **(الحَاذِقِ)** .

وجملة المبتدأ والخبر حال من فاعل **(يُنْكِرُ)** المستتر فيه .

تفسير الكلمات

(لاَ تَعْجَبَنْ) : العُجْب انفعال النفس من أمر غريب .

(لِحَسُودٍ) : هو الذي يتمنى زوال النعمة عن غيره سواء وصلت إليه أم لا .

(رَاحَ يُنْكِرُهَا) : ذهب يجحدها .

(تَجَاهُلاً) : أي أظهر الجهل من نفسه وتكلّفه لا حقيقةً .

(وَهُوَ عَيْنُ) : أي وهو نفس .

(الحَاذِقِ) : الحاذق هو الماهر في صنعته ، فهو اسم فاعل مأخوذ من الحَذَقة ، وهي كمال الدراية في الصناعة .

(الفَهِمِ) : هو شدة الإدراك .

المعنى الكلي

قال المصنف :

لا تعجبن أيها المؤمن بهذه الآيات من حساد النبي ﷺ ، وقد حملهم حسدهم على إنكارها تجاهلاً منهم . فالحال أنهم عالمون وليسوا بجهال ، وإنما فعلهم فعل الحاذق الكثير الفهم الذي لا يخفى عليه تمييز الحق من الباطل .

ثم قال :

قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ
وَيُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ المَاءِ مِنْ سَقَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٠٤- قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ
وَيُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ المَاءِ مِنْ سَقَمِ

الإعراب الموجز

(قَدْ) : حرف تحقيق .

(تُنْكِرُ العَيْنُ) : فعل وفاعل .

(ضَوْءَ) : مفعول به .

(الشَّمْسِ) : مضاف إليه .

(مِنْ رَمَدٍ) : جار ومجرور متعلق بـ**(تُنْكِرُ)** على أنه علة له .

(وَيُنْكِرُ الفَمُ) بالتشديد : فعل وفاعل ، والجملة معطوفة على **(تُنْكِرُ العَيْنُ)** .

(طَعْمَ) : مفعول به .

(المَاءِ) : مضاف إليه .

(مِنْ سَقَمٍ) بفتح السين والقاف : جار ومجرور متعلق بـ **(يُنْكِرُ)** على أنه علة له .

تفسير الكلمات

(قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ) : أي العين الباصرة ، والمقصود بها هنا صاحبها .

(مِنْ رَمَدٍ) : أي من أجل الرمد القائم بها ، والرمد داء يصيب العين .

(وَيُنْكِرُ الفَمُ) : أي صاحب الفم .

(طَعْمَ المَاءِ) : أي طعم الماء العذب .

(مِنْ سَقَمٍ) : من أجل المرض القائم به .

فهاتان الجملتان مسوقتان للتعليل ، وكلامه على حذف مضاف منهما ، والتقدير : قد ينكر ذو العين ضوء الشمس من رمد ، وقد ينكر ذو الفم

طعم الماء من سقم ؛ لأن المُنْكِر في الحقيقة صاحب كل منهما .

المعنى الكلي

لقد أشار المصنف هنا أنه لمّا ادعى إنكار معجزاته ﷺ المذكورة ، أثبت ذلك بأمرين محسوسين :

الأول : إنكار العين ضوء الشمس من أجل المرض القائم بها .

والثاني : إنكار الفم طعم الماء من أجل السقم القائم به .

وكذلك إنكار الآيات من أجل الحسد القائم بالمُنْكِر .

فيقول رحمه الله تعالى في معنى هذا البيت :

قد تنكر العين ضوء الشمس من أجل ما قام بها من مانع رمد يمنع من النظر إليه ، فذلك الإنكار نفور من النظر إلى الضوء مع العلم بوجوده . وقد ينكر الفم طعم الماء من سقم ، وليس هو إلا محض نفور من استعماله مع العلم بما هو عليه من حقيقة الطعم المحسوس في نفس الأمر .

ثم قال :

يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ العَافُونَ سَاحَتَهُ
سَعْياً وَفَوْقَ مُتُونِ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٠٥- يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ العَافُونَ سَاحَتَهُ

سَعْياً وَفَوْقَ مُتُونِ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ

الإعراب الموجز

(يَا) : حرف نداء .

(خَيْرَ مَنْ) بفتح الخاء : منادىٰ منصوب مضاف إلىٰ **(مَنْ)** الموصولة .

(يَمَّمَ العَافُونَ سَاحَتَهُ) : فعل وفاعل ومفعول به ، والجملة صلة **(مَنْ)** والرابط بينهما الهاء من **(سَاحَتَهُ)** .

(سَعْياً) : حال من **(العَافُونَ)** .

(وَفَوْقَ) : ظرف متعلق بحال محذوفة ، أي ركباناً فوق متون .

(مُتُونِ) بضم الميم والتاء : مضاف إليه ، وهي مضاف أيضاً .

(الأَيْنُقِ) : مضاف إليها .

(الرُّسُمِ) بضم الراء المشددة وضم السين : نعت **(الأَيْنُقِ)** .

تفسير الكلمات

(يَا خَيْرَ مَنْ) : خطاب للنبي ﷺ .

(يَمَّمَ) : قصد .

(العَافُونَ) : جمع عاف ، وهو طالب المعروف .

(سَاحَتَهُ) : المراد بها هنا حريم الدار الواسع .

(سَعْياً) : السعي هو المشي السريع ، أي بمعنىٰ ساعين ومسرعين .

(وَفَوْقَ مُتُونِ) : المتون جمع متن ، وهو الظهر .

(الأَيْنُقِ) : جمع ناقة ، وهو مقلوب وأصله أنوق ، وجمعها أيانق .

(الرُّسُمِ) : جمع رسوم ، وهي الناقة التي تؤثر في الأرض من شدة الوطء عليها .

المعنى الكلي

لما مدح المصنف النبي ﷺ بما مدحه به مخبراً عنه على سبيل الغيبة ، أقبل عليه بالخطاب فقال واصفاً النبي ﷺ :

يا خير كريم قصد طلاب المعروف ساحته ؛ لتحقيق ما تعوّدوا منه ﷺ من الظفر بالمطلوب حال كونهم ساعين سعياً ومُجِدِّين في المشي استعجالاً ، ومِن أمن الخيفة حال كونهم راكبين فوق ظهور النوق الشديدة الوطء لقوتها ، حتى أنها ترسم في الأرض بمشيها آثاراً ظاهرة . وكل ذلك لحصول البغية سريعاً ، وللرجوع إلى مضاربهم في أقرب وقت ممكن .

ثم قال رحمه الله تعالى :

وَمَنْ هُوَ الآيَةُ الكُبْرَىٰ لِمُعْتَبِرٍ
وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ العُظْمَىٰ لِمُغْتَنِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٠٦- وَمَنْ هُوَ الآيَةُ الكُبْرَىٰ لِمُعْتَبِرٍ
وَمَنْ هُوَ النِّعْمَةُ العُظْمَىٰ لِمُغْتَنِمِ

الإعراب الموجز

(وَمَنْ) بفتح الميم : اسم موصول معطوف علىٰ **(مَـنْ)** المجرورة بإضافة **(خَيْرَ)** إليها في البيت السابق .

(هُوَ الآيَةُ) : مبتدأ وخبر صلة **(مَنْ)** .

(الكُبْرَىٰ) : نعت **(الآيَةُ)** .

(لِمُعْتَبِرٍ) بفتح التاء وكسر الباء : جار ومجرور متعلق بـ **(الآيَةُ)** .

(وَمَنْ) بفتح الميم : موصول اسمي معطوف علىٰ مثله .

(هُوَ النِّعْمَةُ) : مبتدأ وخبر صلة **(مَنْ)** .

(العُظْمَىٰ) : نعت **(النِّعْمَةُ)** .

(لِمُغْتَنِمِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(النِّعْمَةُ)** .

تفسير الكلمات

(وَمَنْ هُوَ) : أي ويا من هو ، فهو معطوف علىٰ المنادىٰ في البيت الذي قبله ، و**(مَنْ)** واقعة عليه ﷺ كما هو ظاهر .

(الآيَةُ) : العلامة .

(الكُبْرَىٰ) : التي هي أكبر الآيات .

(لِمُعْتَبِرٍ) : المراد به الذي يُصَيِّرُ فكره في معرفة الحق من الباطل .

(وَمَنْ هُوَ) : أي ويا من هو كما أسلفنا .

(النِّعْمَةُ) : هي واحدة النِّعم ، وهي شدة رغد العيش .

(العُظْمَىٰ) : بمعنىٰ الكبرىٰ ، وهي تأنيث الأعظم .

(لِمُغْتَنِمِ) : مأخوذ من الغنيمة ، أي أيا من اغتنمتَ الشيء وأخذته غنيمة .

المعنى الكلي

يتابع المصنف وصف النبي ﷺ فيقول :

ويا من هو الآية الكبرى لمعتبر يتفكّر ويَذَّكَّر ، فإنه مع توفيق الله تعالى يعلم بأول نظرة ينظرها أنه ﷺ خير خلق الله ، وأن الله تبارك وتعالى بعثه رحمة إلى الخلائق . حيث الأرض كانت قبل بعثته ﷺ مغمورة بالضلال ، فلما جاء عليه الصلاة والسلام دلّ على الله وعرّف بوحدانيته ، وأتى بما لا يُنال بتعليمٍ واكتساب بل بتخصيصٍ من الوهاب .

وحقيقٌ لمن بلغ في الآية إلى هذه المنزلة الدالة على الله أن يكون نعمة عظمى لا أعظم منها ، كما قال : ويا مَن هو النعمة العظمى لمغتنمٍ لما عند الله تعالى من السعادة الأبدية ، ومن الخلود في جنات الله سبحانه وتعالى .

ثم قال رحمه الله :

سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً إِلَى حَرَمٍ
كَمَا سَرَى البَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٠٧- سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ لَيْلاً إِلَىٰ حَرَمٍ
كَمَا سَرَىٰ البَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

الإعراب الموجز

(سَرَيْتَ) بفتح التاء : فعل وفاعل .

(مِنْ حَرَمٍ) : جار ومجرور .

(لَيْلاً) ، **(إِلَىٰ حَرَمٍ)** : متعلقان بـ**(سَرَيْتَ)** .

(كَمَا) : جار ومجرور ، و**(مَا)** مصدرية .

(سَرَىٰ البَدْرُ) : فعل وفاعل ، والجملة صلة **(مَا)** .

(فِي دَاجٍ) : جار ومجرور متعلق بـ**(سَرَىٰ)** .

(مِنَ الظُّلَمِ) بضم الظاء وفتح اللام : جار ومجرور متعلق بنعت **(دَاجٍ)** .

تفسير الكلمات

(سَرَيْتَ) : الخطاب لرسول الله ﷺ ، أي يا رسول الله .

(مِنْ حَرَمٍ) : أي من مكان محترم ، والمراد به المسجد الحرام .

(لَيْلاً) : دلت هـذه علىٰ سرعة الإسراء وعلىٰ تأكيده ، حيث الإسراء لا يكون إلا بالليل .

(إِلَىٰ حَرَمٍ) : المقصود به هنا حرم بيت المقدس ، وهو المسجد الأقصىٰ .

(كَمَا سَرَىٰ البَدْرُ) : أي مثل سير القمر ليلة كماله ، وهي ليلة الرابع عشرة . ووجه التشبيه هنا أنه ﷺ نور مبين كالبدر ، بل أتم وأعظم .

(فِي دَاجٍ) : الداجي اسم للّيل المظلم ، يقال : دجا الليل أي أظلم ، فهو داج أي مظلم .

(**مِنَ الظُّلَمِ**) : أي من ذي الظُّلَم الذي هو جمع ظُلْمة .

المعنى الكلي

يقول المصنف مخاطباً النبي ﷺ :

ومِن آياتك يا رسول الله الكبرىٰ ومعجزاتك العظمىٰ : أنك سريت من حرم مكة في جزء قليل من الليل إلىٰ حرم بيت المقدس ، وقطعت مسافة عظيمة في ليل مظلم كما سرىٰ البدر الكامل التام النور في داج من الظُّلَم .

وقد أشار المصنف بهذا البيت إلىٰ قصة الإسراء التي ذكرها الله تعالى لنا بقوله : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء : ١].

والقصة مشهورة ومعلومة من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ، إنما أحببت هنا أن أذكر بأن الإسراء حصل من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ لأمور كثيرة وفوائد جمة ، منها الربط المقدس بين المسجدين الشريفين ، وليعلم المسلمون كذلك أن حرمة المسجد الأقصىٰ كحرمة المسجد الحرام ، حيث هو قبلة المسلمين الأولىٰ ، وقبلة الأنبياء من قبل نبينا ﷺ .

وإنما خُصّ الإسراء بالليل دون النهار ؛ لأنه وقت تفريغ البال ، وقطع العلائق .

وقيل : لأن الله تعالىٰ لما محا آية الليل وجعل آية النهار مبصرة انكسر خاطر الليل ، فجُبِرَ بأن أُسْرِيَ فيه بسيدنا محمد ﷺ .

ولذلك قيل : افتخر النهار علىٰ الليل بالشمس ، فقيل : لا تفتخر ، فإن كانت شمس الدنيا تشرق فيك ، فسيُعْرَجُ بشمس الأرض

في الليل إلىٰ السماء .

وقيل : لأنه ﷺ سراج كما وصفه الله تبارك وتعالىٰ ، والسراج إنما يُوقَدُ في الليل .

وقيل : لأنه سُمي بِـبدارٍ في قوله تعالىٰ : ﴿ طه ﴾ ، فإن الطاء بتسعة والهاء بخمسة ، وذلك أربعة عشر ، فكأنه تعالىٰ قال : يا بدر .

وهذا يناسب قول الناظم : **(كَمَا سَرَىٰ البَدْرُ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ)** .

ولله در القائل حيث قال :

قلتُ يا سيدي وَلِمَ تُؤْثِر الليـ ـلَ علىٰ بهجةِ النهارِ المنيرِ
قال لا أستطيع تغيير رسمي هكذا الرسْمُ في طلوع البدورِ
إنما زرتُ في الظلام لِكَيْما يُشْرِقُ الليل مِن أشعةِ نوري

ثم قال المصنف :

وَبِتَّ تَرْقَىٰ إِلَىٰ أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً
مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٠٨- وَبِتَّ تَرْقَىٰ إِلَىٰ أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً
مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ

الإعراب الموجز

(وَبِتَّ) بكسر الباء وفتح التاء المشددة : فعل ماض ناقص ، والتاء اسمها .

(تَرْقَىٰ) بفتح التاء والقاف : خبرها .

(إِلَىٰ) : حرف جر .

(أَنْ) بفتح الهمزة : موصول حرفي .

(نِلْتَ) بكسر النون وفتح التاء : فعل وفاعل صلة **(أَنْ)** المصدرية .

و**(أَنْ)** وصلتها في تأويل مصدر مجرور بـ**(إِلَىٰ)** .

(مَنْزِلَةً) : مفعول به لـ**(نِلْتَ)** .

(مِنْ قَابِ) : جار ومجرور نعت **(مَنْزِلَةً)** .

(قَوْسَيْنِ) بفتح السين : مضاف إليه .

(لَمْ تُدْرَكْ) : بالتاء وبالبناء للمجهول ، ونائب الفاعل مستتر فيه يعود إلىٰ **(مَنْزِلَةً)** .

(وَلَمْ تُرَمِ) بضم التاء وفتح الراء : معطوف علىٰ **(لَمْ تُدْرَكْ)** .

تفسير الكلمات

(وَبِتَّ) : أي يا محمد ليلة أُسري بك من مكة إلىٰ بيت المقدس بعد وصولك إلىٰ المسجد الأقصىٰ .

(تَرْقَىٰ) : تصعد .

فقد نُصب له ﷺ معراج له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب ، تعرج عليه أرواح المؤمنين . فصعد عليها إلىٰ سماء الدنيا ،

فاستفتح جبريل الباب فقيل : مَن بالباب؟ قال : جبريل ، قيل : ومَن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أوَ قد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به وأهلاً ، ونِعْمَ المجيء جاء . فلما جاوز السماء الأولى دُلِّيَت المرقاة الثانية ، فصعد عليها إلى السماء الثانية ، وهكذا إلى السماء السابعة ، ثم إلى سدرة المنتهى ، ثم إلى مستوى سَمِعَ فيه صريف الأقلام ، ثم دُلِّيَ الرفرف - وهو سحابة خضراء - فصعد عليها إلى ما شاء الله سبحانه ، وهو المكان الذي أعدّه الله للخطاب وفرض الصلوات ، وإلا فالله تبارك وتعالى منزه عن المكان .

(إِلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً) : غاية لِما قبله ، أي إلى أن أُعطيت مرتبة في القرب .

(مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ) : هذه العبارة بيان للمنزلة ، أي مقدار قاب قوسين .

والمراد أن ذلك غاية القرب من الحضرة القدسية ، والقرب المراد به هنا المعنوي لا الحسي .

(لَمْ تُدْرَكْ) : أي لم يدركها غيرك .

(وَلَمْ تُرَمِ) : أي لم يرمها غيرك ولم يطلبها لعزة مكانها .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

وصرتَ يا محمد في ليلة الإسراء ترقى من درجة إلى درجة من درجات الكمال ، وتقطع حجاباً بعد حجاب من حُجُب الكبرياء والجلال ، وتصعد من سماء إلى سماء من سماوات الله ﷻ ، حتى انتهيت إلى مقام تقصر عنه الهمم العوالي ، ويقف دونه أشراف

الملائكة المقربين ومنهم الروح الأمين . وصرت من القرب في المقام القدسي بعد التجرد عن المنزل الإنسي إلى المرتبة اللاهوتية ، والحضرة الجبروتية ، والمنزلة الملكوتية كقاب قوسين أو أدنى . وهو ذلك المشرب الأصفى ، والمنزل الأسنى الذي لم يدانيه ﷺ فيه مَلَك مقرب ، ولا نبي مرسل .

وهذا هو مقام فناء الفناء الذي اختُصّ به نبينا محمد ﷺ من بين سائر الأنبياء .

ثم قال رحمه الله تعالى :

وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ بِهَا

وَالرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٠٩- وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ بِهَا
وَالرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَىٰ خَدَمِ

الإعراب الموجز

(وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ) : فعل ومفعول به وفاعل ، معطوف علىٰ قوله **(سَرَيْتَ)** في البيت الذي قبل السابق .

(الأَنْبِيَاءِ) : مضاف إليها .

(بِهَا) : جار ومجرور متعلق بـ **(قَدَّمَتْكَ)** ، والباء للظرفية ، والهاء للمنزلة .

(وَالرُّسْلِ) : معطوف علىٰ **(الأَنْبِيَاءِ)** من عطف الخاص علىٰ العام ، والمعطوف علىٰ المجرور مجرور .

ويجوز أن نقول : **(وَالرُّسْلُ)** عطف علىٰ **(جَمِيعُ)** .

ويجوز أن نقول كذلك : **(وَالرُّسْلَ)** عطف علىٰ المفعول معه .

(تَقْدِيمَ) : مفعول مطلق .

(مَخْدُومٍ) : مضاف إليه .

(عَلَىٰ خَدَمِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(تَقْدِيمَ)** .

تفسير الكلمات

(وَقَدَّمَتْكَ) : يحتمل أن يكون التقديم في الرتبة والمكانة ، ويحتمل أن يكون في الحس .

(جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ) : أي جماعة .

(بِهَا) : الضمير يعود لتلك المنزلة ، أو إلىٰ الليلة المفهومة من قوله : **(لَيْلاً)** .

(وَالرُّسْلِ) : أي وجميع الرسل .

(تَقْدِيمَ) : مصدر مشبه به ، أي تقديماً مثل تقديم .

(مَخْدُومٍ) : هو الرئيس .

(عَلَىٰ خَدَمِ) : أي بتقديم المخدوم علىٰ الخادم .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالىٰ:

وصيّرتك يا رسول الله جميع الأنبياء والرسل مقدماً بين يديها ، أو مقدماً في الرتبة والمكانة مثل تقديم مخدوم علىٰ خدم .

وإذا علمتَ ذلك أيها القارئ علمتَ أن المقدم في مرتبة المخدوم ، والمتأخر في مرتبة الخادم .

ثم قال المصنف:

وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِهِمْ
فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ العَلَمِ

* * * *

١١٠- وَأَنتَ تَختَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِهِمْ
فِي مَوْكِبٍ كُنتَ فِيهِ صَاحِبَ العَلَمِ

الإعراب الموجز

(وَأَنتَ) : مبتدأ .

(تَخْتَرِقُ السَّبْعَ) : فعل وفاعل ومفعول به ، والجملة خبر المبتدأ .

(الطِّبَاقَ) بكسر الطاء : نعت **(السَّبْعَ)** .

(بِهِمْ) : جار ومجرور متعلق بحال محذوفة ، أي ماراً بهم .

(فِي مَوْكِبٍ) بفتح الميم وكسر الكاف : جار ومجرور متعلق بما تعلق به المجرور قبله .

(كُنْتَ) بفتح التاء : فعل ماض ناقص ، والتاء اسمه .

(فِيهِ): جار ومجرور متعلق بكان ، والضمير يرجع لـ**(مَوْكِبٍ)** .

(صَاحِبَ) : خبر كان .

(العَلَمِ) بفتحتين : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(وَأَنتَ تَخْتَرِقُ) : أي وقدّمتك جميع الأنبياء والرسل والحال أنك تخترق ، بمعنى تقطع السماوات .

(السَّبْعَ الطِّبَاقَ) : أي طبقة فوق طبقة ، وقد وصفها المصنف بالطباق أخذاً من قوله تعالى : ﴿ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾ [الملك: ٣].

(بِهِمْ) : أي حال كونك ماراً بالذي لَقِيَك منهم .

ولقد ورد في حديث الإسراء كما في صحيح مسلم أنه ﷺ مرّ في السماء الدنيا بآدم ، وفي الثانية بعيسى ويحيى ، وفي الثالثة

بيوسف ، وفي الرابعة بإدريس ، وفي الخامسة بهارون ، وفي السادسة بموسى ، وفي السابعة بإبراهيم صلوات الله تبارك وتعالى وسلامه عليهم أجمعين .

ومَن أراد نص الحديث كاملاً فليرجع إليه .

(فِي مَوْكِبٍ) : أي في جمع من الملائكة الكرام يحفّون حولك يا رسول الله .

(كُنْتَ فيهِ) : أي في ذلك الموكب .

(صَاحِبَ العَلَمِ) : أي صاحب التحية والإكرام .

والعَلَم رمح في رأسه راية يحمله دائماً قائد الجيش .

المعنى الكلي

يقول المصنف :

وقدّمتك جميع الأنبياء والرسل ، والحال أنك تقطع السماوات السبع الطباق التي بعضها فوق بعض طبقة بعد أخرى حال كونك ماراً بالأنبياء الذين قدّموك .

والحال أيضاً أنك في موكب من الملائكة كنت فيه مقدّم القوم وكبيرهم ، وكيف لا وكان جبريل في مقدمة الموكب يستفتح لرسول الله ﷺ في كل سماء ؟

ثم قال :

حَتَّىٰ إِذَا لَمْ تَدَعْ شَأْواً لِمُسْتَبِقٍ
مِنَ الدُّنُوِّ وَلاَ مَرْقىً لِمُسْتَنِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١١١- حَتَّىٰ إِذَا لَمْ تَدَعْ شَأْواً لِمُسْتَبِقٍ
مِنَ الدُّنُوِّ وَلاَ مَرْقىً لِمُسْتَنِمِ

الإعراب الموجز

(حَتَّىٰ) : حرف غاية .

(إِذَا) : ظرف زمان مجرد عن معنىٰ الشرط .

(لَمْ تَدَعْ) : جازم ومجزوم .

(شَأْواً) بفتح الشين وسكون الهمزة : مفعول **(تَدَعْ)** .

(لِمُسْتَبِقٍ) بضم الميم وسكون السين وفتح التاء ، و**(مِنَ الدُّنُوِّ)**: جار ومجرور متعلقان بـ **(تَدَعْ)** .

(وَلاَ مَرْقىً) : معطوف علىٰ **(شَأْواً)** .

(لِمُسْتَنِمِ) بضم الميم الأولىٰ وسكون السين وكسر النون : جار ومجرور متعلق بـ **(تَدَعْ)** .

تفسير الكلمات

(حَتَّىٰ) : غاية لقوله **(وَأَنْتَ تَخْتَرِقُ)** .

(لَمْ تَدَعْ) : لم تترك .

(شَأْواً) : بمعنىٰ غاية .

(لِمُسْتَبِقٍ) : لطالبِ سَبْق .

(مِنَ الدُّنُوِّ) : بيان لـ**(شَأْواً)** ، أي من القرب .

(وَلاَ مَرْقىً) : المرقىٰ محل الرقي ، وهو الدرجة .

(لِمُسْتَنِمِ) : المستنم طالب الرفعة ، وهو الساعي ليرتفع .

المعنى الكلي

يقول المصنف في هذا البيت :

إنه ﷺ لم يزل يصعد إلىٰ مقام القرب ، فلم يترك فيه غاية من القرب لطالب السبق ، ولم يترك درجة لطالب رفعةٍ .

وذلك المقام هو أعلىٰ مقامات القرب ، وهو المعبر عنه فيما تقدم بـ **﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾** .

ثم قال رحمه الله :

خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالإِضَافَةِ إِذْ
نُودِيتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ المُفْرَدِ العَلَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١١٢- خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بِالإِضَافَةِ إِذْ
نُودِيتَ بِالرَّفْعِ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الْعَلَمِ

الإعراب الموجز

(خَفَضْتَ) بفتح التاء : فعل وفاعل .

(كُلَّ) : مفعول به .

(مَقَامٍ) بفتح الميم : مضاف إليه .

(بِالإِضَافَةِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(خَفَضْتَ)** .

(إِذْ) : ظرف للماضي متعلق بـ **(خَفَضْتَ)** .

(نُودِيتَ) بضم النون وكسر الدال وفتح التاء : فعل ماض مبني للمفعول ، ونائب الفاعل تاء المخاطب .

(بِالرَّفْعِ) : جار ومجرور متعلق بـ**(نُودِيتَ)** .

(مِثْلَ) : صفة مصدر محذوف منصوب على المفعول المطلق .

(الْمُفْرَدِ) : مضاف إليه .

(الْعَلَمِ) بفتحتين : صفة **(الْمُفْرَدِ)** .

تفسير الكلمات

(خَفَضْتَ) : الخفض هو ضد الرفع ، والمراد هنا انحطاط الرتبة.

(كُلَّ مَقَامٍ) : كل رتبة ومنزلة لغيرك .

(بِالإِضَافَةِ) : أي بالنسبة إلى مقامك يا رسول الله لا مطلقاً .

(إِذْ نُودِيتَ) : النداء هو طلب الإقبال .

(بِالرَّفْعِ): أي من قِبَل الله تبارك وتعالى إلى مقام **(قَابَ قَوْسَيْنِ)**.

(مِثْلَ المُفْرَدِ العَلَمِ) : العَلَم هو المشهور العالي القدر .

أي حال كونك مماثلاً للمفرد العلم من حيث الاختصاص بكونه نودي نداء مصحوباً برفع لفظه .

فكما أن المفرد العلم خُصَّ بكونه نودي نداء مصحوباً بالرفع من بين أقسام المنادىٰ ، كذلك خُصَّ نبينا ﷺ بكونه نودي نداء مصحوباً بالرفع من بين سائر الأنبياء ، فإن ما عداه منهم مخفوض المقام بالنسبة لمقامه عليه الصلاة والسلام .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالىٰ :

خفضتَ يا رسول الله كل مقام لغيرك بالنسبة إلىٰ مقامك حين نوديت بالارتفاع نداء مثل نداء المفرد العلم .

ثم قال :

كَيْمَا تَفُوزَ بِوَصْلِ أَيِّ مُسْتَتِرِ
عَنِ العُيُونِ وَسِرٌّ أَيِّ مُكْتَتَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١١٣- كَيْمَـا تَفُـوزَ بِوَصْـلٍ أَيِّ مُسْـتَتِرٍ
عَـنِ العُيُـونِ وَسِـرٌّ أَيِّ مُكْتَتَـمِ

الإعراب الموجز

(كَيْمَا) : **(كَيْ)** حرف جر وتعليل ، و **(مَا)** زائدة .

(تَفُوزَ) : فعل مضارع منصوب بأنْ مقدرة بعد **(كَيْ)** .

(بِوَصْلٍ) : جار ومجرور متعلق بـ**(تَفُوزَ)** .

(أَيِّ) بفتح الهمزة وتشديد الياء المكسورة : صفة لـ**(وَصْلٍ)** .

(مُسْتَتِرٍ) : مضاف إليه .

(عَنِ العُيُونِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(مُسْتَتِرٍ)** .

(وَسِرٌّ) بكسر السين : معطوف على **(وَصْلٍ)** .

(أَيِّ) : نعت لـ**(سِرٌّ)** .

(مُكْتَتَمِ) بضم الميم وفتح التاءين : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(كَيْمَا تَفُوزَ) : أي تظفر .

(بِوَصْلٍ) : الوصل ضد القطع .

(أَيِّ مُسْتَتِرٍ) : هو دال على معنى الكمال ، أي وصل كامل في الاستتار .

(عَنِ العُيُونِ) : جمع عين .

(وَسِرٌّ أَيِّ مُكْتَتَمِ) : هو دال على معنى الكمال ، أي سر تام في الاكتتام عن الخلق .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالىٰ :

خفضتَ يا رسول الله كل مقام إذ نوديت بالرفع كيما تفوز وتظفر بوصل من الله تبارك وتعالىٰ ، وهو المقام الذي رفعك الله إليه ، والمنزلة التي أَحَلَّك فيها وناداك إلىٰ الصعود إليها ، وذلك الوصل مستتر عن العيون أيَّ استتار كما قال : **(أيِّ مُسْتَتِرِ)** . وكي تفوز بسر من أسرار إلهك العظيم الذي أوحىٰ إليك في ذلك المقام .

أما استتار ذلك الوصل عن أعين مَن عاصره ﷺ ؛ فلأنه إنما أُسري به ﷺ بالليل وقد نامت العيون وهدأت الأصوات . وأما استتاره عن أعين سائر الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين ؛ فلأنه مقام لا ينبغي لغيره ﷺ الوصول إليه .

ولعل هذا السر المكتتم لم يُبَيِّنْه ﷺ إذ لا يستطيع غيره أن يحمله ، وهو الوحيد الذي وصل إليه .

ولما كانت هذه الرتبة العظيمة له ﷺ قد بلغت الغاية القصوىٰ في الجلال ، والنهاية العظمىٰ في الكمال ، أردفها المصنف في قوله مخاطباً له ﷺ :

فَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ
وَجُزْتَ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١١٤- فَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ
وَجُزْتَ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ

الإعراب الموجز

(فَحُزْتَ) بضم الحاء وسكون الزاي وفتح التاء : فعل وفاعل .

(كُلَّ) : مفعول به .

(فَخَارٍ) بفتح الفاء والخاء : مضاف إليه .

(غَيْرَ) : نعت **(كُلَّ)** .

(مُشْتَرَكٍ) بضم الميم وسكون الشين وفتح الراء : مضاف إليه .

(وَجُزْتَ) بضم الجيم وسكون الزاي : فعل وفاعل .

(كُلَّ) : مفعول به .

(مَقَامٍ) بفتح الميم : مضاف إليه .

(غَيْرَ) : صفة **(كُلَّ)** .

(مُزْدَحَمِ) بضم الميم وسكون الزاي وفتح الدال : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(فَحُزْتَ) : من الحيازة بمعنى الجمع ، أي فسبب ما نلتَ من تلك الرتبة أنك جمعتَ كل فخار ...

(كُلَّ فَخَارٍ) : أي كل ما يُفتخر به من الفضائل .

(غَيْرَ مُشْتَرَكٍ) : المشترك هو المختص .

(وَجُزْتَ) : عبَرت .

(كُلَّ مَقَامٍ) : كل مكان ، ومنزلة ، ورتبة .

(غَيْرَ مُزْدَحَمِ) : بمفردك ، أي لم يشاركْ أحد بذلك ولم يزاحمك .

المعنى الكلي

يقول المصنف مخاطباً النبي ﷺ :

فحزتَ بسبب ما نلت من تلك المراتب كل فخار وتعظيم يليق بالمخلوق ، غير مشترك بينك وبين غيرك بل هو مختص بك . وقطعتَ يا رسول الله وتجاوزتَ كل مقام مزدحم فيه ، حيث لا يصل إلى المقام الذي وصلتَ إليه غيرك .

ثم قال :

وَجَلَّ مِقْدارُ مَا وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ
وعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُولِيتَ مِن نِعَمِ

* * * *

١١٥- وَجَلَّ مِقْدارُ مَا وُلِّيتَ مِن رُتَبٍ
وعَزَّ إِدْرَاكُ مَا أُولِيتَ مِن نِعَمِ

الإعراب الموجز

(وَجَلَّ) بفتح الجيم : فعل ماض .

(مِقْدَارُ) : فاعل .

(مَا) : اسم موصول في محل جر بالإضافة .

(وُلِّيتَ) : بضم الواو وكسر اللام المشددة وسكون الياء وفتح التاء : فعل ماض مبني للمفعول ، والتاء نائب الفاعل .
والجملة صلة **(مَا)** ، والعائد محذوف أي وُلِّيتَه .

(مِنْ رُتَبٍ) بضم الراء وفتح التاء : جار ومجرور بيان لـ **(مَا)** متعلق بـ **(وُلِّيتَ)** .

(وَعَزَّ) بفتح العين والزاي المشددة : فعل ماض معطوف على **(جَلَّ)** .

(إِدْرَاكُ) بكسر الهمزة : فاعل **(عَزَّ)** .

(مَا) : اسم موصول في محل جر بالإضافة .

(أُولِيتَ) بضم الهمزة وسكون الواو وكسر اللام : فعل ماض مبني لما لم يُسَمَّ فاعله ، وهو صلة **(مَا)** والعائد بينهما محذوف ، أي أُولِيتَه .

(مِن نِعَمٍ) بكسر النون وفتح العين : جار ومجرور بيان لـ **(مَا)** متعلق بـ **(أُولِيتَ)** .

تفسير الكلمات

(وَجَلَّ) : أي عظم ذلك فلا يحاط به .

(مِقْدارُ) : أي قدر .

(مَا وُلِّيتَ) : ما ولاّك الله .

(مِنْ رُتَبٍ) : جمع رتبة ، وهي الدرجة العالية .

(وَعَزَّ) : امتنع ذلك فلا يحصل لأحد غيرك .

(إِدْرَاكُ) : الإدراك هو الوجدان .

(مَا أُولِيتَ) : ما أولاك الله .

(مِن نِعَمٍ) : جمع نعمة ، أي بمعنى مُنَعَّمٌ به .

وكما يلاحظ في البيت فإن الجناس واضح في قوله **(وُلِّيتَ)** و **(أُولِيتَ)** .

المعنى الكلي

يقول المصنف :

فجمعتَ يا رسول الله كل فخر مستقر بك غير مشترك بينك وبين غيرك ، وعبرت كل مكان بمفردك غير مزاحم لغيرك ، وعَظُمَ ما وُلِّيتَ من المناصب الشريفة ، وامتنع الوصول إلى كمال ما أُعطيتَ من الفضائل المنيفة . فأنت الأوحد الذي ليس له نظير ، والواحد الذي هو على سُدّة التوحيد وسرير التفريد سلطان وأمير .

وعنى المصنف بذلك بأنه ﷺ اليتيمة العصماء .

ولما مدح المصنف النبي ﷺ بما يتضمنه تفضيله على سائر الأنبياء ، ذكر كذلك بأن أمته مفضلة على سائر الأمم ، فقال :

بُشْرَىٰ لَنَا مَعْشَرَ الإِسْلامِ إِنَّ لَنَا

مِنَ العِنَايَةِ رُكْناً غَيْرَ مُنْهَدِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١١٦- بُشْرَىٰ لَنَا مَعْشَرَ الإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا
مِنَ العِنَايَةِ رُكْناً غَيْرَ مُنْهَدِمِ

الإعراب الموجز

(بُشْرَىٰ) : مبتدأ . وصفتها محذوفة ، أي بشرىٰ عظيمة .

(لَنَا) : خبره .

(مَعْشَرَ) : منصوب علىٰ الاختصاص لفعل محذوف تقديره أخصُّ .

(الإِسْلَامِ) : مضاف إليه .

(إِنَّ) بكسر الهمزة : حرف مشبه بالفعل ينصب الاسم ويرفع الخبر .

(لَنَا) : خبر **(إِنَّ)** مقدم .

(مِنَ العِنَايَةِ) : جار ومجرور حال من الضمير في **(لَنَا)** .

(رُكْناً) : اسم **(إِنَّ)** مؤخر .

(غَيْرَ) : نعت **(رُكْناً)** .

(مُنْهَدِمِ) : مضاف إليه .

وهذه الجملة تعليلية علىٰ أنَّ **(إِنَّ)** مكسورة مستأنفة ، وإنْ فتحنا الهمزة **(أَنَّ)** فعلىٰ تقدير لام الصلة .

تفسير الكلمات

(بُشْرَىٰ) : مأخوذة من البشارة ، وهي الخبر السار .

(مَعْشَرَ) : المعشر هم الجماعة الذين يشملهم وصف واحد .

(الإِسْلَامِ) : أي الذين اعتقدوا عقيدة الإسلام .

(إِنَّ لَنَا) : جميع المسلمين .

(مِنَ العِنَايَةِ) : أي من أجل العناية بنا في الأزل .

(رُكْناً) : شريعة ، وركن الشيء ما يُعتمد عليه .

(غَيْرَ مُنْهَدِمِ) : المقصود به أنه لا يتغير .

المعنى الكلي

يقول المصنف مخبراً عن أمة سيدنا محمد ﷺ باختصاصها بالبشرىٰ علىٰ وجه يتضمن دخوله بهذا الوصف :

بشرىٰ لنا معشر الإسلام باتباع النبي ﷺ ؛ لِما أعد الله لنا معشر المسلمين من العناية في أن جعلنا سبحانه من أمة هذا النبي الكريم ، ركناً قوي الأساس والبنيان غير منهدم ، لا يُهان مَن لاذ به ، ولا يُضام من اعتصم به ، حيث الإسلام حصن حصين ، وعز مكين .

أحيانا الله علىٰ دينه ، وأماتنا متمسكين بما جاء به من القرآن ، والسنة ، والشرائع .

ثم قال رحمه الله تعالىٰ :

لَمَّا دَعَا اللهُ دَاعِينَا لِطَاعَتِهِ

بِأَكْرَمِ الرُّسْلِ كُنَّا أَكْرَمَ الأُمَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١١٧- لَمَّــا دَعَــا اللهُ دَاعِينَــا لِطَاعَتِــهِ
بِــأَكْــرَمِ الرُّسْــلِ كُنَّــا أَكْــرَمَ الأُمَــمِ

الإعراب الموجز

(لَمَّا) بفتح اللام وتشديد الميم : حرف وجود لوجود .

وتعرب كذلك بأنها ظرف بمعنىٰ حين .

(دَعَا اللهُ) : فعل وفاعل .

(دَاعِينَا) : مفعول به ، وسكون الياء هنا علىٰ لغة مَن يعرب المنقوص في الأحوال الثلاثة بحركات مقدرة .

(لِطَاعَتِهِ) : جار ومجرور متعلق بـ**(دَاعِينَا)** .

(بِأَكْرَمِ) : جار ومجرور متعلق بـ**(دَعَا)** .

(الرُّسْلِ) بسكون السين : مضاف إليه .

(كُنَّا) : كان واسمها .

(أَكْرَمَ) : خبرها ، وهي مضاف .

(الأُمَمِ) : مضاف إليها .

والجملة جواب **(لَمَّا)** .

تفسير الكلمات

(لَمَّا دَعَا اللهُ) : أي لما سمّىٰ اللهُ .

(دَاعِينَا) : أي النبي ﷺ .

(لِطَاعَتِهِ) : أي لطاعته تبارك وتعالىٰ ، والطاعة ضد المعصية .

(بِأَكْرَمِ الرُّسْلِ) : بأفضل الرسل .

(**كُنَّا**) : معشر الأمة الإسلامية .

(**أَكْرَمَ الأُمَمِ**) : الأمم جمع أمة ، وهي الجماعة .

أي كنا أكرم الأمم السالفة قبل مجيء الإسلام ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] ، أي أنتم خير أمة .

وإنما كانت أمته ﷺ خير الأمم ؛ لأنه هو خير الرسل .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

لمّا سمّى الله تعالى نبينا محمداً ﷺ الذي هو داعينا لطاعته جلّ وعلا بأكرم الرسل ، لَزِمَ من ذلك أنْ كنا معشر المسلمين أكرم الأمم عنده تبارك وتعالى ؛ لأن إكرام الرسل لا يَبعثُ إلاّ إلى إكرام الأمم .

فجميع من بُعث إليهم ﷺ خير الأمم ، فمؤمنهم خير المؤمنين ، وكافرهم خير الكافرين . والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ولهذا ارتفع عن هذه الأمة ببركته ﷺ الخسف والمسخ ، والعذاب الشديد مما حلّ بالأمم السابقة .

ثم قال المصنف :

رَاعَتْ قُلُوبَ العِدَا أَنْبَاءُ بِعْثَتِهِ
كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلاً مِنَ الغَنَمِ

* * * *

١١٨- رَاعَتْ قُلُوبَ العِدَا أَنْبَاءُ بِعْثَتِهِ
كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلاً مِنَ الغَنَمِ

الإعراب الموجز

(رَاعَتْ) بفتح الراء والعين : فعل ماض ، والتاء تاء التأنيث .

(قُلُوبَ) : مفعول به مقدم .

(العِدَا) بكسر العين وضمها : مضاف إليه .

(أَنْبَاءُ) بفتح الهمزة الأولىٰ وسكون النون وفتح الباء : فاعل **(رَاعَتْ)** مؤخر .

(بِعْثَتِهِ) بكسر الباء وفتح الثاء : مضاف إليه .

(كَنَبْأَةٍ) بفتح النون وسكون الباء وفتح الهمزة : جار ومجرور في موضع الحال من **(أَنْبَاءُ)** .

(أَجْفَلَتْ) : فعل ماض ، وفاعله مستتر فيه يعود إلىٰ **(نَبْأَةٍ)** ، والجملة صفتها .

(غُفْلاً) بضم الغين وسكون الفاء : مفعول به لـ**(أَجْفَلَتْ)** .

(مِنَ الغَنَمِ) : جار ومجرور نعت **(غُفْلاً)** ، و**(مِنَ)** هنا للبيان .

تفسير الكلمات

(رَاعَتْ) : خافت وأفزعت .

(قُلُوبَ) : أي أصحاب قلوب علىٰ تقدير مضاف .

(العِدَا) : جمع عدو ، والمراد به هنا الأعداء من الكفار .

(أَنْبَاءُ بِعْثَتِهِ) : أخبار رسالته ﷺ .

وإسناد **(رَاعَتْ)** إلىٰ **(أَنْبَاءُ)** من المجاز العقلي ؛ لأنه من إسناد الفعل إلىٰ سببه ، فإن خالق الروع في القلوب هو الله تعالىٰ.

(كَنَبْأَةٍ) : أي مثل نبأة ، والمقصود بها هنا صرخة الأسد .

(أَجْفَلَتْ) : أفزعت .

(غُفُلاً) : جمع غافل ، وهو البليد الذي لا يحس بالأمارات الواضحة .

(مِنَ الغَنَمِ) : اسم جنس .

المعنى الكلي

يقول المصنف :

لقد أَفْزَعَتْ قلوبَ العدا وفَرَّقَتْ شملهم أخبارُ رسالة النبي ﷺ التي صدرت قبل بعثته من الكهان والمنجمين وبعدها ، لمّا كانوا يسمعون أن دينه سيظهر على كل دين ، وأنه يُذِلُّ كل جبار عنيد .

وهذه الأخبار التي روّعت قلوب العدا والحال أنهم غافلون عن دين الإسلام ؛ لكون دعوته ﷺ أتتهم على حين غفلة ، كصوت الأسد وَرَدَ على غُفْلٍ مِنَ الغنم ؛ لكونها مشتغلة في طعامها وشهواتها ، فأجفلها ذلك الصوت وفرّقها .

ثم قال :

مَا زَالَ يَلْقَاهُمُ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ
حَتَّى حَكَوْا بِالقَنَا لَحْماً عَلَى وَضَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١١٩- مَا زَالَ يَلْقَاهُمُ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ
حَتَّىٰ حَكَوْا بِالقَنَا لَحْماً عَلَىٰ وَضَمِ

الإعراب الموجز

(مَا) : حرف نفي .

(زَالَ) : فعل ماض ناقص ، واسمه مستتر فيه جوازاً يعود إلىٰ النبي ﷺ .

(يَلْقَاهُمُ) بضم الميم : فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به ، والجملة في موضع نصب خبر **(زَالَ)** ، وضمير الجمع للأعداء من الكفار .

(فِي كُلِّ) : جار ومجرور متعلق بـ **(يَلْقَاهُمُ)** .

(مُعْتَرَكٍ) بضم الميم وسكون العين وفتح التاء والراء : مضاف إليه .

(حَتَّىٰ) : حرف ابتداء .

(حَكَوْا) بفتح الحاء والكاف : فعل ماض وفاعل ، والضمير للأعداء .

(بِالقَنَا) بفتح القاف والنون : جار ومجرور متعلق بـ**(حَكَوْا)** .

(لَحْماً) بفتح اللام وسكون الحاء : مفعول به لـ**(حَكَوْا)** .

(عَلَىٰ وَضَمِ) بفتح الواو والضاد : جار ومجرور نعت **(لَحْماً)** .

تفسير الكلمات

(مَا زَالَ) : أي لم ينفك ﷺ عن كونه ...

(يَلْقَاهُمُ) : أي يلقى الأعداء تارة بنفسه ، وتارة أخرىٰ بخيله ورَجْله .

(فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ) : في كل وقعة بينه ﷺ وبينهم .

والمعترك محل الاعتراك ، أي الازدحام في الحرب .

(حتَّىٰ حكَوْا) : حتىٰ شابهوا .

(بِالقَنَا) : جمع قناة وهي الرمح .

والمراد أي بطعن القنا ، فهو علىٰ تقدير مضاف .

(لَحْماً عَلَىٰ وَضَمٍ) : الوضم هو كل ما وُضع عليه اللحم من خشبة أو نحوها ليقيه الأرض .

والمراد أي وما زال النبي ﷺ يجاهد الكفار حتىٰ تركهم قتلىٰ مُعَدِّين لأكل السباع والطيور .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالىٰ :

ما زال النبي ﷺ يلقىٰ الكفار ويطاعنهم إما بنفسه أو بخيله ورَجْلِه من بعوثه ، حتىٰ حكوا من كثرة ما أوقع بهم من القتل والجراحة بالقنا طعناً ، وبالسيوف ضرباً ، وبالنبل رمياً ، لحماً مطروحاً علىٰ وضم .

ثم قال :

وَدُّوا الفِـرَارَ فَكَـادُوا يَغْبِطُـونَ بِـهِ
أَشْـلاَءَ شَـالَتْ مَـعَ العِقْبـانِ وَالرَّخَـمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٢٠- وَدُّوا الفِرَارَ فَكَادُوا يَغْبِطُونَ بِهِ
أَشْلاَءَ شَالَتْ مَعَ العِقْبَانِ وَالرَّخَمِ

الإعراب الموجز

(وَدُّوا) بفتح الواو وضم الدال : فعل ماض وفاعل ، والضمير يعود للأعداء .

(الفِرَارَ) بكسر الفاء : مفعول **(وَدُّوا)** .

(فَكَادُوا) : فعل ماض ناقص ، والواو اسمها .

(يَغْبِطُونَ) بفتح الياء وسكون الغين وكسر الباء وضم الطاء : فعل مضارع مرفوع وفاعل ، والجملة في موضع نصب خبر كاد .

(بِهِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(يَغْبِطُونَ)** ، والضمير يعود لـ**(الفِرَارَ)** .

(أَشْلاَءَ) بهمزتين مفتوحتين بينهما شين وبغير تنوين للضرورة : مفعول **(يَغْبِطُونَ)** .

(شَالَتْ) : فعل ماض ، وفاعله مستتر يعود إلى **(أَشْلاَءَ)** . والجملة صفتها .

(مَعَ) بفتح العين : متعلق بـ **(شَالَتْ)** .

(العِقْبَانِ) بكسر العين : مضاف إليها .

(وَالرَّخَمِ) بفتح الراء والخاء : معطوف على **(العِقْبَانِ)** .

تفسير الكلمات

(وَدُّوا) : تمنوا .

(الفِرَارَ) : الهرب من النبي ﷺ لَمّا وقع فيهم القتل ، وكثرت فيهم الجراح .

(فَكَادُوا) : بمعنى قربوا ، أي لتمنيهم الفرار .

(يَغْبِطُونَ بِهِ) : أي يغبطون ذلك الفرار .

والغبطة هي تمني الشخص أن يحصل له مثل ما حصل لغيره .

(أَشْلاَءَ) : جمع شِلْو بكسر الشين وسكون اللام ، وهو العضو من اللحم .

(شَالَتْ) : ارتفعت في الجو .

(مَعَ العِقْبَانِ) : جمع عقاب ، وهو نوع من الطيور الجارحة .

(وَالرُّخَمِ) : جمع رخمة ، وهو طائر يشبه النسر يقع على الميتات .

وإنما خصّ المصنف هذين النوعين من الطير لإبعادهما في الطيران والارتفاع .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالى :

إن المشركين والكفار الذين بارزوا النبيﷺ قد اسود في بياض أعينهم ضوء النهار ، وتمنوا من شدة الضر وغاية الاضطرار حين سُلبوا القرار أن يتيسر لهم الفرار ، وكادوا أن يغبطوا أعضاء قتلى قد رفعها جارحة الطير فارتفعت بها من معارك القتال .

وفي هذا البيان يصور المصنف شدة رغبة الكفار في الفرار من المعركة على ألطف وجه وأحسنه ، فكأنهم كانوا يقولون : يا ليت لنا من الارتفاع في الجو ما لأعضاء اللحم التي رفعتها العقبان والرخم ، فارتفعت معها إلى منازلها .

وإنما غبطوا أعضاء اللحم دون العقبان والرخم ؛ لِما حصل بينهم وبين تلك الأعضاء من المشابهة من طعن القنا وغيره ، فحالتهم كحالة تلك الأعضاء لا حركة لها إلا أن يحملها غيرها .

والحاصل أنهم اختاروا تلك الحالة على الحال التي هم فيها ، ورغبوا في الفرار ولو على هذه الصورة التي لا يختارها إلا مَن اشتد به كثير البلاء .

ثم قال المصنف :

تَمْضِي اللَّيَالِي وَلاَ يَدْرُونَ عِدَّتَهَا
مَا لَمْ تَكُنْ مِنْ لَيَالِي الأَشْهُرِ الحُرُمِ

* * * *

١٢١- تَمْضِي اللَّيَالِي وَلاَ يَدْرُونَ عِدَّتَـهَا
مَا لَـمْ تَكُنْ مِـنْ لَيـالِي الأَشْـهُرِ الحُـرُمِ

الإعراب الموجز

(تَمْضِي اللَّيَالِي) : فعل وفاعل ، والمعطوف محذوف أي والأيام .

(وَلاَ) : حرف نفي .

(يَدْرُونَ) : فعل مضارع وفاعل .

(عِدَّتَهَا) بكسر العين : مفعول به لـ**(يَدْرُونَ)** .

(مَا) : ظرفية مصدرية .

(لَمْ تَكُنْ) : صلة **(مَا)** ، واسم **(تَكُنْ)** مستتر فيها يعود إلىٰ **(اللَّيَالِي)** .

(مِنْ لَيَالِي) : جار ومجرور متعلق بخبر **(تَكُنْ)** .

(الأَشْهُرِ) : مضاف إليها .

(الحُرُمِ) بضم الحاء والراء : صفة **(الأَشْهُرِ)** .

تفسير الكلمات

(تَمْضِي) : تمر عليهم .

(اللَّيالِي) : جمع ليلة ، والمراد الليالي والأيام علىٰ حد قوله تعالىٰ : ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] ، أي والبرد .

وإنما خصّ المصنف الليالي بالذكر ؛ لأن مقاساة الهموم فيها تكون أشد .

(ولاَ يَدْرُونَ) : ولا يعلمون .

(عِدَّتَهَا) : عددها .

(**مَا لَمْ تَكُنْ**) : أي تلك الليالي .

(**مِنْ لَيالِي الأَشْهُرِ الحُرُم**) : الحُرُم جمع حرام ، والأشهر الحرم أربعة : رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالىٰ :

إن الكفار من شدة ما دخل في قلوبهم من الفزع ، وخامر بواطنهم من الهلع ، تمضي الليالي عليهم وكذا تمضي أيامها ولا يدرون عدتها ؛ لِما هم فيه من الكرب ، ما لم تكن تلك الليالي بأيامها من ليالي الأشهر الحرم ، فإنهم يعلمون ما مضىٰ منها ، ويأمنون فيها من طلب المؤمنين إياهم . فكأنهم يستفيقون من سكرة الخوف ، وترجع إليهم عقولهم ، ويعود إليهم تمييزهم ، فحينئذ يتفطّنون لِما مضىٰ من الليالي ويدرون عدتها .

وهذا كان قبل إباحة القتال في الأشهر الحرم عند رأي مَن رأىٰ أنه أُبيح فيها القتال أخذاً بقول الله تبارك وتعالىٰ : ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ٥] .

ثم قال المصنف :

كَـأَنَّمَـا الدِّيـنُ ضَيْـفٌ حَـلَّ سَـاحَتَهُمْ

بِكُـلِّ قَـرْمٍ إِلَـىٰ لَحْـمِ العِـدَا قَـرِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٢٢- كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَـاحَتَهُمْ

بِكُـلِّ قَـرْمٍ إِلَـىٰ لَحْـمِ العِـدَا قَـرِمِ

الإعراب الموجز

(كَأَنَّمَا) : حرف تشبيه .

(الدِّينُ) بكسر الدال : مبتدأ .

(ضَيْفٌ) : خبره .

(حَلَّ) بفتح الحاء : فعل ماض ، وفاعله مستتر وجوباً يعود علىٰ **(ضَيْفٌ)** .

(سَاحَتَهُمْ) : مفعول فيه بـ **(حَلَّ)** ، والجملة صفة **(ضَيْفٌ)** .

(بِكُلِّ) : جار ومجرور متعلق بـ **(حَلَّ)** .

(قَرْمٍ) بفتح القاف وسكون الراء : مضاف إليه .

(إِلَىٰ لَحْمِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(قَرِمِ)** في آخر البيت .

(العِدَا) بكسر العين : مضاف إليهم .

(قَرِمِ) بفتح القاف وكسر الراء : صفة **(قَرْمٍ)** المتقدم .

تفسير الكلمات

(كَأَنَّمَا الدِّينُ) : المراد دين الإسلام .

(ضَيْفٌ حَلَّ) : أي نزل .

(سَاحَتَهُمْ) : مكانهم الذي هم فيه .

(بِكُلِّ قَرْمٍ) : أي مع كل شجاع .

(إِلَىٰ لَحْمِ العِدَا) : المقصود الكفار .

(قَرِمِ) : شديد الحرص علىٰ قتل أعداء الله وأعداء الدين وتمزيق لحومهم ، حتىٰ يُصَيِّرَهم لحوماً معدة لأكل الجوارح .

والغرض من ذلك الإخبار بكثرة القتل في الكفار .

المعنى الكلي

يقول المصنف :

كأنما دين الإسلام ضيف حل في ساحة أهل الإسلام الملتزمين به ، فنزل على أهل الساحة مع كل سيد من الصحابة إلى لحم العدا للإسلام شديد الشهوة .

وبلا شك أن الكرام يسعون في تحصيل شهوة الضيف ولو ببذل مهجهم ، فكأنهم من شدة ما حلّ بهم من القتل إبلٌ نُحرت وقُطِّعَت قطعاً ؛ لتطبخ للضيفان الذين اشتهوا لحماً .

وهذا الضيف الذي وقع التشبيه به سيد من السادات ؛ ولذا نزل على سادة أمثاله .

ثم قال رحمه الله تعالى :

يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ

يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الأَبْطَالِ مُلْتَطِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٢٣- يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ
يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الأَبْطَالِ مُلْتَطِمِ

الإعراب الموجز

(يَجُرُّ) : بضم الجيم : فعل مضارع ، وفاعله مستتر فيه يعود إلىٰ **(ضَيْفٌ)** في البيت السابق .

(بَحْرَ) بسكون الحاء : مفعول به .

(خَمِيسٍ) بفتح الخاء : مضاف إليه .

(فَوْقَ) : ظرف زمان منصوب بـ**(يَجُرُّ)** .

(سَابِحَةٍ) : مضاف إليها ، والمنعوت بها محذوف وتقديره : خيلٍ سابحةٍ .

(يَرْمِي) بفتح الياء : فعل مضارع ، وفاعله مستتر فيه يعود إلىٰ **(بَحْرَ)** .

(بِمَوْجٍ) : جار ومجرور متعلق بـ**(يَرْمِي)** .

(مِنَ الأَبْطَالِ) : جار ومجرور نعت **(مَوْجٍ)** .

(مُلْتَطِمِ) بضم الميم الأولىٰ وكسر الطاء : نعت ثان لـ**(مَوْجٍ)** .

تفسير الكلمات

(يَجُرُّ) : أي يستتبع هذا الشجاع .

فقد شبّه الاستتباع بالجر ، واستعار اسم المشبه به للمشبه ثم اشتُقّ منه .

(بَحْرَ) : كناية عن الكثرة .

(خَمِيسٍ) : هو الجيش ، وسُمي بذلك لأنه خمس فرق : المقدمة ، والقلب ، والميمنة ، والميسرة ، والساقة ، كما قال فيروز أبادي في القاموس المحيط .

(فَوْقَ) : أي كائن فوق خيل .

(سَابِحَةٍ) : يقال : خيل سابحة ، إذا مدت يدها للجري . مأخوذ من السباحة ، وهو العوم في الماء .

والمراد هنا أي مسرعة في طلب الكفار كالسابح في البحر .

(يَرْمِي) : أي ذلك البحر .

(بِمَوْجٍ) : المراد بالموج الأفعال المتواصلة للكفار بآلات الحرب للقتال ، من طعن وقتل وغير ذلك .

(مِنَ الأَبْطَالِ) : جمع بطل ، وهو الشجاع .

(مُلْتَطِمِ) : أي يدخل بعضه علىٰ بعض لكثرته .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالىٰ :

مِنْ شأن مَن هو مثل هذا السيد أنه يجر بحر خميس ، أي يستتبع جيشاً كثيراً كالبحر في كثرته وتموجه ، وإهلاكه الكفار . وهذا السيد لكونه قائد هذا الجيش يُشبه مَن يجر بحر خميس برسن ، ويرمي ذلك الجيش الذي هو فوق خيل سابحة بموج من الأبطال ملتطم بعضه ببعض لهيجانه .

ثم قال :

مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ للهِ مُحْتَسِبٍ

يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكُفْرِ مُصْطَلِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٢٤- مِـنْ كُـلِّ مُنْتَـدِبٍ للهِ مُحْتَسِـبٍ

يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكُفْرِ مُصْطَلِمِ

الإعراب الموجز

(مِنْ كُـلِّ) : جـار ومجـرور بـدل **(مِـنَ الأَبْطَـالِ)** في البيـت السـابق بإعادة **(مِنْ)** .

(مُنْتَدِبٍ) بضم الميم وسكون النون وفتح التاء : مضاف إليه .

(للهِ) : جار ومجرور متعلق بـ**(مُنْتَدِبٍ)** .

(مُحْتَسِبٍ) بضم الميم وسكون الحاء وكسر السين : نعت **(مُنْتَدِبٍ)** .

(يَسْطُو) بفتح الياء وسكون السين وضم الطاء : فعل مضارع ، وفاعله مستتر فيه جوازاً تقديره هو يعود إلى **(مُنْتَدِبٍ)** .

(بِمُسْتَأْصِلٍ) بضم الميم وسكون السين وفتح التاء وسكون الهمزة : جار ومجرور متعلق بـ**(يَسْطُو)** على تقدير مضاف بين الجار والمجرور ، أي بسيف مستأصل .

(لِلْكُفْرِ) : جار ومجرور متعلق بـ**(مُسْتَأْصِلٍ)** على تقدير مضاف بين الجار والمجرور ، أي لأصل الكفر .

(مُصْطَلِمِ) بضم الميم الأولى وسكون الصاد : صفة **(مُنْتَدِبٍ)** .

تفسير الكلمات

(مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ) : من كل مجيب . يقال : ندبه لكذا فانتدب ، أي دعاه فأجابه .

(للهِ) : أي لدعاء الله ورسوله إلى قتال الكفار .

(مُحْتَسِبٍ) : مدخر ثواب عمله وجميع ما يناله من موت أو دونه عند الله ﷻ .

(يَسْطُو) : أي يصول ذلك المنتدب .

(بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكُفْرِ) : بسيف قاطع قالع لأصل الكفر .

(مُصْطَلِمِ) : مهلك لأهل الكفر .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالىٰ :

مِن كلِّ مجيبٍ لدعوة الحق من غير إمهال ، مُلَبٍ لداعي الله ﷻ من غير إهمال ، قد احتسب في إجابته الوصول لرب العالمين ، وتوكل في أمره علىٰ الله رب العالمين ، يسطو علىٰ الأعداء بسطوة الأسود متوكلاً علىٰ الملك رب العالمين ، متقرباً إلىٰ الله الرؤوف الرحيم .

ثم قال :

حَتَّىٰ غَدَتْ مِلَّةُ الإِسْلَامِ وَهِيَ بِهِمْ
مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُولَةَ الرَّحِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٢٥- حَتَّىٰ غَدَتْ مِلَّةُ الإِسْلَامِ وَهيَ بِهِمْ
مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُولَةَ الرَّحِمِ

الإعراب الموجز

(حَتَّىٰ) : حرف ابتداء .

(غَدَتْ) : فعل ماض ناقص .

(مِلَّةُ) : اسمها .

(الإِسْلَامِ) : مضاف إليه .

(وَهيَ بِهِمْ) : مبتدأ وخبره ، والضمير يعود لـ **(الأَبْطَالِ)** في البيت الثالث والعشرين بعد المائة .

والجملة حال من **(مِلَّةُ)** مرتبطة بالواو والضمير .

(مِنْ بَعْدِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(غَدَتْ)** .

(غُرْبَتِهَا) بضم الغين وسكون الراء وفتح الباء : مضاف إليها .

(مَوْصُولَةَ) : خبر **(غَدَتْ)** منصوب .

(الرَّحِمِ) : مضاف إليها .

تفسير الكلمات

(حَتَّىٰ غَدَتْ) : حتىٰ صارت .

(مِلَّةُ الإِسْلَامِ) : شريعة الإسلام .

(وَهيَ بِهِمْ) : أي وهي مصحوبة بالصحابة الأبطال الكرام .

(مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا) : أي من بُعدها عن أهلها .

(مَوْصُولَةَ الرَّحِمِ) : أي ذات أقارب وأعوان وأنصار .

المعنى الكلي

يقول المصنف في هذا البيت :

ما زال هذا المنتدب يسطو بمستأصل لأهل الكفر حتى صارت ملة الإسلام مصحوبة بالصحابة الأبطال من بعد غربتها ، موصولة الرحم لكثرة من ينتمي إليها ، ويدخل فيها ، ويقوم بشأنها .

ولقد أشار المصنف بالغربة إلى ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً ، فطوبى للغرباء »[1].

أي جاء وظهر بين قوم لا يدينون به ، فهو منقطع ومقطوع الرحم ، حتى قام الصحابة رضي الله عنهم ووصلوا رحمه ، وقووا شوكته ، ورفعوا علمه ، ونصروه فنصرهم الله تعالى .

ثم قال المصنف :

مَكْفُولَةً أَبَداً مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبٍ
وَخَيْرِ بَعْلٍ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَئِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

(١) : رواه مسلم في صحيحه ، وذكر الترمذي في العلل أنه سأل البخاري عنه فقال : حديث حسن . وروى نحوه أحمد ، وابن ماجة ، والبزار ، والطبراني .

١٢٦- مَكفُولَـةً أَبَـداً مِنـهُمْ بِخَـيْرِ أَبِ

وَخَـيْرِ بَعْـلٍ فَلَـمْ تَيْتَـمْ وَلَـمْ تَئِـمِ

الإعراب الموجز

(مَكفُولَةً) : خبر ثان لـ**(غَدَتْ)** من البيت السابق .

(أَبَداً) : ظرف زمان منصوب بـ **(مَكفُولَةً)** .

(مِنـهُمْ) ، **(بِخَـيْرِ)** : جـار ومجـرور متعلقـان بـ **(مَكفُولَـةً)** ، والضمير يعود لـ**(الأَبْطَالِ)** في البيت الثالث والعشرين بعد المائة .

(أَبِ) : مضاف إليه .

(وَخَيْرِ) : معطوف على **(بِخَيْرِ)** مجرور .

(بَعْلٍ) بفتح الباء وسكون العين : مضاف إليه .

(فَلَمْ تَيْتَمْ) : جازم ومجزوم .

(وَلَـمْ تَئِـمِ) بفتح التاء وكسر الهمزة : جازم ومجزوم معطوف على ما قبله .

تفسير الكلمات

(مَكفُولَةً) : بمعنى محفوظة ، والمكفول هو الذي يُقام بحقه .

(أَبَداً) : دائماً .

(مِنهُمْ) : أي من الكفار .

(بِخَـيْرِ أَبٍ وَخَـيْرِ بَعْـلٍ) : أي بخير أب وزوج وهو النبي ﷺ ، فإنه أشفق على أمته من الأب على أولاده ، وأقْوَم بمصالحهم من البعل على أزواجه .

(فَلَمْ تَيْتَمْ) : أي لم يحصل لأمة الإسلام يُتْمٌ من جهة الأب .
(وَلَمْ تَئِمِ) : أي ولم يحصل لها تأيم من جهة الزوج ؛ لأنها لم تخلُ منه .

وفي العبارة لف ونشر كما هو واضح ، حيث نفي اليتم مع وجود الأبوة ، ونفي التأيم مع وجود البعولة يوجب ذلك .

المعنى الكلي

أراد صاحب التصنيف أن يقول هنا :

لقد غدت ملة الإسلام مكفولة أبَدَ الآباد بخير الآباء وأكرم الأجداد ، مضمونة بأشرف البعول وأعز الفحول . كيف لا وهي أمة النبي ﷺ ، وبصدرها صحابته الكرام الأبرار والأخيار ﷺ ؟

وستبقى ملة الإسلام على ذلك ما دام الفلك الدوار ، وبقي الليل والنهار .

ثم قال :

هُمُ الجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ
مَاذَا رَأَىٰ مِنْهُمُ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٢٧- هُمُ الجِبَالُ فَسَلْ عَنهُمْ مُصَادِمَهُمْ
مَاذَا رَأَى مِنهُمُ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ

الإعراب الموجز

(هُمُ الجِبَالُ) : مبتدأ وخبر .

(فَسَلْ) : فعل أمر وفاعل .

(عَنهُمْ) : جار ومجرور متعلق به .

(مُصَادِمَهُمْ) بضم الميم الأولى وفتح الميم الثانية وكسر الدال : مفعول به ، والضمير يعود لـ **(الأَبْطَالِ)** المتقدمة .

(مَاذَا) : **(مَا)** اسم استفهام مبتدأ ، و **(ذَا)** خبره وهو اسم موصول .

ويحتمل أن تكون **(مَاذَا)** كلمة واحدة في موضع نصب لـ**(رَأَى)** .

(رَأَى) بفتح الراء والهمزة : صلة **(ذَا)** ، وفاعله ضمير مستتر فيه يعود إلى **(مُصَادِمَهُمْ)** ، والواصل بينهما محذوف أي رآه .

(مِنهُمُ) ، **(فِي كُلِّ)** : جار ومجرور متعلقان بـ**(رَأَى)** .

(مُصْطَدَمِ) بضم الميم الأولى وسكون الصاد وفتح الطاء والدال : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(هُمُ الجِبَالُ) : جمع جبل ، أي أن الصحابة هم كالجبال الراسيات بالصبر في الحرب والصلابة .

وهذه العبارة من باب التشبيه البليغ .

(فَسَلْ عَنهُمْ) : أي إن ارتبتَ أيها السامع في هذا فسل أنت عنهم مؤرخ أخبار ...

(مُصَادِمَـهُمْ) : أي مَـن صادمـهم مِن أعدائـهم ، وتَصـادَمَ الفارسـان بمعنى التقيا بأجسادهما .

(مَاذَا رَأَىٰ) : أي الذي شاهده .

(مِنهُمُ) : أي من الشدة التي لا توصف لعظمها .

(فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ) : في كل مكان التقوا فيه مع أعدائهم .

والمصطدم موضع الاصطدام ، وهو اصطكاك الصفين .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالىٰ :

إن الصحابة ﷺ ومَن اقتدىٰ بهم مِن عباد الله الصالحين وأوليائه المقربين جبال أرض ملة الإسلام ، التي بهم بعد تزلزلها سكنت ، وبقطع دائرة مَن حاربها مِن بعد اضطرابها ثبتت . وإن كنتَ في شك من هذا أيها السامع فسل عنهم من صادمهم من أعدائهم ؛ ليخبرك عن حقيقتهم في الحرب ، ما الذي رآه منهم في كل موضع من مواضع الاصطدام ، والمعركة والجَلَد .

ثم قال :

وَسَلْ حُنَيْناً وَسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداً
فُصُولُ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَىٰ مِنَ الوَخَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٢٨- وَسَلْ حُنَيْناً وَسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداً
فُصُولُ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَىٰ مِنَ الوَخَمِ

الإعراب الموجز

(وَسَلْ حُنَيْناً) : فعل وفاعل ومفعول به .

(وَسَلْ بَدْراً) بفتح الباء : فعل وفاعل ومفعول به .

(وَسَلْ أُحُداً) بضم الهمزة والحاء : فعل وفاعل ومفعول به .

والجمل الثلاث معطوفة علىٰ **(سَلْ)** في البيت السابق من عطف الخاص علىٰ العام .

(فُصُولُ) بضم الفاء والصاد : خبر مبتدأ محذوف ، أي هي فصول .

ويجوز نصبها علىٰ البدلية من الأمكنة الثلاث ؛ لأن المراد بها زمن القتال فيها .

(حَتْفٍ) بفتح الحاء وسكون التاء : مضاف إليه .

(لَهُمْ) : جار ومجرور متعلق بـ **(حَتْفٍ)** .

(أَدْهَىٰ) : نعت **(حَتْفٍ)** .

(مِنَ الوَخَمِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(أَدْهَىٰ)** .

تفسير الكلمات

(وَسَلْ حُنَيْناً) : حنين واد قريب من الطائف ، بينه وبين مكة قرابة ستين كيلومتراً علىٰ التقريب لا علىٰ التحديد .

(وَسَلْ بَدْراً) : بدر اسم ماء بينه وبين المدينة قرابة مائتي كيلومتر علىٰ التقريب لا علىٰ التحديد .

(وَسَلْ أُحُداً) : أُحُد هو جبل يقع شمال المدينة الشريفة .

(فُصُولُ) : جمع فصل وهو من أسماء الزمان ، والمراد بها هنا أنواع الهلاك .

(حَتْفٍ) : الحتف هو الهلاك .

(أَدْهَىٰ) : مأخوذة من الداهية ، وهو اسم تفضيل علىٰ وزن أفعل .

(مِنَ الوَخَمِ) : الوخم هو الوباء .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالىٰ :

سل عن الصحابة وقعة حنين ، ووقعة بدر ، ووقعة أُحُد ؛ لتخبرك هذه المواقع أنها كانت علىٰ المشركين فصولَ وباء وهلاك .

ومَن أراد شروحها كاملة فعليه أن يرجع إلىٰ أماكنها .

ثم قال المصنف :

المُصْدِرِي البِيضِ حُمْراً بَعْدَ مَا وَرَدَتْ
مِنَ العِدَا كُلَّ مُسْوَدٍ مِنَ اللِّمَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٢٩- المُصْدِرِي البِيضِ حُمْراً بَعْدَ مَا وَرَدَتْ
مِنَ العِدَا كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ

الإعراب الموجز

(المُصْدِرِي) بضم الميم وسكون الصاد وكسر الدال : بالجر نعت **(الأَبْطَالِ)** المتقدمة ، وحذفت النون للإضافة .

(البِيضِ) : مضاف إليها .

(حُمْراً) بضم الحاء : حال من **(البِيضِ)** .

(بَعْدَ) : ظرف زمان منصوب بـ **(المُصْدِرِي)** .

(مَا) : مصدرية .

(وَرَدَتْ) : صلتها .

(مِنَ العِدَا) بكسر العين وضمها : جار ومجرور متعلق بـ**(وَرَدَتْ)**.

(كُلَّ) : مفعول **(وَرَدَتْ)** .

(مُسْوَدٍّ) بضم الميم وسكون السين وتشديد الدال : مضاف إليه .

(مِنَ اللِّمَمِ) بكسر اللام وفتح الميم الأولى : جار ومجرور نعت **(مُسْوَدٍّ)** .

تفسير الكلمات

(المُصْدِرِي) : جمع مُصْدِر ، مأخوذ من قولهم : صَدَرَ عن الماء ، أي رجع عنه .

(البِيضِ) : جمع أبيض ، والمراد به السيوف المصقولة .

(حُمْراً) : جمع أحمر .

وقد عنى المصنف بأن السيوف قد تغيّرت من مخالطة الدماء وكثرة القتلى للون الأحمر .

(بَعْدَ مَا وَرَدَتْ) : أي بعد ورودها .

(مِنَ العِدَا) : جمع عدو .

(كُلِّ مُسْوَدٍّ) : اسم مفعول مأخوذ من اسْوَدَّ .

(مِنَ اللِّمَمِ) : جمع لِمّة ، وهي الشعر إذا جاوز شحمة الأذن ، فإذا بلغ المنكبين فهو جُمّة .

ويقال كذلك على ما دون الفاحشة من صغار الذنوب ، فمنه قوله تعالىٰ : ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢] .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالىٰ :

إن الصحابة الكرام ﷺ يُرْجِعون صفائح السيوف البيض حمراً بعد ما وردت تلك الصفائح من دماء أعضاء العِدا كلَّ مسود من اللمم .

فشبه السيوف بإبل بيض أُورِدَتْ ينبوعاً أسود يجري بماء أحمر ، ثم صدرت وقد عادت بعد بياضها حمراً مِن تلبسها بذلك الماء الذي وَرَدَتْهُ .

وهذا البيت دليل على شجاعة الصحابة ﷺ وارتفاع همتهم ، فإنهم لا يرضون إلا بقتل سود اللمم ، وأصحاب الكفر والشرك .

ثم قال رحمه الله :

وَالكَاتِبِينَ بِسُمْرِ الخَطِّ مَا تَرَكَتْ
أَقْلامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٣٠- وَالكَاتِبِينَ بِسُمْرِ الخَطِّ مَا تَرَكَتْ

أَقْلامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ

الإعراب الموجز

(وَالكَاتِبِينَ) : معطوف على **(المُصْدِرِي)** في البيت السابق .

(بِسُمْرِ) بضم السين وسكون الميم : جار ومجرور متعلق بـ**(الكَاتِبِينَ)** .

(الخَطِّ) : مضاف إليه .

(مَا) : نافية .

(تَرَكَتْ أَقْلامُهُمْ) : فعل وفاعل .

(حَرْفَ) بفتح الحاء وسكون الراء : مفعول به .

(جِسْمٍ) بكسر الجيم : مضاف إليه .

(غَيْرَ) : نعت **(حَرْفَ)** .

(مُنْعَجِمِ) بضم الميم وسكون النون وكسر الجيم : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(وَالكَاتِبِينَ) : أي الطاعنين .

(بِسُمْرِ الخَطِّ) : السمر جمع أسمر وهو الرمح ، والخط شجر تُتَّخَذُ منه تلك الرماح .

والمراد الرماح الخطية التي تتخذ من شجر الخط .

(مَا تَرَكَتْ أَقْلامُهُمْ) : جمع قلم ، والمراد به أسنة الرماح . أي لم تترك أسنة الرماح ...

(حَرْفَ) : طرف .

(جِسْمٍ) : أي من أجسام الكفار .

(غَيرَ مُنعَجِمِ) : أي غير مزال عجمته ، بـل أزالـت عجمتـه - أي خفـاءه - بـأن طعنتـه ؛ ليتمـيز الكفـار مـن المؤمنـين حيـث الأمـر مختلط في الحرب ، فالكافر يتميز بطعنـه والمؤمـن بسـلامته ، كما يتميز الحرف المعجم بنقطه والمهمل بخلوه عن النقط .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله هنا :

والطـاعنين بسـمر الخـط الـتي هـي شـبيهة بـأقلام الكتـاب وهـي الرمـاح الخطيـة ، مـا تركـت أقلامـهم حـرف جسـم مـن أجسـام الكفـار غير منعجم ، بل طعنته فلم تترك طرفاً منه بلا أثر طعنة .

وفي هذا البيت لطائف منها :

١- تشبيه الصحابة بالكُتّـاب والسـمر بـالأقلام ، وذلـك دليـل علـى غايـة إحكامهم للطعن بها حتى أنهم في أيديهم كالأقلام في أيدي الكتبة .

٢- أنـهم لا يطعنـون طعنـة إلا في محلـها كمـا لا يُنَقَّـطُ حـرف إلا بمـا يستحق .

٣- أنهم أعجموا حـروف أجسـام الكفـار ، بمعنـى أزالـوا العجمـة عنـهم بـالنُّقَطِ المُبَيَّـن ؛ ليتمـيزوا مـن المؤمنـين ، فيتمـيز الكـافر بنقطـه والمؤمن بسلامته .

ثم قال المصنف :

شَـاكِي السِّـلاَحِ لَـهُمْ سِـيمَا تُمَـيِّزُهُمْ

وَالـوَرْدُ يَمْتَـازُ بِالسِّـيمَا عَـنِ السَّـلَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٣١- شَاكِي السِّلاَحِ لَهُمْ سِيمَا تُمَيِّزُهُمْ
وَالوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسِّيمَا عَنِ السَّلَمِ

الإعراب الموجز

(شَاكِي) : منصوب على الحال من **(الأَبْطَالِ)** المتقدم ذكرها ؛ لأنه صفة مضافة إلى مفعولها ، وإضافتها كما هو معلوم لا تفيد التعريف .

والأصل : شاكين ، وحذفت النون للإضافة .

(السِّلاَحِ) : مضاف إليه .

(لَهُمْ): جار ومجرور خبر مقدم ، والضمير يعود لـ**(الأَبْطَالِ)** .

(سِيمَا) بكسر السين وسكون الياء : مبتدأ مؤخر .

(تُمَيِّزُهُمْ) بضم التاء وكسر الياء المشددة : فعل وفاعل ، والجملة نعت **(سِيمَا)** .

(وَالوَرْدُ) بفتح الواو : مبتدأ .

(يَمْتَازُ) : فعل وفاعل خبر **(الوَرْدُ)** .

(بِالسِّيمَا) ، **(عَنِ السَّلَمِ)** : جار ومجرور متعلقان بـ **(يَمْتَازُ)** .

تفسير الكلمات

(شَاكِي) : من الشوكة وهي الحدة والشدة ، يقال : رجل شاكي أي شديد .

(السِّلاَحِ) : آلة الحرب ، و **(شَاكِي السِّلاَحِ)** أي حادُّه .

(لَهُمْ) : أي للأبطال .

(سِيمَا) : علامة وصفة ، وهي الصمت الحسن والخشوع .

وقيل : سيماهم صفرة الوجوه من السهر .

وقيل : أثر التراب على وجوههم ، حيث كانوا يسجدون عليه لا على الأثواب .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩].

(تُمَيِّزُهُمْ) : تفرقهم عن غيرهم .

(وَالوَرْدُ) : نوع من الزهور محبب لدى النفوس .

(يَمْتَازُ) : يتميّز .

(بِالسِّيمَا) : بالعلامة والصفة .

(عَنِ السَّلَمِ): عن شجر له شوك يشبه شجر الورد ، وهو العلاّق .

ويمتاز الورد عنه بحسن الخلقة ، وبهاء المنظر ، وطيب الرائحة . كما يمتاز كذلك في النَّوْرِ ، فإن شجر الورد نَوْرُه أحمر غالباً ، والسَّلَم نَوْرُه أصفر .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالى :

إن الأبطال في حال كونهم شاكين السلاح لهم بذلك علامة تميزهم عن غيرهم كما يمتاز الورد عن السَّلَم بعلامة ، وقد تقدّم ذكرها .

ثم قال :

تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ
فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ فِي الأَكْمَامِ كُلَّ كَمِي

❁ ❁ ❁ ❁

١٣٢- تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ
فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ فِي الأَكْمَامِ كُلَّ كَمِي

الإعراب الموجز

(تُهْدِي) بضم التاء وسكون الهاء وكسر الدال : فعل مضارع .

(إِلَيْكَ) : جار ومجرور متعلق بـ **(تُهْدِي)** .

(رِيَاحُ) : فاعل **(تُهْدِي)** .

(النَّصْرِ) : مضاف إليه .

(نَشْرَهُمُ) بفتح النون وسكون الشين وفتح الراء : مفعول **(تُهْدِي)** .

(فَتَحْسَبُ) : فعل مضارع يتعدى إلى مفعولين .

(الزَّهْرَ) : مفعول أول .

(فِي الأَكْمَامِ) : جار ومجرور حال من **(الزَّهْرَ)** .

وتعرب كذلك نعتاً له ؛ لأنه معرف بالألف واللام الجنسية .

(كُلَّ) : مفعول ثان لـ **(تَحْسَبُ)** .

(كَمِي) بفتح الكاف وكسر الميم : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(تُهْدِي إِلَيْكَ) : بمعنى ترسل .

(رِيَاحُ) : جمع ريح ، وكنا قد تناولنا بعض معانيها فيما تقدم فارجع إليه .

(النَّصْرِ) : التأييد وقهر الأعداء .

والمراد بها الرياح التي حصل بها النصر ، فالإضافة لأدنى ملابسة . ويحتمل أن المراد بها بركات النصر وثمراته .

(نَشْرَهُمُ) : أي الخبر السار مجازاً عن الرائحة الطيبة .

(فَتَحْسَبُ) : فتظن .

(الزَّهَرَ) : هو نَوْر أو نُوّار الشجر .

(فِي الأَكْمَامِ) : أي حال كونه في الأكمام . وهو جمع كِم بكسر الكاف ، وهو الغلاف الذي يكون على الزهر .

وإنما خص الزهر في أكمامه ؛ لكونه أعظم رائحة وأحسن منظراً .

(كُلَّ كَمِي) : الكمي هو الرجل الشجاع الذي يستر جسده بالسلاح .

فشبّه المصنف أجسام الصحابة الطاهرة الطيبة حالة كونهم متقنعين بالسلاح بالأزهار في أكمامها قبل أن تنفتق عنها .

وكان من حق المصنف أن يقول : **(فتحسب كلَّ كمي الزهرَ في الأكمام)** ، لكنه رحمه الله قد جعله من التشبيه المقلوب على حد قول القائل :

وبدا الصباحُ كأن غُرّتَه ... وجهُ الخليفة حين يبتسم

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

ترسل إليك الرياح التي حصل بها النصر خبرهم الطيب ، فتظن أنت كلَّ كمي منهم لاستتاره بسلاحه كأنه الزهر في استتاره بكمامه ، فهو في كمامه أحسن منظراً وأطيب رائحة منه خارج كمامه .

ثم قال :

كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الخَيْلِ نَبْتُ رُباً

مِنْ شِدَّةِ الحَزْمِ لاَ مِنْ شَدَّةِ الحُزُمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٣٣- كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الخَيْلِ نَبْتُ رُباً
مِنْ شِدَّةِ الحَزْمِ لاَ مِنْ شَدَّةِ الحُزُمِ

الإعراب الموجز

(كَأَنَّهُمْ) : كأن واسمها .

(فِي ظُهُورِ) : حال من اسم **(كَأَنَّ)** .

(الخَيْلِ) بفتح الخاء : مضاف إليه .

(نَبْتُ) بفتح النون وسكون الباء : خبر **(كَأَنَّ)** .

(رُباً) بضم الراء وفتح الباء : مضاف إليه .

(مِنْ شِدَّةِ) بكسر الشين : جار ومجرور متعلق بـ**(كَأَنَّ)** لِما فيها من معنى التشبيه .

(الحَزْمِ) بفتح الحاء وسكون الزاي : مضاف إليه .

(لاَ مِنْ شَدَّةِ) بفتح الشين : معطوف على الجار والمجرور قبله .

(الحُزُمِ) بضم الحاء والزاي : مضاف إليها .

تفسير الكلمات

(كَأَنَّهُمْ) : أي كأن الصحابة رضي الله عنهم .

(فِي ظُهُورِ) : بمعنى على ظهور .

(الخَيْلِ) : اسم جمع واحده في المعنى فرس ، أي كأن الصحابة حال كونهم على ظهور الخيل ...

(نَبْتُ رُباً) : أي في بهاء المنظر وطيب الرائحة .

والربا جمع ربوة ، وهي كل ما ارتفع من الأرض . ونبتها يكون أحسن النبات ؛ لأنه يأخذ حظه من الماء ثم يسيل عنه ،

ويأخذ حظه كذلك من الشمس والرياح والهـواء علىٰ اختلاف أنواعها ، فتجده أخضرَ يانعاً يعجب حسنه الناظرين .

وأما نبت المنخفض من الأرض ، فإن التلال التي أحاطت به تمنعه الشمس والرياح ، وقد يستقر فيه الماء فيقتله ، أو يضعفه فيصفر لونه .

(مِنْ) : للتعليل .

(شِدَّةِ الحَزْمِ) : أي قوة النبات وضبط الأمر .

(لاَ مِنْ) : أي لا من أجل .

(شَدَّةِ) : المَرّة من الشَدِّ ، وهو الربط .

(الحُزُمِ) : جمع حزام مثل كتب وكتاب ، وهو ما يُشَدُّ به السرج وغيره علىٰ ظهر الدابة .

المعنى الكلي

لقد شبّه المصنف الصحابة الكرام في ثباتهم علىٰ ظهور الخيل بثبات نبت الربا ، حيث نبتها يكون أثبت في الأرض من نبت غيرها في طول عروقه لكي تصل إلىٰ الماء . فإنهم وإن تحركوا عليها لم يتحركوا بما يُقلعهم عن أصل ظهورها ، بل إنما يتحركون للطعن وللاتقاء مع ثبوت أصلهم كما يتحرك النبات علىٰ ظهر الربا بحركة الرياح .

كما شبّه ثباتهم علىٰ ظهور الخيل بأنه من شدة الحَزم الذي أوتوه وأكرمهم الله تعالىٰ به ، لا من أجل ربط السراج أو غيرها مما يُشد به علىٰ ظهر الدابة ، ولا مِن أجل شدهم لأنفسهم عليها .

وهنا إشارة إلىٰ قوتهم وثباتهم في المعارك مع أعدائهم .

ولما أثبت المصنف ما أثبت من وصف الشجاعة للصحابة الأبطال ﷺ، وما ثبت بالتأييد الإلهي بالنصر لهم، قال:

طَارَتْ قُلُوبُ العِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقاً
فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ البَهْمِ وَالبُهَمِ

* * * *

١٣٤- طَارَتْ قُلُوبُ العِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقاً
فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ البَهْمِ وَالبُهَمِ

الإعراب الموجز

(طَارَتْ قُلُوبُ) : فعل وفاعل ، وهي جملة مستأنفة .

(العِدَا) بكسر العين والألف الممدودة : مضاف إليه .

(مِنْ بَأْسِهِمْ) : جار ومجرور متعلق بـ **(طَارَتْ)** .

(فَرَقاً) بفتح الفاء والراء : مفعول لأجله .

(فَمَا) : حرف نفي .

(تُفَرِّقُ) بضم التاء وفتح الفاء وكسر الراء المشددة : فعل مضارع ، وفاعله مستتر فيه يعود إلى **(قُلُوبُ العِدَا)** .

(بَيْنَ) : ظرف مكان منصوب بـ **(تُفَرِّقُ)** .

(البَهْمِ) بفتح الباء وسكون الهاء : مضاف إليه .

(وَالبُهَمِ) بضم الباء وفتح الهاء : معطوفة على **(البَهْمِ)** .

تفسير الكلمات

(طَارَتْ قُلُوبُ العِدَا) : أي اضطربت .

(مِنْ بَأْسِهِمْ) : من أجل شدتهم وقوتهم في الحرب .

(فَرَقاً) : خوفاً وفزعاً .

(فَمَا تُفَرِّقُ) : أي لا تميز .

(بَيْنَ البَهْمِ) : جمع بَهْمة ، وهي السخلة التي هي ولد الضأن .

(وَالبُهَمِ) : جمع بُهْمة ، وهو الشجاع الذي لا يُدرى من أين يؤتى في الحرب ؛ لشدة بأسه وقوته .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالىٰ :

لقد اضطربت قلوب الأعادي من ثبات الصحابة الأبطال في الحرب خوفاً منهم ، واشتد فزعها ورعبها حتىٰ صارت لا تفرق من دهشتها بين سخال الغنم وشجعان الفرسان .

ثم أشار المصنف إلىٰ أن ما حصل للعدا من الفزع الشديد من بأس الصحابة ﷺ إنما هو بسر بركة رسول الله ﷺ ، فقال :

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللهِ نُصْرَتُهُ
إِنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ فِي آجَامِهَا تَجِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٣٥- وَمَـنْ تَكُـنْ بِرَسُـولِ اللهِ نُصْرَتُـهُ
إنْ تَلْقَـهُ الأُسْـدُ فِـي آجَامِـهَا تَجِـمِ

الإعراب الموجز

(وَمَنْ) بفتح الميم : اسم شرط جازم مبتدأ .

(تَكُنْ) بفتح التاء : فعل الشرط ، وهو خبر **(مَنْ)** . فهي عاملة في لفظه الجزم ، وفي محل الجملة الرفع .

(بِرَسُولِ اللهِ) : جار ومجرور خبر **(تَكُنْ)** مقدم على اسمها .

(نُصْرَتُهُ) : اسم **(تَكُنْ)** مؤخر .

وإن قرئ **(يَكُنْ)** بالياء ، فاسمها مستتر فيه يعود إلى **(مَنْ)** الشرطية ، و **(نُصْرَتُهُ)** مبتدأ وخبره في المجرور قبله ، والجملة خبر **(يَكُنْ)** .

(إنْ) بكسر الهمزة وسكون النون : حرف شرط .

(تَلْقَهُ) : فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف الألف ، والهاء تعود إلى **(مَنْ)** الشرطية .

(الأُسْدُ) بضم الهمزة وسكون السين : فاعل **(تَلْقَهُ)** .

(فِي آجَامِهَا) بمد الهمزة : جار ومجرور حال من **(الأُسْدُ)** .

(تَجِمِ) بفتح التاء وكسر الجيم : فعل مضارع جواب **(إنْ)** ، و **(إنْ)** وجوابها جواب **(مَنْ)** .

تفسير الكلمات

(وَمَـنْ تَكُـنْ بِرَسُـولِ اللهِ نُصْرَتُـهُ) : أي ومن تكن برسول الله نصرته كالصحابة ومن حذا حذوهم ...

(الأُسْدُ) : جمع أسد ، وهو الحيوان المفترس الذي يُعرف بملك الغابة .

(فِي آجَامِهَا) : جمع أجَمَة وهي الغابات ، أي المحلات التي تَستتر فيها الأسود كالأشجار الملتفة .

(تَجِمِ) : مأخوذ من وَجَمَ إذا أمسك عن الكلام وغيره ، وذلك لخوف أو هيبة أو غيرهما .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالىٰ :

ومن تكن نصرته وتأييده بإعانة رسول الله ﷺ فهو المنتصر المؤيد ، ولو لقيته السباع في غاباتها التي هي أشد فيها بالوثوب من غيرها سكنت وخضعت له ؛ وذلك لأن المُؤَيَّد بالسماء لا يُغلب .

ثم قال :

وَلَنْ تَرَىٰ مِنْ وَلِيٍّ غَيْرِ مُنْتَصِرٍ
بِهِ وَلاَ مِنْ عَدُوٍّ غَيْرِ مُنْقَصِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٣٦- وَلَنْ تَرَىٰ مِنْ وَلِيٍّ غَيْرِ مُنْتَصِرٍ
بِهِ وَلاَ مِنْ عَدُوٍّ غَيْرِ مُنْقَصِمِ

الإعراب الموجز

(وَلَنْ) : حرف نفي .

(تَرَىٰ) : منصوب بـ **(لَنْ)** بفتحة مقدرة علىٰ الألف ، وفاعله ضمير المخاطب .

(مِنْ وَلِيٍّ) : مفعول **(تَرَىٰ)** ، و **(مِنْ)** زائدة في المفعول به .

(غَيْرِ) : نعت **(وَلِيٍّ)** علىٰ لفظه .

ويجوز أن نعربها بالنصب نعت له علىٰ محله إن كانت **(تَرَىٰ)** بصرية ، وإن كانت علمية فهي المفعول الثاني .

(مُنْتَصِرٍ) بكسر الصاد : مضاف إليه .

(بِهِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(مُنْتَصِرٍ)** ، والضمير يعود للنبي ﷺ .

(وَلاَ) : حرف نفي .

(مِنْ عَدُوٍّ) : جار ومجرور معطوف علىٰ **(مِنْ وَلِيٍّ)** .

(غَيْرِ) : نعت **(عَدُوٍّ)** ، وفيها ما تقدم .

(مُنْقَصِمِ) بضم الميم وفتح القاف وكسر الصاد : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(وَلَنْ تَرَىٰ) : ولن تبصر .

(مِنْ وَلِيٍّ) : أي صديق قريب ، يقال : وَلِيَه أي قَرُبَ منه .

وأولياؤه ﷺ هم مَن آمنوا به وكانوا علىٰ هديه وطريقته .

(غَيْرِ مُنْتَصِرٍ بِهِ) : أي برسول الله ﷺ .
(وَلاَ مِنْ عَدُوٍّ) : أي كافر .
(غَيْرِ مُنْقَصِمٍ) : القصم هو القطع مع الإبانة .

وفي بعض النسخ رُوِيَت بالفاء **(مُنْفَصِمِ)** ، والأول أَوْلىٰ ؛ لأن الفصم بالفاء هو القطع من غير إبانة .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالىٰ :

ولن تبصر ولياً من أولياء النبي ﷺ وأحبابه ولا صديقاً مسلماً إلا وهو منتصر به على عدوه ، ولا تبصر عدواً كافراً ومعادياً إلا وهو به ﷺ منقصم ومقهور .

ثم قال :

أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ
كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الأَشْبَالِ فِي أَجَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٣٧- أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ
كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الأَشْبَالِ فِي أَجَمِ

الإعراب الموجز

(أَحَلَّ) بفتح الهمزة والحاء : فعل ماض ، وفاعله مستتر فيه يعود إلى النبي ﷺ .

(أُمَّتَهُ) : مفعول **(أَحَلَّ)** .

(فِي حِرْزٍ) : جار ومجرور متعلق بـ **(أَحَلَّ)** .

(مِلَّتِهِ) : مضاف إليها .

(كَاللَّيْثِ) : جار ومجرور في موضع الحال من فاعل **(أَحَلَّ)** المستتر فيه .

(حَلَّ) : فعل ماض ، وفاعله ضمير **(اللَّيْثِ)** المستتر فيه . والجملة حال من **(اللَّيْثِ)** .

(مَعَ) بفتح العين وكسرها : متعلق بـ**(حَلَّ)** .

(الأَشْبَالِ) بفتح الهمزة : مضاف إليها .

(فِي أَجَمِ) : جار ومجرور في موضع الحال من **(الأَشْبَالِ)** .

تفسير الكلمات

(أَحَلَّ) : بمعنى أنزل النبيُّ ﷺ .

(أُمَّتَهُ) : أي أمة الإجابة التي استجابت له ؛ لأن الأمة نوعان :

١- أمة الدعوة : وهي كل من بلغته دعوة النبي ﷺ .

٢- أمة الإجابة : وهي كل من آمن به ﷺ .

١٣٨- كَمْ جَدَّلَتْ كَلِمَاتُ اللهِ مِنْ جَدِلٍ

فِيهِ وكَمْ خَصَمَ البُرْهَانُ مِنْ خَصِمِ

الإعراب الموجز

(كَمْ) : خبرية موضعها نصب على المصدرية أو الظرفية .

(جَدَّلَتْ) بفتح الجيم والدال المشددة : فعل ماض ، والتاء للتأنيث .

(كَلِمَاتُ) : فاعل **(جَدَّلَتْ)** ، وهي مضاف .

(اللهِ) : اسم الجلالة مضاف إليه .

(مِنْ جَدِلٍ) بفتح الجيم وكسر الدال : مفعول **(جَدَّلَتْ)** ، و**(مِنْ)** زائدة .

(فِيهِ) : متعلق بـ **(جَدِلٍ)** لأنه صفة مشبهة ، والهاء تعود للنبي ﷺ .

(وكَمْ) : خبرية معطوفة على **(كَمْ)** المتقدمة .

وتمييز **(كَمْ)** في الموضعين محذوف .

(خَصَمَ) بفتح الخاء والصاد المخففة : فعل ماض .

(البُرْهَانُ) بضم الباء : فاعله .

(مِنْ خَصِمٍ) بفتح الخاء وكسر الصاد : مفعول **(خَصَمَ)** ، و**(مِنْ)** زائدة .

تفسير الكلمات

(كَمْ) : بمعنى كثيراً ، أي كثيراً ما جَدّلت ...

(جَدَّلَتْ): بتشديد الدال ويجوز تخفيفها ، إلا أن المُشَدَّدَ يفيد التكثير .

وهي بمعنى غلبت وقطعت ، وأزالت جدل المجادل المعاند .

(كَلِمَاتُ اللهِ) : المراد بها القرآن الكريم زاده الله عزة ومنعة .

(مِنْ جَدِلٍ) : كثير الجدل .

(وكَمْ) : أي وكثيراً .

(خَصَمَ) : غلب في الخصام .
(الْبُرْهَانُ) : الحق بأدلته القاطعة وبراهينه الساطعة .
(مِنْ خَصِمِ) : شديد الخصومة فيه .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالىٰ :

كثيراً ما أزال القرآنُ جدالَ المجادل في أمره ﷺ ، وكثيراً ما أزال الدليلُ القاطع خصومةَ شديد الخصومة في أمره ﷺ .

والأول إشارة إلىٰ ما وقع في القرآن الكريم من جواب المعاندين السائلين له ﷺ . ومن ذلك ما نقل مِن أنَّ اليهود قالوا لقريش : سلوه عن الروح ، وعن أصحاب الكهف ، وعن ذي القرنين ، فإنْ أجاب عن الكل فليس بنبي ، وإنْ أجاب عن البعض وسكت عن البعض فهو نبي . فنزل القرآن بحكاية أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين ، ونزل قوله تعالىٰ : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء : ٨٥] ، فأحال علم الروح إلىٰ الله تعالىٰ .

والثاني إشارة إلىٰ ما وقع منه ﷺ من الآيات حين سألوه آية علىٰ رسالته ، كانشقاق القمر وغير ذلك .

ولا يخفىٰ أن عطف الثاني علىٰ الأول من عطف العام علىٰ الخاص .

ثم قال المصنف :

كَفَاكَ بِالعِلْمِ فِي الأُمِّيِّ مُعْجِزَةً
فِي الجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي اليُتُمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٣٩- كَفَاكَ بِالعِلْمِ فِي الأُمِّيِّ مُعْجِزَةً
فِي الجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ فِي اليُتُمِ

الإعراب الموجز

(كَفَاكَ) : فعل ماض ومفعول .

(بِالعِلْمِ) : فاعل **(كَفَاكَ)** ، والباء زائدة .

(فِي الأُمِّيِّ) : جار ومجرور حال من **(العِلْمِ)** .

(مُعْجِزَةً) : تمييز .

(فِي الجَاهِلِيَّةِ) : جار ومجرور متعلقٌ بمحذوف حال من **(العِلْمِ)** .

(وَالتَّأْدِيبِ) : معطوف على لفظ **(العِلْمِ)** .

ويجوز أن نرفعها عطفاً على محله ، والأول هو الرواية .

(فِي اليُتُمِ) بضم التاء اتباعاً لضم الياء لضرورة الوزن : جار ومجرور حال من **(التَّأْدِيبِ)** .

تفسير الكلمات

(كَفَاكَ بِالعِلْمِ) : أي يكفيك أيها المخاطبُ العلمَ الذي جاء به النبي ﷺ .

(فِي الأُمِّيِّ) : وهو الذي لا يقرأ ولا يكتب ، ولا يعلم ولا يتعلم من معلم . نسبة للأم ، أي كأنه على الهيئة التي وُلد عليها من أمه .

وهذا الوصف مدح بالنسبة للنبي ﷺ ؛ لأنه دليل على أن القرآن من عند الله سبحانه ، وأما بالنسبة لغيره فهو ذم .

(مُعْجِزَةً) : أي دالة على صدقه فيما جاء به .

(فِي الجَاهِلِيَّةِ) : أي في زمن الجاهلية ، وهو الزمان الذي لا علم فيه .

وإنما قيّد بقوله **(فِي الأُمِّيِّ)** وقوله **(فِي الجَاهِلِيَّةِ)** ؛ لأن كلاً

من كونه أمياً وكونه في الجاهلية مظنّة لعدم العلم ، حيث العلم لا يكون إلا بمطالعة الكتب العلمية وهو ﷺ لا يقرأ ولا يكتب ، أو يكون بملاقاة العلماء وهو مُنْتَفٍ في الجاهلية ، فتعيّن أن علمه ﷺ من السماء بتعليم الله ﷻ له .

(وَالتَّأْدِيبِ) : الأدب هو ما يحصل للنفس من الأخلاق الحسنة ، وما يحصل من العلوم المكتسبة .

(فِي الْيُتْمِ) : اليتم في الناس فَقْدُ الأب ، وفي البهائم فقد الأم .

فقد مات أبوه ﷺ وهو في بطن أمه ، وكان عليه الصلاة والسلام مؤدباً بأحسن الأخلاق على خلاف العادة في اليتيم ، فشأنه في الأغلب أن لا يكون فيه من الأدب ما يكون في ذي الأب ، حيث الأب دائماً يقوم بتأديب ابنه ، ويسعى في تكميله باكتساب الصفات الحميدة ، وغير الأب لا يكون منه ذلك .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

كفاك أيها المخاطَب بالعلم الذي جاء به النبي ﷺ معجزة له مع كونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ومولوداً جاء في زمن الجاهلية الذين لا علم عندهم ليكتسبه منهم ! وكفاك أيها المخاطَب بالتأديب الحاصل منه ﷺ معجزة ، لكونه من مُؤَدَّب مع أنه رُبِّي يتيماً لا أب له يؤدبه ! فقد بلغ ﷺ مِن العلوم ما لا يبلغه بتعليم مَن تصدىٰ لها ، فكيف بمَن لم يتصدَّ ؟ ومِن الآداب ما لا يناله بإرشاد مَن له مُؤَدِّبٌ ، فكيف بمَن عُدِمَه ؟

وهنا دل الكلام على أن رسول الله ﷺ هو صاحب الرسالة التي جاء بها من عند الله تبارك وتعالىٰ .

هذا ومن المعلوم أن المراد بالمعجزة هنا مطلق الأمر الخارق للعادة ، وإن لم يكن مقروناً بالتحدي الذي هو دعوى الرسالة . فاندفع هنا ما يقال: إن كونه ﷺ مؤدباً في حال يتمه لا يعد معجزة ؛ لأن المعجزة هي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي ، وهو ﷺ في حال يتمه لم يُتحد ؛ لأن التحدي لا يكون إلا بعد الأربعين وبعد النبوة .

رزقني الله وإياك الفهم الثاقب .

ثم قال المصنف :

خَدَمْتُهُ بِمَدِيحٍ أَسْتَقِيلُ بِهِ

ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَىٰ فِي الشِّعْرِ وَالخِدَمِ

١٤٠- خَدَمْتُـهُ بِمَدِيـحٍ أَسْـتَقِيلُ بِـهِ

ذُنُوبَ عُمْرٍ مَضَىٰ فِي الشِّعْرِ وَالخِدَمِ

الإعراب الموجز

(خَدَمْتُهُ) بضم التاء : فعل ماض وفاعل ومفعول به .

(بِمَدِيحٍ) : جار ومجرور متعلق بـ**(خَدَمْتُهُ)** .

(أَسْتَقِيلُ) بفتح الهمزة وكسر القاف : فعل مضارع ، وفاعله ضمير المتكلم مستتر فيه وجوباً .

(بِهِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(أَسْتَقِيلُ)** ، والضمير يعود لـ**(مَدِيحٍ)** .

(ذُنُوبَ) بضم الذال : مفعول به لـ**(أَسْتَقِيلُ)** .

(عُمْرٍ) بضم العين وسكون الميم : مضاف إليه .

(مَضَىٰ) بفتح الضاد : فعل ماض ، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً يعود إلىٰ **(عُمْرٍ)** ، والجملة نعت له .

(فِي الشِّعْرِ) بكسر الشين وسكون العين : جار ومجرور متعلق بـ **(مَضَىٰ)** .

(وَالخِدَمِ) بكسر الخاء وفتح الدال : معطوف علىٰ **(الشِّعْرِ)** .

تفسير الكلمات

(خَدَمْتُهُ) : أي مدحته ، والمدح هو ذكر وعَدُّ الفضائل وبيانها .

(بِمَدِيحٍ) : المديح اسم لما يُمدح به من الثناء الحسن .

(أَسْتَقِيلُ) : أطلب الإقالة ، وهي في الأصل الأخذ باليد عند العثار كما جاء في الدعاء : (اللهم أقل عثرتي) .

(بِهِ) : الضمير يرجع للمديح .

(ذُنُوبَ) : بمعنىٰ آثام ، وهي الجرائم .

(عُمْرٍ) : عمر الإنسان مدة حياته .

(مَضَىٰ) : بمعنىٰ ذهب ذلك العمر وانقضىٰ .

(فِي الشِّعْرِ) : هو الكلام المقفىٰ الموزون من أي بحر كان ، والمراد هنا أي مدحاً لأبناء الدنيا .

(وَالخِدَمِ) : جمع خدمة ، وهي أداء حوائج الشخص وكل ما يُتَقَرَّبُ به إلىٰ الغير .

المعنى الكلي

يقول المصنف مخاطباً الله تعالىٰ :

يا رب ، خدمتُ رسولك بمديح حال كوني أستقيل وأطلب منك أن تقيلني به من أوزار عمر انقضىٰ غالبه في نظم الشعر مدحاً في الناس ، والخدم لأبناء الدنيا من الملوك وأصحاب الدولة مما ليس في طاعتك .

وهذا وإن كان مباحاً إلا أنه قد يجر إلىٰ الحرام ، وهو ما أشار إليه المصنف في البيت الذي بعده فقال :

إِذْ قَلَّدَانِيَ مَا تُخْشَىٰ عَوَاقِبُهُ

كَأَنَّنِي بِهِمَا هَدْيٌ مِنَ النَّعَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٤١- إِذْ قَلَّدَانِيَ مَا تُخْشَىٰ عَوَاقِبُهُ
كَأَنَّنِي بِهِمَا هَدْيٌ مِنَ النَّعَمِ

الإعراب الموجز

(إِذْ) بسكون الذال : حرف تعليل لـ(أَسْتَقِيلُ) في البيت السابق ، ويجوز أن يكون تعليلاً لـ(خَدَمْتُهُ) .

(قَلَّدَانِيَ) بفتح القاف واللام والدال والياء وكسر النون : فعل وفاعل ومفعول أول ، وضمير التثنية الألف يعود إلىٰ (الشَّعْرِ وَالخِدَمِ) في البيت السابق .

(مَا) : نكرة موصوفة في موضع المفعول الثاني ، أي أمراً .

(تُخْشَىٰ) بضم التاء وسكون الخاء وفتح الشين : فعل مضارع مبني للمفعول .

(عَوَاقِبُهُ) : نائب الفاعل .

والجملة نعت (مَا) ، والرابط بينهما الهاء من (عَوَاقِبُهُ) .

(كَأَنَّنِي) : (كَأَنَّ) حرف تشبيه ، وياء المتكلم اسمها .

(بِهِمَا) : جار ومجرور حال من اسم (كَأَنَّ) .

(هَدْيٌ) بفتح الهاء وسكون الدال : خبر (كَأَنَّ) .

(مِنَ النَّعَمِ) بفتح النون والعين : جار ومجرور نعت (هَدْيٌ) .

تفسير الكلمات

(إِذْ قَلَّدَانِيَ) : مأخوذ من قلّدته الأمر ، أي جعلته كالقلادة في عنقه .

والضمير راجع إلىٰ (الشَّعْرِ وَالخِدَمِ) كما أسلفنا .

(مَا تُخْشَىٰ) : أي أمراً تخشىٰ ، والخشية الخوف .

(عَوَاقِبُهُ) : جمع عاقبة ، وهي ما يؤول إليه الأمر آخراً ، فعاقبة كل شيء آخره .

(كَأَنِّي بِهِمَا) : أي بسببهما .

(هَدْيٌ) : هو ما يُهدىٰ إلىٰ الحرم .

(مِنَ النَّعَمِ) : لفظة النَّعَم تشمل الإبل والبقر والغنم .

ومِن شأن الهدي أن يقلد بجعل شيء في عنقه من نعل وجرس ونحو ذلك ؛ ليُعلم أنه هدي .

وفي التشبيه بالهدي دقيقة ، وهي أنه خشي علىٰ نفسه الهلاك المتوقع للإبل المقلدة من جراء الأفعال المذكورة قَبْلُ .

المعنى الكلي

يقول المصنف في هذا البيت :

إن الشعر الذي قلتُه في الناس ، والخِدَم التي صدرت مني لهم ، جعلا في عنقي من الآثام ما هو كالقلادة ، وهو ما تُخشىٰ عواقبه ، إذ أنه إنْ لم يغفره الله ﷻ مؤدٍ إلىٰ هلاكي الدنيوي ، وإلىٰ خسراني في الآخرة ، حتىٰ كأنني بهما هدي من النَّعَم . فكما لا يخفىٰ الهدي من النَّعَم علىٰ رائيه بما يُقَلَّدُ في عنقه من تعليق نعل وغيرها ، وأصبح معروفاً أنه هدي ، فكذلك أنا لا يخفىٰ بأني أستحق العقاب بما اكتسبته من الآثام ، بسبب مدحي غيره من أهل الدنيا وخدمتي إياهم ، وقد عُرف حالي هذا .

ثم قال :

أَطَعْتُ غَيَّ الصِّبَا فِي الحَالَتَيْنِ وَمَا
حَصَّلْتُ إلاَّ عَلَىٰ الآثَامِ وَالنَّدَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٤٢- أَطَعْتُ غَيَّ الصِّبَا فِي الحَالَتَيْنِ وَمَا
حَصَّلْــتُ إِلاَّ عَلَــىٰ الآثَــامِ وَالنَّــدَمِ

الإعراب الموجز

(أَطَعْتُ) بضم التاء : فعل وفاعل .

(غَيَّ) بفتح الغين : مفعول به .

(الصِّبَا) : مضاف إليه .

(فِي الحَالَتَيْنِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(أَطَعْتُ)** .

(وَمَا) : حرف نفي .

(حَصَّلْتُ) : فعل وفاعل .

(إِلاَّ) : حرف إيجاب .

(عَلَىٰ الآثَامِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(حَصَّلْتُ)** علىٰ الاستثناء المفرغ .

(وَالنَّدَمِ) بفتح النون والدال : معطوف علىٰ **(الآثَامِ)** .

تفسير الكلمات

(أَطَعْتُ) : بمعنىٰ امتثلت .

(غَيَّ) : الغي ضد الهدىٰ ، وهو الضلال .

(الصِّبَا) : حداثة السن .

(فِي الحَالَتَيْنِ) : عنىٰ المصنف حالتي **(الشَّعْرِ وَالخِدَمِ)** المتقدم ذكرهما .

(وَمَا حَصَّلْتُ إِلاَّ عَلَىٰ الآثَامِ) : أي وما حصلت منها إلا علىٰ الآثام ، أي الذنوب التي صدرت مني .

(وَالنَّدَمِ) : أي وعلىٰ الحسرة علىٰ تلك الآثام .

المعنى الكلي

قال المصنف رحمه الله تعالى :

أطعتُ غي زمن الصبا - وهو زمان الجهل والبطالة الداعي إلى الهلاك - في الحالتين : حالة مدحي لغير النبي ، وحالة خدمتي له . وما حصّلت من هاتين الحالتين إلا على الآثام والندم على ما صدر مني ، ولو صحبني التوفيق من أول الأمر لكان ما صدر مني من شعر وخدمة له خاصة لا لغيره ، ولكن التوفيق بيد الله يعطيه ﷻ من شاء ومتى شاء .

ثم قال :

فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا
لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسُمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٤٣- فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا
لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسُمِ

الإعراب الموجز

(فَيَا) : حرف نداء .

(خَسَارَةَ نَفْسٍ) : منادىٰ علىٰ طريق التعجب ، أي ما أخسر نفساً !

(فِي تِجَارَتِهَا) : جار ومجرور متعلق بـ **(خَسَارَةَ)** .

(لَمْ تَشْتَرِ) : جازم ومجزوم ، والجملة نعت **(نَفْسٍ)** .

(الدِّينَ) بكسر الدال : مفعول **(تَشْتَرِ)** .

(بِالدُّنْيَا) : جار ومجرور متعلق بـ **(تَشْتَرِ)** .

(وَلَمْ تَسُمِ) : معطوف علىٰ **(لَمْ تَشْتَرِ)** .

تفسير الكلمات

(فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ) : الخسارة ضد الربح .

(فِي تِجَارَتِهَا) : التجارة هي التقلب في المال لطلب الربح .

(لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا) : أي لم تأخذ الدين بدل الدنيا ، بل عدلت عن العظيم الباقي إلىٰ الخسيس الفاني .

(وَلَمْ تَسُمِ) : السوم هو العرض للشراء ، أي ولم تتعرض لأخذ الدين بدل الدنيا .

المعنى الكلي

يقول المصنف هنا :

فما أخسر نفسي في تجارتها وفي عملها السابق ، إذ لم تأخذ

الدين الذي هو الجوهر والحقيقة والخلود ، ولم تتعرض لأخذه ، بل أخذت الدنيا الفانية الجيفة ، وتركت الدين الذي تنجو به في عرصات يوم القيامة .

ثم قال رحمه الله تعالى :

وَمَنْ يَبِعْ آجِلاً مِنْهُ بِعَاجِلِهِ
يَبِنْ لَهُ الغَبْنُ فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٤٤- وَمَـنْ يَبِـعْ آجِـلاً مِنْـهُ بِعَاجِلِـهِ
يَبِـنْ لَـهُ الغَبْـنُ فِـي بَيْـعٍ وَفِـي سَـلَمِ

الإعراب الموجز

(وَمَنْ) بفتح الميم : اسم شرط مبتدأ .

(يَبِعْ) : خبرها .

(آجِلاً) بمد الهمزة : مفعول **(يَبِعْ)** .

(مِنْهُ) : جار ومجرور نعت **(آجِلاً)** ، والضمير لـ**(مَنْ)** .

(بِعَاجِلِهِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(يَبِعْ)** .

(يَبِنْ) بفتح الياء وكسر الباء : جواب الشرط .

(لَهُ) : جار ومجرور متعلق بـ **(يَبِنْ)** .

(الغَبْنُ) بفتح الغين وسكون الباء : فاعل **(يَبِنْ)** .

(فِي بَيْعٍ) : جار ومجرور متعلق بـ **(الغَبْنُ)** .

(وَفِي سَلَمٍ) بفتح السين واللام : جار ومجرور معطوف على **(فِي بَيْعٍ)** .

تفسير الكلمات

(وَمَنْ يَبِعْ) : أي يعطي .

(آجِلاً) : الآجل ضد العاجل ، والمراد به هنا الثواب الذي يكون في الآخرة المحققة الباقية .

(مِنْهُ) : الضمير عائد لـ**(مَنْ يَبِعْ)** .

(بِعَاجِلِهِ) : الضمير راجع إلى **(مَنْ يَبِعْ)** ، والمراد بالعاجل هنا الذي يأخذه من الدنيا الفانية .

(يَبِنْ لَهُ) : بمعنى يظهر .

(الغَبْنُ) : النقص والخداع .

(فِي بَيْعٍ وَفِي سَلَمِ) : هنا العطف عطف تفسير ؛ لأن السَّلَم صنف من البيع .

أي ولا شك أنَّ مَن يبع آجلاً منه بعاجله يظهر له النقص في بيعه العاجل ، وفي سَلَمِه وهو بيعه الآجل .

المعنى الكلي

يقول المصنف في هذا البيت :

وما مثل نفسي في الخسارة إلا كمثل مَن باع عيناً حاضرة بثمن غائب ، فإنه قد يختلف الوفاء بالثمن ، مما يؤدي إلى الغبن وسوء وقع العقد بلفظ البيع أم بلفظ السلم . فكيف من باع ما ينفعه آجلاً – وهو نعيم الآخرة الباقي أبداً والذي لا يفنى طوال الآماد – بما يضره عاجلاً – وهو متاع الدنيا الفاني – ؟ فإنه أشد غبناً .

ثم قال :

إِنْ آتِ ذَنْباً فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ
مِنَ النَّبِيِّ وَلاَ حَبْلِي بِمُنْصَرِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٤٥- إنْ آتِ ذَنْباً فَمَا عَـهْدِي بِمُنْتَقِضٍ

مِـنَ النَّبِـيِّ وَلاَ حَبْلِـي بِمُنْصَـرِمِ

الإعراب الموجز

(إنْ) بكسر الهمزة وسكون النون : حرف شرط جازم .

(آتِ) بمد الهمزة وكسر التاء : فعل الشرط مجزوم بـ**(إنْ)** وعلامة جزمه حذف الياء ، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره أنا .

(ذَنْباً) بفتح الذال وسكون النون : مفعول **(آتِ)** .

(فَمَا) : حرف نفي .

(عَهْدِي) : اسمها .

(بِمُنْتَقِضٍ) : خبرها .

(مِنَ النَّبِيِّ) : جار ومجرور متعلق بـ**(مُنْتَقِضٍ)** .

(وَلاَ) : حرف نفي .

(حَبْلِي) بفتح الحاء وسكون الباء : اسمها .

(بِمُنْصَرِمِ) بضم الميم وفتح الصاد وكسر الراء : جار ومجرور خبرها .

وجملة **(فَما عَهْدِي ...)** جواب الشرط على إقامة السبب مقام المسبب ، والأصل في العبارة : إن آتِ ذنباً فإني أرجو ستره وغفرانه ؛ لأن عهدي وإيماني ثابت . فلو جعلناها جواباً أصالة لفسد المعنى ، فيكون عند فساد المعنى أنه إذا لم يأت ذنباً فإنه ينتقض عهده ، وليس كذلك لأن عهده ثابت على كل حال سواء أتى ذنباً أم لا .

تفسير الكلمات

(آتِ) : أصله أأت بهمزتين ، قلبت الثانية ألفاً فصارت آت بالمد .

(ذَنْباً) : مخالفة صغيرة أو كبيرة دون الكفر .

(فَمَا عَهْدِي) : فما ميثاقي .

(بِمُنْتَقِضٍ) : نقض العهد هو عدم الوفاء به .

(وَلاَ حَبْلِي) : المقصود بالحبل هنا الوصل ، أي ولا وصلي .

(بِمُنْصَرِمِ) : بمنقطع من النبي ﷺ .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالىٰ :

إن أفعل ذنباً بعد ما تقدم من التوبة والندم علىٰ الشعر والخدم بأن عدتُ إليهما ، فإني أرجو غفرانه . فإن نقضي التوبة بارتكاب الذنب ليس بنقض لإيماني وعهدي من النبي ﷺ الذي التزمته من دين الإسلام الذي جاء به عليه الصلاة والسلام . فإن الذنب لا ينقض الإيمان ، ولا يقطع سبب الوصلة به ﷺ وبدينه .

وفي هذا البيت تأنيس للنفس وترويح لها في دخولها في رحمة الله تعالىٰ .

ثم قال المصنف :

فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَتِي

مُحَمَّداً وَهُوَ أَوْفَىٰ الخَلْقِ بِالذِّمَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٤٦- فَـإِنَّ لِـي ذِمَّـةً مِنْـهُ بِتَسْـمِيَتِي

مُحَمَّـداً وَهْـوَ أَوْفَـى الخَلْـقِ بِـالذِّمَمِ

الإعراب الموجز

(فَإِنَّ) بكسر الهمزة وتشديد النون : حرف توكيد ونصب .

(لِي) : خبرها مقدم .

(ذِمَّةً) بكسر الذال : اسمها مؤخر .

(مِنْهُ) : جار ومجرور نعت **(ذِمَّةً)** ، والضمير يعود للنبي ﷺ .

(بِتَسْمِيَتِي) : جار ومجرور متعلق بـ **(ذِمَّةً)** ، والباء للسببية ، و**(تَسْمِيَتِي)** مصدر يتعدى لمفعولين ، وهو مضاف إلى مفعوله الأول وهو ياء المتكلم .

(مُحَمَّداً) : المفعول الثاني .

(وَهْوَ أَوْفَى) بفتح الهمزة والفاء : مبتدأ وخبر .

(الخَلْقِ) : مضاف إليه .

(بِالذِّمَمِ) بكسر الذال وفتح الميم الأولى : جار ومجرور متعلق بـ **(أَوْفَى)** .

تفسير الكلمات

(فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ) : الذمة هي الأمان .

(بِتَسْمِيَتِي) : التسمية تجعل الاسم علماً على الذات .

(مُحَمَّداً) : أي كاسمه عليه الصلاة والسلام .

(وَهْوَ) : الضمير يعود للنبي ﷺ .

(أَوْفَى الخَلْقِ) : مأخوذ من وفى بالعهد إذا راعى مقتضاه .

(بِالذِّمَمِ) : جمع ذمة .

المعنى الكلي

هذا البيت هو تعليل للذي قبله ، فيقول المصنف :

إن لي ذمة منه ﷺ بتسميتي محمداً كتسميته ﷺ بذلك . فاختياري التسمية باسمه دليل على محبتي فيه ، فإنَّ أحداً لا يتسمى باسم إلا وهو يحبه أو يحب مَن يتسمَّى به . وإذا ثبت لي منه ذلك مع عِظَم جاهه عليه الصلاة والسلام وعلو مكانته عند الله تبارك وتعالى فلا أخاف ، وكيف أخاف أو أبالي وهو ﷺ أوفى الخلق بالذمم ؛ لأن الله تعالى يعطيه الشفاعة ويخلصني من شدة ذلك اليوم العصيب ، وإن الشفاعة التي أُذن له ﷺ أن يشفع بها في محبيه المؤمنين هي مخبأة لذلك اليوم .

وفي كلام المصنف ترغيب في التسمية بمحمد ، وقد جاء في ذلك جملة من الأحاديث الصحيحة والصريحة ، نذكر بعضاً منها على وجه التبرك لا على وجه الإحصاء والاستقصاء :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يوقف عبدان بين يدي الله عز وجل فيأمر بهما إلى الجنة ، فيقولان : ربنا بما استأهلنا منك الجنة ولم نعمل عملاً يجازينا الجنة - وفي رواية : تجازينا به الجنة - ؟ فيقول الله عز وجل لهما : عبداي ادخلا الجنة ، فإني آليت على نفسي أن لا يدخل النار مَن اسمه أحمد ومحمد »[1] .

وروى الحافظ بن طاهر السلفي من حديث حميد الطويل عن أنس مرفوعاً : « يوقف عبدان بين يدي الله عز وجل ، فيقول الله لهما :

---

(١) : رواه الديلمي في الفردوس .

ادخلا الجنة ، فإني آليت على نفسي أن لا يدخل النار من اسمه محمد ولا أحمد »[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه إذا كان يوم القيامة نادى مناد : « ألا لِيَقُم مَن اسمه محمد فليدخل الجنة ، تكرمة لنبيه محمد ﷺ »[2].

وعن أبي أمامة مرفوعاً : « مَن وُلِد له مولود فسمّاه محمداً تبركاً به كان هو ومولوده في الجنة »[3].

وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال : « ما مِن مائدة وضعت فحضر عليها مَن اسمه أحمد ومحمد إلا قُدس ذلك المنزل كل يوم مرتين »[4].

وحاصل كلام المصنف أن له أماناً منه ﷺ بسبب تسميته باسمه الشريف ، وإن ارتكاب الذنب لا يقطع التسمية ، فإنه ﷺ أكثر الناس وفاء بالعهد .

ثم قال رحمه الله تعالى :

إنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذاً بِيَدِي
فَضْلاً وَإلاَّ فَقُلْ يَا زَلَّةَ القَدَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) : رواه ابن سعد في طبقاته عن عثمان العمري مرسلاً .

(٢) : ذكره صاحب سبل السلام ج٤ ص١٠٠ ، وخرِّج في كتاب الخصائص لابن سبع .

(٣) : رواه ابن عساكر .

(٤) : رواه الديلمي صاحب الفردوس .

١٤٧- **إنْ لَمْ يكُنْ فِي مَعَادِي آخِذاً بِيَدِي**
فَضْلاً وَإلاَّ فَقُلْ يَا زَلَّةَ القَدَمِ

الإعراب الموجز

(إنْ) : حرف شرط جازم .

(لَمْ يكُنْ): جازم ومجزوم في محل جزم بـ **(إنْ)** ، واسم **(يكُنْ)** مستتر فيها يعود إلىٰ حضرة النبي ﷺ .

(فِي مَعَادِي) بفتح الميم والعين وكسر الدال : جار ومجرور متعلق بـ **(يكُنْ)** .

(آخِذاً) بهمزة ممدودة وبخاء وذال : خبر **(يكُنْ)** .

(بِيَدِي) : جار ومجرور متعلق بـ **(آخِذاً)** .

(فَضْلاً) : مفعول لأجله منصوب بـ **(آخِذاً)** .

(وَإلاَّ) : حرف شرط مقرون بلا النافية ، وفعل الشرط وجوابه محذوفان ، أي وإن كان آخذاً بيدي فزتُ ، حيث نفي النفي إثبات .
والجملة مقرونة بواو الاعتراض بين الشرط الأول وجوابه .

(فَقُلْ) : جواب الشرط الأول .

(يَا) : حرف نداء .

(زَلَّةَ) بفتح الزاي : منادىٰ منصوب .

(القَدَمِ) بفتح الدال : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(إنْ لَمْ يكُنْ) : أي النبي ﷺ .

(فِي مَعَادِي): أي في عودي إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ إلىٰ دار الجزاء .

(آخِذاً بِيَدِي) : أي بأن يشفع لي عند اشتداد الكرب بي في المحشر ؛ لأن الأخذ باليد يعني الخلاص من الشدة .

(فَضْلاً) : أي فضلاً منه ﷺ لا لسابقة مني أستحق بها أخذه بيدي ، فإن الفضل والمنة لله ﷻ ولرسوله ﷺ .

(وَإِلاَّ فَقُلْ يَا زَلَّةَ القَدَمِ) : عبارة عن الشقاء والهلاك وسوء الحال ، أي يا زلة القدم تعالَيْ فهذا أوانكِ .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالىٰ :

إن لم يكن النبي ﷺ في عودي يوم القيامة لدار الجزاء آخذاً بيدي ، شفيعاً لي ، فضلاً منه وإحساناً لي ، وإلا فيا زلة قدمي عن الصراط المستقيم ، وإن كان كما أرجو آخذاً بيدي فهي السعادة الأبدية بعد يوم الدين .

ثم قال :

حَاشَاهُ أَنْ يُحْرِمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ

أَوْ يَرْجِعَ الجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ

١٤٨- حَاشَاهُ أَنْ يُحْرِمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ

أَوْ يَرْجِعَ الجَارُ مِنْهُ غَيْرَ مُحْتَرَمِ

الإعراب الموجز

(حَاشَاهُ) : مصدر منصوب بفعل محذوف ، والهاء مضاف إليها . والتقدير : أحاشيه حاشا أي محاشاة ، أي أنزهه تنزيهاً .

(أَنْ) بفتح الهمزة وسكون النون : حرف نصب .

(يُحْرِمَ) بضم الياء وكسر الراء : فعل مضارع مبني للفاعل مأخوذ من أحرم ، وفاعله مستتر فيه يعود للنبي ﷺ .

(الرَّاجِي) بسكون الياء على لغة : مفعوله الأول .

(مَكَارِمَهُ) : مفعوله الثاني .

(أَوْ يَرْجِعَ) : بالنصب عطفاً على (يُحْرِمَ) .

(الجَارُ) : فاعل (يَرْجِعَ) .

(مِنْهُ) : جار ومجرور متعلق بـ(يَرْجِعَ) ، والضمير يعود للنبي ﷺ .

(غَيْرَ) : حال من (الجَارُ) .

(مُحْتَرَمِ) بفتح التاء والراء : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(حَاشَاهُ) : أي أنزه النبي ﷺ تنزيهاً .

(أَنْ يُحْرِمَ) : أن يمنع .

(الرَّاجِي) : الرجاء هو الطمع في أمر يمكن الحصول عليه .

(مَكَارِمَهُ) : جمع مكرمة ، والمراد بها هنا الشفاعة .

(أَوْ يَرْجِعَ الجَارُ مِنْهُ) : أي الداخل في جواره ﷺ .

(غَيْرَ مُحْتَرَمِ) : غير موقر .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

حاشاه ﷺ وننزهه أن يُحرم ويمنع الذي يطمع في مكارمه عليه الصلاة والسلام أن يرجع بدون جوار ، كيف لا وهو ﷺ صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة ؟

وحاصل ذلك أن قدر النبي ﷺ الجليل يأبى أن يُحرم الراجي الذليل الطامع لكرمه ﷺ، وأن يرجع مَن التجأ إلى جواره المنيع وجنابه الرفيع محروماً من نواله الوسيع .

فكيف يُهان من تأمّل شفاعة النبي ﷺ وهو سيد كل كريم مِن خلق الله ، أو يُضام مَن نزل بحمى محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام ؟

وهذا البيت زيادة في تسكين النفس من خوفها ، وتقوية تطمينها من قلقها .

نسأل الله تعالى العلي القدير أن يجعلنا من أهل شفاعته وتحت لوائه ، إنه سميع كريم .

ثم قال الناظم :

وَمُنْذُ أَلْزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ

وَجَدْتُهُ لِخَلَاصِي خَيْرَ مُلْتَزِمِ

* * * *

١٤٩- وَمُنْذُ أَلْزَمْتُ أَفْكَارِي مَدَائِحَهُ
وَجَدْتُهُ لِخَلَاصِي خَيْرَ مُلْتَزِمِ

الإعراب الموجز

(وَمُنْذُ) : ظرف زمان وذلك لدخولها على الجملة الفعلية في محل نصب بـ **(وَجَدْتُ)** .

(أَلْزَمْتُ) بضم التاء : فعل وفاعل .

(أَفْكَارِي) بفتح الهمزة : مفعول أول لـ **(أَلْزَمْتُ)** .

(مَدَائِحَهُ) : مفعول ثان لـ **(أَلْزَمْتُ)** .

(وَجَدْتُهُ) : فعل وفاعل ومفعول أول .

(لِخَلَاصِي) : جار ومجرور متعلق بـ **(وَجَدْتُ)** .

(خَيْرَ) : مفعول ثان لـ **(وَجَدْتُ)** ، وهي مضاف .

(مُلْتَزِمِ) بكسر الزاي : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(أَلْزَمْتُ) : الإلزام جعل الشيء لازماً غير منفك ، يقال : ألزمتُ نفسي الأمر ، أي جعلتها لازمة له .

(أَفْكَارِي) : الأفكار جمع فكر ، وهو أعمال القوة المفكرة لتدبير أمر من الأمور .

(مَدَائِحَهُ) : جمع مديح ، وهو الثناء الحسن .

(وَجَدْتُهُ) : أي وجدت النبي ﷺ .

مأخوذة من الوجدان ، وهو أن يرى المرء ضالته بعد طلبها .

(لِخَلَاصِي) : أي من كل مكروه .

والخلاص مصدر خَلَصَ بفتح اللام في الماضي وضمها في المضارع خَلُصَ ، وهو أن يَخرج الإنسان من شيء تقيّد به .
(خَيْرَ مُلْتَزِمِ) : بمعنى تكفّل وأوجب على نفسه ، أي خير من التزم بخلاص من التجأ إليه ولاذ في الشدائد به .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

ومنذ زمان ألزمت ذات أفكاري مدائحه ﷺ في الدنيا ، متوسلاً بها في مطالبي الكثيرة ، كطلب الخلاص من الداء الذي لا يقدر على رفعه إلا الله تعالى ببركته ﷺ ، وجدته عليه الصلاة والسلام لخلاصي من جميع هذه الشدائد التي تصيبني خير ملتزم .

وإن هذا الداء الذي أشار إليه هو سبب إنشائه القصيدة ، فقد أصيب رحمه الله تعالى بفالج أبطل نصفه كما أسلفنا في بداية شرحنا ، فعمل هذه القصيدة واستشفع بها ، فرأى النبي ﷺ في النوم ، فمسح بيده الشريفة عليه ، فعوفي من ساعته .

فلما استيقظ قال له بعض الصالحين : أَسْمِعْني هذه القصيدة التي مدحتَ بها النبي ﷺ ، والتي تقول في أولها : (أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ ....) ، فلقد سمعتُها تنشد بين يديه ﷺ وهو يتمايل كالغصن الدقيق على الشجرة .

ثم قال المصنف رحمه الله :

وَلَنْ يَفُوتَ الغِنَى مِنْهُ يَداً تَرِبَتْ
إِنَّ الحَيَا يُنْبِتُ الأَزْهَارَ فِي الأُكُمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٥٠- وَلَنْ يَفُوتَ الغِنَىٰ مِنْهُ يَداً تَرِبَتْ
إنَّ الحَيَا يُنْبِتُ الأَزْهَارَ فِي الأُكُمِ

الإعراب الموجز

(وَلَنْ) : حرف نصب .

(يَفُوتَ) : منصوب بـ(لَنْ) .

(الغِنَىٰ) بكسر الغين وفتح النون : فاعل **(يَفُوتَ)** .

(مِنْهُ): جار ومجرور متعلق بـ **(يَفُوتَ)** ، والهاء تشير للنبي ﷺ .

(يَداً) بفتح الياء : مفعول **(يَفُوتَ)** .

(تَرِبَتْ) بفتح التاء الأولىٰ وكسر الراء : فعل وفاعل ، والجملة نعت **(يَداً)** .

(إنَّ) بكسر الهمزة وفتح النون المشددة : حرف مشبه بالفعل ينصب الاسم ويرفع الخبر .

(الحَيَا) بفتح الحاء والياء والقصر : اسم **(إنَّ)** .

(يُنْبِتُ) بضم الياء وسكون النون وكسر الباء : فعل مضارع ، وفاعله مستتر فيه جوازاً يعود إلىٰ **(الحَيَا)** .

(الأَزْهَارَ) بفتح الهمزة وسكون الزاي : مفعول به .

(فِي الأُكُمِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(يُنْبِتُ)** .

تفسير الكلمات

(وَلَنْ يَفُوتَ ...) : هذه جملة مستأنفة .

(الغِنَىٰ) : الاستغناء بالشفاعة عن الأعمال .

(مِنْهُ) : الضمير يعود للنبي ﷺ .

(يَداً) : اليد هي الجارحة ، وقد يُراد بها النفس .

(تَرِبَتْ) : التصقت بالتراب وافتقرت ، أو خسرت ما كان بيدها ، إما من الأموال في الدنيا ، وإما من الثواب للآخرة . أي إما

افتقاراً حسياً أو معنوياً لاقتراف المعاصي ، فهو يشفع للمذنب ، ويَدْخُلُ المشفوع له الجنة بذلك .

وإنما لم يفت الغنى منه ﷺ اليد المذكورة ؛ لعموم الغنى منه لجميع الأيدي التي تكون كذلك ، ومنها يد الناظم ، واستدل على هذا بقوله : **(إِنَّ الحَيَا يُنْبِتُ الأَزْهَارَ فِي الأُكُمِ)** .

(الحَيَا) : الغيث .

(الأَزْهَارَ) : جمع زهر .

(فِي الأُكُمِ) : جمع أكمة وهي الربوة ، أي المحل المرتفع من الأرض .

ووجه الاستدلال بذلك أنه كما يشاهد محسوساً أن الحَيا لعموم بركته ينبت الأزهار في المواضع التي لا يُظن نبتٌ فيها كالأكم ؛ لعدم استقرار الماء عليها لعلوها . فكذا النبي ﷺ لعلو منزلته وشرف قدره عند ربه تبارك وتعالى ، فإنه ينيل الغنى مَن يظن أن لا يستغني لشدة فقره وفاقته .

وهذا التشبيه إنما هو على سبيل التقريب للأفهام ، وإلا فهو عليه الصلاة والسلام لا يحيط بحقيقة كماله البشري إلا الله ﷻ.

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

إن عطايا النبي ﷺ لا تفوت يدَ فقيرٍ ذي فاقة ، فإن المطر إذا نزل إلى الأرض عمّ الصالح منها وغير الصالح ، وأنبت الريحان والأزهار على رؤوس المنازل وأطراف الروابي .

ثم قال المصنف :

وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَطَفَتْ
يَدَا زُهَيْرٍ بِمَا أَثْنَى عَلَى هَرِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٥١- وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَطَفَتْ

يَـدَا زُهَـيْرٍ بِمَـا أَثْنَـىٰ عَلَـىٰ هَـرِمِ

الإعراب الموجز

(وَلَمْ) : حرف جزم .

(أُرِدْ) بضم الهمزة وكسر الراء : فعل ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنا .

(زَهْرَةَ) : مفعول به .

(الدُّنْيَا) : مضاف إليه .

(الَّتِي) : اسم موصول .

(اقْتَطَفَتْ) : صلة **(الَّتِي)** ، والعائد بينهما محذوف أي اقتطفتها .

(يَدَا) : فاعل **(اقْتَطَفَتْ)** ، وحذفت النون للإضافة بناء علىٰ أنه مثنىٰ .

ويجوز أن يكون مفرداً مقصوراً علىٰ لغة من قال :

يا رب ساريات ما توسدا   إلا ذراع العيس أو كف اليدا

(زُهَيْرٍ) بضم الزاي وفتح الهاء : مضاف إليه .

(بِمَا) : الباء للسببية ، و **(مَا)** حرف موصول ، والجار والمجرور متعلق بـ**(اقْتَطَفَتْ)** .

(أَثْنَىٰ) بفتح الهمزة وسكون الثاء وفتح النون : فعل ماض ، وفاعله مستتر فيه جوازاً تقديره هو يعود إلىٰ **(زُهَيْرٍ)** . والجملة صلة **(مَا)** .

(عَلَىٰ هَرِمٍ) بفتح الهاء وكسر الراء : جار ومجرور متعلق بـ**(أَثْنَىٰ)** .

تفسير الكلمات

(وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ) : أي لم أرد الحياة .

(الدُّنْيَا) : أي نعيمها ومشتهياتها ، وما فيها من لذات المال والجاه وغيرهما .

وإنما عبّر بالزهرة تشبيهاً للدنيا بالزهر الذي لا يدوم التمتع به بل يتغير سريعاً .

(الَّتِي اقْتَطَفَتْ) : التي جنت .

(يَدَا زُهَيْرٍ) : قصد المصنف الشاعر المشهور أبا كعب زهير ابن أبي سُلمىٰ صاحب قصيدة **(بانت سعاد)** المشهورة .

كان من الشعراء المتقدمين علىٰ سائر شعراء الجاهلية : كعنترة ، وطرفة بن العبد ، وامرئ القيس ، والنابغة الذبياني .

وله أخت تسمىٰ الخنساء ، كانت كذلك شاعرة مشهورة ، فالشعر كان فيهم وراثة .

(بِمَا أَثْنَىٰ) : بما مدح .

(عَلَىٰ هَرِمٍ) : أي بالمدح الذي أثنىٰ به علىٰ هَرِم بن سنان بن حيان .

وهو أحد أجود ملوك العرب ، كان من سيرته أنه يصل الشعراء ومن يمدحه ، وقد وصل زهيراً بالصلات الكثيرة الخارجة عن العادة ، ومن جملة ما اتفق معه أنه حلف بأن يعطيه كلما مدحه غُرة - عبداً أو أَمَة - أو قيمتها ، وأنه كلما سلّم عليه أعطاه ما ذكرنا ، حتىٰ استحيىٰ منه زهير لكثرة عطائه ، فصار إذا رآه في قوم قال : أَنْعِموا صباحاً غير هَرِم .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالىٰ :

إنـي لم أرد بمدحـي النـبي ﷺ إلا الأجـر والثـواب مـن الله تبـارك وتعـالىٰ في الآخـرة ، ولم أرد بذلـك زهـرة الدنيـا ونضارتـها مـن المـال والجاه وغيرهمـا ، ولم أرد أن أكـون وأتشـبه بزهـير بـن أبـي سُـلمىٰ الشـاعر المشـهور بمـا أثنـىٰ علـىٰ هَـرِم حبـاً في زهـرة الدنيـا ، بـل أريـد شـفاعة النـبي ﷺ مـن وزر أعمـالي وسـوء أحـوالي ، يـوم لا ينفـع مـال ولا بنون إلا من أتىٰ الله بقلب سليم .

ثم قال :

يَـا أَكْـرَمَ الخَلْـقِ مَـا لِـي مَـنْ أَلُـوذُ بِـهِ
سِـوَاكَ عِنْـدَ حُلُـولِ الحَـادِثِ العَمِـمِ

* * * *

١٥٢- **يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ**
سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الحَادِثِ العَمِمِ

الإعراب الموجز

(يَا) : حرف نداء .

(أَكْرَمَ) : منادىٰ منصوب .

(الخَلْقِ) : مضاف إليه .

(مَا) : حرف نفي .

(لِي) : خبر مقدم .

(مَنْ) : مبتدأ مؤخر ، وهو نكرة موصولة بمعنىٰ أحد .

(أَلُوذُ) بفتح الهمزة وضم اللام : فعل مضارع ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنا .

(بِهِ) : جار ومجرور متعلق بـ **(أَلُوذُ)** ، والجملة صفة **(مَنْ)** وعائدها الهاء من **(بِهِ)** .

(سِوَاكَ) بكسر السين : بدل من النكرة ، أو صفة ثانية لها أي غيرك ، أو ظرف مكان أي مكانك .

(عِنْدَ) : منصوب بما في **(لِي)** من معنىٰ الاستقرار .

(حُلُولِ) بضم الحاء واللام الأولىٰ : مضاف إليه ومضاف أيضاً .

(الحَادِثِ) : مضاف إليه .

(العَمِمِ) بفتح العين وكسر الميمين : نعت **(الحَادِثِ)** .

تفسير الكلمات

(يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ) : خطاب للنبي ﷺ ، حيث هو عليه الصلاة والسلام أكرم الخلق وأفضلهم ؛ لهذا خصّه الله تبارك وتعالىٰ بالشفاعة العظمىٰ يوم القيامة ، وهي شفاعته في فصل القضاء .

(مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ) : ليس لي أحد ألتجئ إليه .

(سِوَاكَ) : غيرك .

(عِنْدَ حُلُولِ) : عند نزول .

(الحَادِثِ العَمِمِ) : المراد به وقوع هول يوم القيامة العام الشامل لجميع الخلق .

المعنى الكلي

إن المصنف لما مدح النبي ﷺ علىٰ سبيل الإخبار عن الغائب ، أقبل بالخطاب عليه قائلاً :

يا أكرم كل مخلوق ، ما لي أحد سواك ألتجئ إليه يوم القيامة من هول يومه العميم ، وكربه العظيم ، وخطبه الجسيم ، والخلق كلهم متطاولون إلىٰ جاهك الرفيع ، وجنابك المنيع عند الله سبحانه وتعالى .

ثم قال :

وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللهِ جَاهُكَ بِي
إِذَا الكَرِيمُ تَجَلَّىٰ بِاسْمِ مُنْتَقِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٥٣- وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللهِ جَاهُكَ بِي

إِذَا الكَرِيمُ تَجَلَّىٰ بِاسْمِ مُنْتَقِمِ

الإعراب الموجز

(وَلَنْ) : حرف نصب .

(يَضِيقَ) بفتح الياء وكسر الضاد : منصوب بـ**(لَنْ)** .

(رَسُولَ) : منصوب بالنداء .

(اللهِ) : اسم الجلالة مضاف إليه .

(جَاهُكَ) بفتح الجيم وضم الهاء : فاعل **(يَضِيقَ)** .

(بِي) بكسر الباء : جار ومجرور متعلق بـ**(يَضِيقَ)** .

(إِذَا) بكسر الهمزة وفتح الذال : ظرف لما يُستقبل من الزمان .

(الكَرِيمُ) : فاعل فعل محذوف يفسره **(تَجَلَّىٰ)** ، والتقدير : إذا تجلىٰ الكريم .

ومثل ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ [الانشقاق : ١] .

(تَجَلَّىٰ) بفتح التاء والحاء واللام المشددة : فعل ماض ، وفاعله مستتر فيه يعود إلىٰ **(الكَرِيمُ)** .

ويروىٰ **(إِذْ)** بسكون الذال ، وعلىٰ هذا يكون **(الكَرِيمُ)** مبتدأ ، و**(تَجَلَّىٰ)** خبره .

(بِاسْمِ) : جار ومجرور متعلق بـ**(تَجَلَّىٰ)** .

(مُنْتَقِمِ) بكسر القاف : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(وَلَنْ يَضِيقَ رَسُولَ اللهِ جَاهُكَ) : المراد بالجاه هنا القدر والمنزلة ، حيث الجاه مأخوذ من الوجاهة وهي رفعة القدر وسعة المرتبة ، يقال : رجل وجيه أي معروف مشهور بحسن الذكر وجودة الرأي .

والمعنى هنا : بل جاهك رحب واسع يسعني ويسع كل عاص مثلي .

(بِي) : بمعنى عني .

(إِذَا الكَرِيمُ) : أي الخالق جلت عظمته وتعالى شأنه .

(تَحَلَّى) : اتصف .

والمراد أوقع الانتقام ؛ لأن التحلية تحدد الصفة ، وهي في حق الله تعالى محال .

(بِاسْمِ مُنْتَقِمِ) : المنتقم هو المعاقب لمن عصاه ، أي وانتقم الله تبارك وتعالى ممن عصاه .

المعنى الكلي

في هذا البيت يطلب المصنف من النبي ﷺ أن يجود عليه بالشفاعة لينقذه مما استحقه من العقاب ، فيقول :

ولن يضيق يا رسول الله جاهك عني ؛ لكوني التجأت إليك بالتوسل بك لاستنقاذي مما أستحقه من العقاب ، وذلك إذا اشتد الأمر عليّ يوم القيامة ونفد الصبر ، وإذا الكريم اتصف بمسمى منتقم ، وذلك حين يقع الانتقام من العصاة ، ويُستشفع إلى المرسلين ، فكلٌ حينئذ يقول : نفسي نفسي ، وأنت يا رسول الله صلى الله وسلم عليك تقول : أمتي أمتي . فإنك المقدم عند الله من الخلق ، فَجُدْ عليّ بالشفاعة .

ولقد ذكر بعض الشراح كلاماً كثيراً هنا أغفلت الكلام عنه ، حيث هذه العُجالة لا تسعه .

ثم قال المصنف :

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا

وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٥٤- فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا
وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ

الإعراب الموجز

(فَإِنَّ) : حرف توكيد ونصب .

(مِنْ جُودِكَ) بضم الجيم : جار ومجرور خبر **(إِنَّ)** مقدم .

(الدُّنْيَا) : اسم إِنَّ مؤخر .

(وَضَرَّتَهَا) بفتح الضاد والتاء : معطوف على **(الدُّنْيَا)** .

(وَمِنْ عُلُومِكَ) : جار ومجرور معطوف على **(مِنْ جُودِكَ)** .

(عِلْمَ) بكسر العين : معطوف على **(الدُّنْيَا)** منصوب ، وهو من عطف الاسم على الاسم والخبر على الخبر .

ويحتمل أن يكون **(عِلْمُ)** مرفوعاً على الابتداء ، تقدم خبره في المجرور قبله ، والجملة مستأنفة .

ومن تمعّن في العبارتين وجد الأول أَوْلى ؛ لِما فيها من التأكيد بـ **(إِنَّ)** .

(اللَّوْحِ) : مضاف إليه .

(وَالقَلَمِ) بفتح القاف واللام : معطوف على **(اللَّوْحِ)** .

تفسير الكلمات

(فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ) : أي لأن من بعض جودك ...

(الدُّنْيَا) : المراد بها ما قابل الأخرىٰ .

(وَضَرَّتَهَا) : الضرة هنا هي الآخرة ، والمراد نعيمها .

وضرة المرأةِ امرأةُ زوجها ، وسُمِّيَت بذلك لما بينهما من ضرر المعاشرة

فلا تكاد تجتمعان على أمر واحد . كما أن الدنيا والآخرة ضرتـان ؛ لأنهما لا تجتمعان لطالب واحد لما بينهما من التنافي .

(وَمِنْ) : أي ومن بعض .

(عُلُومِكَ) : العلوم جمع علم ، وإنما جمع باعتبار أنواعه . والمراد بعلومه ﷺ المعلومات التي أطلعه الله تبارك اسمه عليها ، وهي علوم الأولين والآخرين .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة - قال : أحسبه في المنام - فقال : يا محمد ، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا . قال : فوضع يده بين كَتِفَي حتى وجدت بردها بين ثديَي - أو قال : في نحري - ، فعلمت ما في السماوات وما في الأرض . قال : يا محمد ، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : نعم. قال : في الكفارات ، والكفارات المكث في المساجد بعد الصلوات ، والمشي على الأقدام إلى الجماعات ، وإسباغ الوضوء في المكاره . ومَن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير ، وكان مِن خطيئته كيوم ولدته أمه . وقال : يا محمد ، إذا صليتَ فقل : اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وإذا أردتَ بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون . قال : والدرجات إفشاء السلام ، وإطعام الطعام ، والصلاة بالليل والناس نيام »[1] .

---

(١) : حديث صحيح رواه الترمذي في سننه ، وعبد بن حميد ، وعبدالرزاق في جامعه عن أبي قلابة عن ابن عباس . قال أبو عيسى : وقد ذكروا بين أبي قلابة وبين ابن عباس في هذا الحديث رجلاً، وقد رواه قتادة عن أبي قلابة عن خالد بن اللجاج عن ابن عباس .

وهذا الحديث رؤيا منامية ، ورؤيا الأنبياء وحي .

والصورة هنا صورة تجلي لا أنَّ الله تعالىٰ تجسّم في صورةٍ ، ننزهه سبحانه أن يتصف بما يتصف به الخلق ، تعالىٰ الله وتبارك أن يشبه شيئاً أو أن يشبهه شيء .

(عِلْمَ اللَّوْحِ وَالقَلَمِ) : المراد المعلومات التي كتبها القلم في اللوح وثبتت فيه بأمر الله تبارك وتعالىٰ .

فقد ورد في الخبر عن عبادة بن الصامت مرفوعاً قال لابنه : « يا بني ، إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتىٰ تعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك . سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : إنَّ أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب ، قال : رب وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتىٰ تقوم الساعة . يا بني ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : مَن مات علىٰ غير هذا فليس مني »(1) .

وورد في الحديث الذي رواه عبدالرزاق بسنده عن جابر بن عبدالله قال : « قلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء . قال : يا جابر ، إن الله تعالىٰ خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره ، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ، ولا قلم ، ولا جنة ، ولا نار ، ولا مَلَك ، ولا سماء ، ولا أرض ، ولا شمس ، ولا قمر ، ولا جني ، ولا إنسي . فلما أراد

---

(1) : رواه أبو داود والبيهقي في سننه .

أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء ، فخلق من الجزء الأول القلم ، ومن الثاني اللوح ، ومن الثالث العرش . ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء ، فخلق من الجزء الأول حملة العرش ، ومن الثاني الكرسي ، ومن الثالث باقي الملائكة . ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء ، فخلق من الأول السماوات ، ومن الثاني الأراضين ، ومن الثالث الجنة والنار . ثم قسم الرابع أربعة أجزاء ، فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين ، ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ، ومن الثالث نور أُنسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله »[1] .

ويجمع بينه وبين الحديث الأول ؛ بأن أولية القلم بالنسبة إلىٰ ما عدا النور النبوي المحمدي ، والماء ، والعرش . وقيل : الأولية في كل شيء بالإضافة إلىٰ جنسه ، أي أول ما خلق الله من الأنوار نور نبينا محمد ﷺ وكذا باقيها .

كذا ورد في كتاب كشف الخفاء ، وفيه بحث طيب راجعه إن شئت .

---

(١) : نقل من كتاب كشف الخفاء ج١ ص١١١ .

والحديث كذا في المواهب ، وقال فيها : واختلف هل القلم أول المخلوقات بعد النور المحمدي أم لا ؟ فقال الحافظ أبو يعلىٰ الهمداني : الأصح أن العرش قبل القلم لما ثبت في الصحيح عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : (قدّر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه علىٰ الماء) ، وهذا صريح في أن التقرير وقع بعد خلق العرش .

المعنى الكلي

هذا البيت تعليل للبيت الذي قبله ، فكأن المصنف رحمه الله تعالىٰ يقول :

وإنما كان جاهك يا رسول الله لا يضيق بي ، بل يسعني ويسع غيري من العصاة ؛ لأن من بعض جودك صلىٰ الله وسلم عليك خيري الدنيا والآخرة ، ومن علومك كذلك عِلْمَي اللوح والقلم ، وأنت الحقيق بذلك والمُعوَّل في الشفاعة عليك ، ولا أقطع رجائي منك .

ولقد استشكل بعضهم جَعْل علم اللوح والقلم من بعض علومه ﷺ ؛ لأن من جملة علم اللوح والقلم الأمور الخمسة المذكورة في آخر سورة لقمان ، وهي قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [لقمان : ٣٤] ، علماً أن النبي ﷺ لا يعلمها ؛ لأن الله سبحانه قد استأثر بعلمها ، فلا يتم التبعيض المذكور .

وأجيب بعدم تسليم أن هذه الأمور الخمسة مما كتب القلم في اللوح ، وإلا لاطّلع مَن شأنه أن يطّلع علىٰ اللوح كبعض الملائكة المقربين ، وعلىٰ تسليمهم أنها مما كتب القلم في اللوح .

والمراد أن بعض علومه ﷺ علم اللوح والقلم الذي يطلع عليه المخلوق ، فخرجت هذه الأمور الخمسة علىٰ أنه ﷺ لم يخرج من الدنيا إلا بعد أن أعلمه الله تبارك وتعالىٰ بهذه الأمور .

وإن قيل : إذا كان علم اللوح والقلم بعض علومه ﷺ ، فما البعض الآخر ؟

أجيب بأن البعض الآخر هو ما أخبره ربه تبارك وتعالىٰ عنه

من أحوال الآخرة ؛ لأن القلم إنما كتب في اللوح ما هو كائن إلىٰ يوم القيامة فقط كما مر آنفاً في الحديث الشريف .

ثم خاف المصنف علىٰ نفسه القنوط واليأس من رحمة الله تعالىٰ بسبب شدة الخوف ، فأقبل عليها يخاطبها بتحقيق رجائه ، ويؤنسها بعظم فضل الله تبارك وتعالىٰ ، فقال :

يَا نَفْسِ لاَ تَقْنِطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ
إِنَّ الكَبَائِرَ فِي الغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ

* * * *

١٥٥- يَا نَفسِ لاَ تَقنِطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ
إِنَّ الكَبَـائِرَ فِـي الغُفْـرَانِ كَـاللَّمَمِ

الإعراب الموجز

(يَا) : حرف نداء .

(نَفْسِ) بكسر السين : منادىٰ مضاف لياء المتكلم ، وحُذف المضاف إليه واكتفي بالكسرة .

وإن قرئ بالضم **(يَا نَفْسُ)** فهو لغة قليلة إلا أن تكون نكرة مقصودة .

(لاَ) : حرف نهي .

(تَقْنِطِي) بكسر النون : مجزوم بـ **(لاَ)** ، وعلامة جزمه حذف النون .

(مِنْ زَلَّةٍ) بفتح الزاي وتشديد اللام : جار ومجرور متعلق بـ **(تَقْنِطِي)** .

(عَظُمَتْ) بضم الظاء : صفة **(زَلَّةٍ)** .

(إِنَّ الكَبَائِرَ) : إنَّ واسمها .

(فِي الغُفْرَانِ) : جار ومجرور متعلق بما تعلق به خبر **(إِنَّ)** .

(كَاللَّمَمِ) بفتح اللام المشددة والميم الأولىٰ : جار ومجرور خبر **(إِنَّ)** يتعلق بالاستقرار .

تفسير الكلمات

(يَا نَفْسِ) : يخاطب نفسه رحمه الله تعالىٰ .

(لاَ تَقْنِطِي) : لا تيأسي ، فالقنوط هو اليأس من رحمة الله تعالىٰ .

(مِنْ زَلَّةٍ) : الزلة هي الذنب الشامل للكبير والصغير .

(عَظُمَتْ) : كَبُرَتْ .
(إِنَّ الكَبَائِرَ) : جمع كبيرة ، وهي الذنوب العظام .
(فِي الغُفْرَانِ) : أي في جانب الغفران ، بمعنى المغفرة .
(كَاللَّمَمِ) : هي صغار الذنوب .

المعنى الكلي

يقول المصنف مخاطباً نفسه :

يا نفسي ، لا تقنطي من عفو زلة عظمت ، ومن مغفرة ذنب كبير ، فإن فضل الله تبارك وتعالى عظيم ، وحلمه وعفوه عن الذنب عميم . وإن الكبائر العظام التي ارتكبتيها أيتها النفس في جانب الغفران منه تبارك وتعالى كاللمم وهي صغائر الذنوب . فإنه ورد أنه تعالى يغفر الصغائر باجتناب الكبائر ، ويعفو عن الكبائر إن شاء تعالى بفضله وكرمه ، وشفاعة نبيه ﷺ .

قال تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨/١١٦].

وما ذكره المصنف هنا بأن الكبائر في جواز العفو عنها كالصغائر هو مذهب وعقيدة أهل السنة والجماعة ، والموافق للقرآن والحديث الشريفين ، والدليل العقلي ؛ لأنه تبارك وتعالى لا يجب عليه ثواب ، ولا يُحَتَّم عليه عقاب . فالثواب منه تعالى فضل ، والعقاب منه عدل ، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون .

وبذلك يكون المصنف قد ردّ بمذهب أهل الحق الموافق للقرآن الكريم والسنة المشرفة ، ولِما كان عليه السلف والخلف ، على المعتزلة الزاعمين بأن الكبائر ليست كالصغائر ، وأن الكبائر لا يغفرها الله

تعالىٰ ، ومرتكبها يُخَلَّد في النار لأنه ليس مؤمناً وليس كافراً ، بل هو في منزلة بين المنزلتين ، ويعذب بعذاب أخف من عذاب الكافر .

ولما نهىٰ المصنف نفسه عن القنوط واليأس ، قدّر في كلامه بأنها أجابته قائلة له : أنا لا أقنط من رحمة الله تعالىٰ فإن ذلك كفر ، ولكني أخشىٰ أن يكون حظي من الرحمة لا يفي بتبعات ذنوبي لعظمها وكثرتها .

فأجابها المصنف قائلاً :

لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا

تَأْتِي عَلَىٰ حَسَبِ العِصْيَانِ فِي القِسَمِ

* * * *

١٥٦- لَعَلَّ رَحْمَةَ رَبِّي حِينَ يَقْسِمُهَا
تَأْتِي عَلَىٰ حَسَبِ العِصْيانِ فِي القِسَمِ

الإعراب الموجز

(لَعَلَّ) : حرف ترجٍ .
(رَحْمَةَ) : اسمها .
(رَبِّي) : مضاف إليه .
(حِينَ) : ظرف زمان منصوب بـ **(تَأْتِي)** .
(يَقْسِمُهَا) : فعل وفاعل ومفعول به ، والجملة في موضع جر بإضافة **(حِينَ)** إليها .
(تَأْتِي) : خبر **(لَعَلَّ)** .
(عَلَىٰ حَسَبِ) بفتح الحاء والسين : جار ومجرور متعلق بـ **(تَأْتِي)** .
(العِصْيَانِ) بكسر العين وسكون الصاد : مضاف إليه .
(فِي القِسَمِ) بكسر القاف وفتح السين : جار ومجرور متعلق بـ **(حَسَبِ)** .

تفسير الكلمات

(لَعَلَّ رَحْمَةَ) : أي أرجو أن تكون رحمة ربي .
(رَبِّي) : أي خالقي ومربيني وكل موجود .
(حِينَ يَقْسِمُهَا) : أي عند القسمة .
(تَأْتِي عَلَىٰ حَسَبِ) : المراد هنا القَدْر ، أي علىٰ قدر .
(العِصْيَانِ) : ضد الطاعة ، وهي تشمل الصغائر والكبائر .
(فِي القِسَمِ) : جمع قسمة ، وهو ما يقسمه الله تعالىٰ لخلقه .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالىٰ :

لعل رحمة ربي التي تنال العصاة وتستر ذنوبهم يوم القيامة حين يقسمها تبارك اسمه ، إذا وُزعت عليهم تأتي أقسامها في العظم والصغر علىٰ قدر العصيان في القسم ، فتعم الكبائر والصغائر ؛ لأن ذنبي كبير فأرجو أن يكون نصيبه من الرحمة بقدره كذلك .

فمن حمل من آثام المعاصي حملاً كبيراً ، ناله من أقسام الرحمة التي هي ستر المعاصي يوم القيامة عن الخلق الكثير من المغفرة .

وهذا ممكن حيث الرحمة التي تنال العاصين يوم القيامة وقَسْمُها علىٰ هذا الوجه ممكن بجواز العفو عما عدا الشرك ، وإن شفاعة النبي ﷺ تكون للعصاة كما قال في الحديث الشريف : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي »[1].

ومن الملاحظ في هذه القصيدة أنها قد اشتملت علىٰ عدة أنواع منها : التغزل ، وتوبيخ النفس ، والوعظ ، ومدح النبي ﷺ ، وذكر بعض معجزاته ، ومدح القرآن الكريم ، ومدح الصحابة الكرام ، وذم الكفار ، والإقرار بالذنب ، ... وغير ذلك . وقد ختمها رحمه الله تعالىٰ بالدعاء ، ثم بالصلاة علىٰ النبي ﷺ ، فقال :

يَـا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَـائِي غَـيْرَ مُنْعَكِسٍ
لَدَيْـكَ وَاجْعَلْ حِسَـابِي غَـيْرَ مُنْخَرِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه الترمذي في الزهد عن عباس بن عبدالعظيم العنبري عن عبدالرزاق عن أنس ، وقال : حديث حسن صحيح غريب مِن هذا الوجه . وصححه الحاكم وابن حبان . وأخرجه أحمد ، وأبو داود عن سليمان بن حرب ، والطبراني ، والبزار ، والبيهقي في سننه وقال : إسناده صحيح . ورواه ابن مردويه من طرق عن أنس وعن جابر مرفوعاً ، ولكن في إسناده من جميع طرقه ضعف إلا ما رواه عبدالرزاق عن أنس ، فإن إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين .

١٥٧- يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ
لَدَيْكَ وَاجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمِ

الإعراب الموجز

(يَا) : حرف نداء .

(رَبِّ) : منادىٰ ، وأصله : يا ربي بالإضافة إلىٰ ياء المتكلم ثم حذفت للتخفيف ، والكسرة دليل علىٰ حذفها . فهي كقوله تعالىٰ : ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم : ٤].

ويجوز فيه الرفع علىٰ أنه منادىٰ مفرد علم **(يا رَبُّ)** .

(وَاجْعَلْ رَجَائِي) : فعل وفاعل ومفعول أول ، والجملة معطوفة علىٰ جملة مقدرة قبلها ، والتقدير : يا رب حقق ظني واجعل رجائي .

(غَيْرَ) : مفعول ثان لـ **(اجْعَلْ)** .

(مُنْعَكِسٍ) : مضاف إليه .

(لَدَيْكَ) بفتح الدال : جار ومجرور متعلق بـ **(مُنْعَكِسٍ)** .

(وَاجْعَلْ) : فعل وفاعل .

(حِسَابِي) : مفعوله الأول .

(غَيْرَ) : مفعوله الثاني .

(مُنْخَرِمِ) بفتح الخاء وكسر الراء : مضاف إليه .

تفسير الكلمات

(رَجَائِي) : الرجاء هو الأمل .

(غَيْرَ مُنْعَكِسٍ) : غير مخالف لظني بك يا رب .

(لَدَيْكَ) : بمعنى عندك .
(وَاجْعَلْ حِسَابِي) : المقصود بالحساب هنا الاعتقاد ، أي واجعل اعتقادي .
(غَيْرَ مُنْخَرِمِ) : غير منقطع لديك .

المعنى الكلي

يلاحظ من كلام المصنف في هذا البيت الحذف من الثاني لدلالة الأول عليه ، فيقول رحمه الله تعالى :

يا رب واجعل ما أمّلته فيك غير مخالف له ، واجعل ما اعتقدته فيك من العفو والكرم غير منخرم عندك ، فإنك وعدتني بالإجابة بقولك : ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. وها أنا عبدك وأنت سيدي وربي وسندي وذخري ومعتقدي ، فاستجب دعائي كما وعدتني يا رب العالمين ، وبلغني مناي وحقق ظني ، واجعل رجائي عندك غير منعكس يوم القيامة حيث هو يوم الثواب والعقاب ، واجعل حسابي واعتقادي وظني الجميل فيك أن تعفو عن زلاتي ، وتُنيلني من فضلك ما أملته من جودك ، غير منقطع وغير ممتنع ذلك الظن ، وغير ناقص لديك بل أجده حسبما قدَّرْته .

ثم قال :

وَالْطُفْ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ
صَبْراً مَتَى تَدْعُهُ الأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٥٨- وَالْطُفْ بِعَبْدِكَ فِي الدَّارَيْنِ إِنَّ لَهُ
صَبْراً مَتَىٰ تَدْعُهُ الأَهْوَالُ يَنْهَزِمِ

الإعراب الموجز

(وَالْطُفْ) بضم الطاء : معطوف علىٰ **(اجْعَلْ)** في البيت السابق .

(بِعَبْدِكَ) ، **(فِي الدَّارَيْنِ)** : جار ومجرور متعلقان بـ**(الْطُفْ)** .

(إِنَّ لَهُ) : إنَّ وخبرها .

(صَبْراً) بفتح الصاد وسكون الباء : اسمها .

(مَتَىٰ) : ظرف زمان متضمن معنىٰ الشرط يجزم فعلين ، وهو منصوب بـ **(تَدْعُهُ)** .

(تَدْعُهُ) : مجزوم بـ **(مَتَىٰ)** وعلامة جزمه حذف الواو .

(الأَهْوَالُ) : فاعل **(تَدْعُهُ)** .

(يَنْهَزِمِ) بكسر الزاي : جواب **(مَتَىٰ)** مجزوم ، ووجود الكسرة علىٰ الميم من أجل الروي والقافية .

تفسير الكلمات

(وَالْطُفْ) : بمعنىٰ ارفق ، والرفق هو فعل الأصلح ، واللطافة ضد الكثافة .

(بِعَبْدِكَ) : قصد المصنف هنا نفسه ، واختار أن يصف نفسه بالعبودية ؛ لِما فيها من غاية الذل والخضوع . وذلك مناسب لمقام الدعاء ، حيث هذا البيت من تمام الدعاء .

(فِي الدَّارَيْنِ) : أي داري الدنيا والآخرة .

(إِنَّ لَهُ) : أي إن لعبدك ... وعنى نفسه كما أسلفنا .
(صَبْراً) : أي صبراً ضعيفاً لا يقيم على مقاساة الأهوال .
(مَتَى تَدْعُهُ الأَهْوَالُ) : جمع هول ، وهو الأمر العظيم المخيف ، يقال : هالني هذا الأمر بمعنى راعني وأخافني .
(يَنْهَزِمِ) : أي متى تطلبه الأمور المهولة ينهزم صبره ولا يثبت فيهلك ، وبلطفك يا الله يندفع الهلاك .

المعنى الكلي

إن هذا البيت كما ذكرنا من تمام الدعاء ، ولقد طلب المصنف رحمه الله تعالى بقوله : (وَالْطُفْ) ، أي وارفق يا الله بعبدك في داري الدنيا والآخرة فيما قدّرته عليّ فيهما ، فإن لي صبراً ضعيفاً لا يقيم على مقاساة الأهوال والشدائد ، فمتى طلبتني الأهوال لملاقاتها فإنني أنهزم وأهرب منها من أول الأمر ، ولا أستطيع أن أقابلها ؛ لذا فإني مفتقر إلى اللطف بي والإحسان إلي .

ثم ختم دعاءه بالصلاة على النبي ﷺ ، فقال :

وَائْذَنْ لِسُحْبِ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ
عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍّ وَمُنْسَجِمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٥٩- وَائْذَنْ لِسُحْبِ صَلاَةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ
عَلَىٰ النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍّ وَمُنْسَجِمِ

الإعراب الموجز

(وَائْذَنْ) بسكون الهمزة وفتح الذال : فعل وفاعل .

(لِسُحْبِ) بضم السين وسكون الحاء : جار ومجرور متعلق بـ **(ائْذَنْ)** ، واللام للتعدية .

(صَلاَةٍ) : مضاف إليها .

(مِنْكَ) : نعت **(صَلاَةٍ)** .

(دَائِمَةٍ) : نعت **(صَلاَةٍ)** ، ويجوز نصبها علىٰ أنها حال منها .

(عَلَىٰ النَّبِيِّ) : جار ومجرور متعلق بـ **(دَائِمَةٍ)** .

(بِمُنْهَلٍّ) بضم الميم وفتح الهاء وتشديد اللام : نعت **(سُحْبِ)** علىٰ تقدير موصوف بين الجار والمجرور أي بمطر منهل ، والباء للمصاحبة .

(وَمُنْسَجِمِ) بضم الميم وسكون النون وفتح السين وكسر الجيم : معطوف علىٰ **(مُنْهَلٍّ)** .

تفسير الكلمات

(وَائْذَنْ) : فعل دعاء ، والإذن في حقه تعالىٰ بمعنىٰ الإباحة .

(لِسُحْبِ) : جمع سحاب وهو الغيم .

(صَلاَةٍ) : الصلاة علىٰ الأنبياء هي طلب مزيد من الرحمة والكرامة لهم .

(مِنْكَ دَائِمَةٍ) : أي وسلام دائم .

(عَلَىٰ النَّبِيِّ) : محمد ﷺ .

(بِمُنْهَلٍ) : أي بمطر منهل ، وهو المطر السائل المنصب بشدة ، يقال : انهلت السماء أي صبت ، واستهلت أي ارتفع صوت وقعها ، وانهلت العين أي جرىٰ دمعها .

(وَمُنْسَجِمِ) : أي ومطر منسجم ، أي سائل لعدم شدته .

وإنما شبّه المصنف الصلاة علىٰ النبي ﷺ بالمطر ؛ لأن الصلاة من الله علىٰ النبي رحمة ، والمطر رحمة .

المعنى الكلي

اعلم أيها الأخ القارئ أن الناظم لما سأل ربه الكريم ، وطلب من مولاه الرحيم أن لا ينعكس رجاؤه فيما حسن ظنه فيه من غفر الذنوب وستر العيوب ، وأن يجعل انصباب رحمته تعالىٰ بالنسبة للعاصين علىٰ حسب مراتب العصيان ، ومن المعلوم أن الدعاء موقوف حتىٰ يتشفع الداعي بالصلاة علىٰ النبي ﷺ وآله وصحبه ؛ لذا نرىٰ المصنف قد ختم دعاءه وقصيدته بالصلاة عليه ﷺ ، فقال :

أسألك يا خالق الخلق ، وباسط الأراضين ، ورافع السماوات ، ورب جبريل وميكائيل ، أن تأمر سحب الصلاة التامات أن تفيض ، وأن تسيل أنابيب النور والمعرفة والعرفان علىٰ القلب الأنور ، والقالب الأزهر ، والجسد المطهر ، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

ثم قال :

مَا رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ البَانِ رِيحُ صَبَاً
وَأَطْرَبَ العِيسَ حَادِي العِيسِ بِالنَّغَمِ

❁ ❁ ❁ ❁

١٦٠- **مَا رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ البانِ رِيحُ صَبـاً**

وَأَطْـرَبَ العِيـسَ حَـادِي العِيـسِ بِـالنَّغَمِ

الإعراب الموجز

(مَا) : مصدرية ظرفية .

(رَنَّحَتْ) بفتح الراء والنون المشددة والحاء : فعل ماض ، وتاؤه للتأنيث .

(عَذَبَاتِ) بفتح العين والذال والباء وكسر التاء : مفعول به لـ**(رَنَّحَتْ)** .

(البَانِ) بفتح الباء : مضاف إليه .

(رِيحُ) بكسر الراء وسكون الياء : فاعل **(رَنَّحَتْ)** .

(صَباً) بفتح الصاد والباء والقصر : مضاف إليه من إضافة العام إلى الخاص .

(وَأَطْرَبَ) بفتح الهمزة وسكون الطاء وفتح الراء : معطوف على **(رَنَّحَتْ)** .

(العِيسَ) بكسر العين وإن كان أصلها الضم وسكون الياء : مفعول **(أَطْرَبَ)** .

(حَادِي) بفتح الحاء وكسر الدال : فاعل **(أَطْرَبَ)** .

(العِيسِ) : مضاف إليه .

وقد ورد في بعض النسخ **(الرَّكْبِ)** بدل **(العِيسِ)** .

(بِـالنَّغَمِ) بفتح النون والغين المعجمة : جار ومجرور متعلق بـ **(أَطْرَبَ)** ، وباؤه للاستعانة .

تفسير الكلمات

(مَا رَنَّحَتْ) : ما أمالت ، يقال : رَنَّحَت الريحُ الغصنَ بمعنى أمالته .

(عَذَبَاتِ البَانِ) : أغصانه ، والبان شجر معروف طيب الرائحة .

(رِيحُ صَباً) : المراد بها الريح الشرقية التي تهب صوب باب الكعبة ،

وإنما سميت بذلك لأنها تصبو إليها بمعنىٰ تميل .

وبذكر الريح ذكر بعض شراح البردة أن أصول الرياح أربعة :

الأولىٰ : الصبا ، وهي الريح الشرقية .

الثانية : الدبور ، وهي الريح الغربية التي تأتي من صوب المغرب ، وسُمِّيَت بذلك لأنه من استقبل المشرق استدبرها .

الثالثة : الشَّمال بفتح الشين ، وهي الريح البحرية التي يُسار بها في البحر علىٰ كل حال ، وإنما سُمِّيَت بذلك لأنها عند شمال مَن استقبل المشرق .

الرابعة : الجَنوب بفتح الجيم ، وهي الريح القبلية .

وكل ريح جاءت بين مهب ريحين يقال لها : النكباء ، وسميت بذلك لأنها نكبت عن مهب تلك الرياح الأربعة ، أي عدلت .

(وَأَطْرَبَ) : الطرب هو الخفة الحاصلة من شدة السرور المقتضية للحركة والهزة والنشاط .

(العِيسَ) : هي إبل بيض يخالطها شقرة أو حمرة شديدة ، وهي من كرام الإبل ومن أجود أموال العرب . يقال للذكر أعيس ، وللأنثىٰ عيساء .

(حَادِي العِيسِ) : سائقها ، والحدو سَوْق الإبل بالحُداء بالمد مع ضم الحاء وكسرها ، وهو الغناء لها .

وكلما كان الصوت أحسن كان طرب العيس أكثر ، حتىٰ إنها لتقطع المسافة الكثيرة في الزمن القليل بسبب ما يحصل لها من النشاط عند سماع الصوت الحسن .

(**بِالنَّغَمِ**) : جمع نغمة ، وهي في العرف مَدَّة في الصوت يقصد بها الإطراب ، وهي الصوت الحسن . يقال : فلان حسن النغم ، أي حسن الصوت .

وإنما خصّ المصنف البان والعيس ؛ لأنهما من مألوفات الأحبة وهم العرب .

وتخصيص ريح الصبا أظهر وأوضح إلى ذلك ؛ لصبوها إلى باب الكعبة في البلد الذي هو مسقط رأس حبيبه وحبيب كل مؤمن ﷺ .

ويحتمل أن المصنف أراد بذلك التأبيد ، فكأنه قال : دائماً وأبداً .

ورأيت بعض شراح البردة قد قال بأن المصنف أشار بـ(**عَذَبَاتِ**) إلى عذبة عمة النبي ﷺ ؛ لتمايلها بتمايله ﷺ عند سماع المديح . وأشار بـ(**البَانِ**) إلى ذات النبي ﷺ الشريفة ؛ لطيب رائحتها بل أعظم . وأشار بـ (**العِيسَ**) إلى أمة النبي ﷺ ؛ لطربهم عند سماع المديح كطرب العيس عند سماع صوت الحادي . وأشار بـ (**النَّغَمِ**) إلى المديح .

المعنى الكلي

يقول المصنف رحمه الله تعالى :

اللهم أدم تلك الصلوات ، وأبق تلك التحيات ، ما هزّت ريح الصبا غصون البان ، وأطرب حادي الركائب بحُداء الركبان . وما حركت المحبة الإلهية والإرادة الربانية أفئدة عشاق النور ، وقلوب محبي الجمال الإلهي . وما أطرب بلبل بستان النبوة ، وخطيب نادي الفتوة جمال ركب السائرين إلى الله تبارك وتعالى ، وعيسَ سفر السالكين في معرفة الله تعالى .

هذا وبالله التوفيق

ولقد وُجد في بعض نسخ البردة الشريفة أبيات لم يتعرض شراح البردة لشرحها ولكن لا بأس بها ، وهي كما يلي :

ثُمَّ الرِّضَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعَنْ عُمَرٍ
وَعَنْ عَلِيٍّ وَعَنْ عُثْمَانَ ذِي الكَرَمِ

وَالآلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ فَهُمْ
أَهْلُ التُّقَى وَالنَّقَا وَالحِلْمِ وَالكَرَمِ

يَا رَبِّ بِالمصْطَفَى بَلِّغْ مَقَاصِدَنَا
وَاغْفِرْ لَنَا مَا مَضَى يَا وَاسِعَ الكَرَمِ

وَاغْفِرْ إِلَهِي لِكُلِّ المسْلِمِينَ بِمَا
يَتْلُوهُ فِي المسْجِدِ الأَقْصَى وَفِي الحَرَمِ

بِجَاهِ مَنْ بَيْتُهُ فِي طَيبَةٍ حَرَمٌ
وَاسْمُهُ قَسَمٌ مِنْ أَعْظَمِ القَسَمِ

وَهَذِهِ بُرْدَةُ المُخْتَارِ قَدْ خُتِمَتْ
وَالحَمْدُ للهِ فِي بَدْءٍ وَفِي خَتَمِ

أَبْيَاتُهَا قَدْ أَتَتْ سِتِّينَ مَعْ مِائَةٍ
فَرِّجْ بِهَا كَرْبَنَا يَا وَاسِعَ الكَرَمِ

الخاتمة

هـذا آخـر مـا أفاضـه المـولىٰ الكريـم في شـرح بـردة مـدح الـنبي ﷺ للإمـام العـارف بـالله أبـي عبـدالله محمـد البوصـيري رحمـه الله تعـالىٰ ونفعنا به والمسلمين آمين .

واعلم أيها الأخ القارئ الكريـم بـأني استعنت في شـرح هـذه الـبردة الشريفة بعدة شراح لها ، منهم :

- شرح العلامة القسطلاني .
- شرح العلامة أبي السعود .
- حاشية الشيخ إبراهيم الباجوري .
- شرح الشيخ خالد الأزهري .
- شرح العلامة حسن العدوي الخنزاوي .

والله أسـأل أن يكـون هـذا الشـرح قـد وفّىٰ بغـرض الإخـوان الذيـن سألوني أن أضع شرحاً لها يبين معناها ، ويكشف لثام خفاياها .

كما آمل أن يكون كافياً لمن اقتصر عليه ، وخالياً من التعقيد والحشو في المسائل .

ولا بـد لي هنـا مـن أن أبـين بـأن الفضـل الكبـير لله أولاً حيـث هـو الموفق ، ثم لمن سبقنا في شرح هذه البردة الطيبة المباركة . حيث شـرحنا هذا مقتطف من بسـاتين الشـراح السـابقين ، العمالقـة في سمـاء المعرفـة والفضائل ، الغواصين في بحار المعرفة والطرائف .

كما أنه لا يفوتني أن أسأل أخاً قرأ عبارة منها أن يدعو لنا ولوالدينا ، ولمن كان السبب في كتابته . وإذا رأىٰ عـثرة ووجـد لهـا سـائغاً أجراهـا ،

وإن لم يجد لها سائغاً أصلحها بالتي هي أحسن .

كما أسأل الله العزيز أن ينفع بهذا الشرح كل من اطلع عليه وأراد القرب من النبي ﷺ وآله .

وأسأله تعالىٰ أن يجعل عملنا كله خالصاً لوجهه الكريم ، بعيداً عن أي التفاتة إلىٰ الغير ، إنه جواد كريم ، وهو حسبي فنِعْم الوكيل ، نِعْمَ المولىٰ وَنِعْمَ النصير .

وأسأله تبارك وتعالىٰ أن يغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وإخواننا وأحبابنا وجميع المسلمين بجاه سيدنا محمد ﷺ الذي أرسله رحمة للعالمين ، وأصحابه وأزواجه وأهل بيته ومحبيه إلىٰ يوم الدين .

ولقد انتهيت من شرح هذه البردة المباركة في الثامن من ربيع الأول عام ثلاثة وعشرين بعد الألف والأربعمائة من الهجرة النبوية الشريفة ، الموافق العشرين من الشهر الخامس من السنة الميلادية الثانية بعد الألفين .

وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيد كل سيد كان ويكون إلىٰ يوم الدين .

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

خادم العلم الشريف

محمد عيد يعقوب الحسيني

فهرس الكتاب

صورة الشارح ٥

مقدمة الشارح ٧

قصيدة البردة الشريفة ١١

شرح البردة الشريفة ٣٢

الفصل الأول : في الغزل وشكوى الغرام

١- أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ ٣٣

٢- أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ ٣٦

٣- فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَتَا ٣٩

٤- أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ ٤١

٥- لَوْلاَ الهَوَىٰ لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلَىٰ طَلَلٍ ٤٣

٦- فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبّاً بَعْدَ مَا شَهِدَتْ ٤٥

٧- وَأَثْبَتَ الوَجْدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وَضَنىً ٤٧

٨- نَعَمْ سَرَىٰ طَيْفُ مَنْ أَهْوَىٰ فَأَرَّقَنِي ٤٩

٩- يَا لاَئِمِي فِي الهَوَىٰ العُذْرِيِّ مَعْذِرَةً ٥٢

١٠- عَدَتْكَ حَالِيَ لاَ سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ ٥٤

١١- مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ ٥٦

١٢- إِنِّي اتَّهَمْتُ نَصِيحَ الشَّيْبِ فِي عَذَلٍ ٥٨

الفصل الثاني : في التحذير من هوى النفس

١٣- فَإِنَّ أَمَّارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظَتْ ٦٠
١٤- وَلاَ أَعَدَّتْ مِنَ الفِعْلِ الجَمِيلِ قِرَى ٦٢
١٥- لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أُوَقِّرُهُ ٦٤
١٦- مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَا ٦٦
١٧- فَلاَ تَرُمْ بِالمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا ٦٨
١٨- وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى ٧٠
١٩- فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَهُ ٧٣
٢٠- وَرَاعِهَا وَهِيَ فِي الأَعْمَالِ سَائِمَةٌ ٧٥
٢١- كَمْ حَسَّنَتْ لَذَّةً لِلْمَرْءِ قَاتِلَةً ٧٧
٢٢- وَاخْشَ الدَّسَائِسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبَعٍ ٧٩
٢٣- وَاسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ امْتَلأَتْ ٨١
٢٤- وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِهِمَا ٨٥
٢٥- وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمَا خَصْماً وَلاَ حَكَماً ٨٩
٢٦- أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَوْلٍ بِلاَ عَمَلٍ ٩٢
٢٧- أَمَرْتُكَ الخَيْرَ لَكِنْ مَا ائْتَمَرْتُ بِهِ ٩٤
٢٨- وَلاَ تَزَوَّدْتُ قَبْلَ المَوْتِ نَافِلَةً ٩٧

الفصل الثالث : في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

٢٩- ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلامَ إِلَى ١٠٠

٣٠- وَشَدَّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشَاءَهُ وَطَوَى ١٠٣

٣١- وَرَاوَدَتْهُ الجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ ١٠٦

٣٢- وَأَكَّدَتْ زُهْدَهُ فِيهَا ضَرُورَتُهُ ١٠٩

٣٣- وَكَيْفَ تَدْعُو إِلَى الدُّنْيَا ضَرُورَةُ مَنْ ١١٢

٣٤- مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَـ ١١٦

٣٥- نَبِيُّنَا الآمِرُ النَّاهِي فَلاَ أَحَدٌ ١١٨

٣٦- هُوَ الحَبِيبُ الَّذِي تُرْجَى شَفَاعَتُهُ ١٢٢

٣٧- دَعَا إِلَى اللهِ فَالمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ ١٢٨

٣٨- فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ ١٣٠

٣٩- وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ ١٣٣

٤٠- وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِم ١٣٥

٤١- فَهوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ ١٣٨

٤٢- مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ فِي مَحَاسِنِهِ ١٤٠

٤٣- دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمِ ١٤٣

٤٤- وَانْسُبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ ١٤٧

٤٥- فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللهِ لَيْسَ لَهُ ١٤٩

٤٦- لَـوْ نَاسَـبَتْ قَـدْرَهُ آيَاتُـهُ عِظَمـاً ١٥١
٤٧- لَـمْ يَمْتَحِنَّـا بِمَـا تَعْيَـا العُقُـولُ بِـهِ ١٥٤
٤٨- أَعْيَـا الـوَرَى فَـهْمُ مَعْنَـاهُ فَلَيْـسَ يُـرَى ١٥٧
٤٩- كَالشَّـمْسِ تَظْـهَرُ لِلْعَيْنَيْـنِ مِـنْ بُعُـدٍ ١٥٩
٥٠- وكَيْـفَ يُـدْرِكُ فِـي الدُّنْيَـا حَقِيقَتَـهُ ١٦١
٥١- فَمَبْلَـغُ العِلْـمِ فِيـهِ أَنَّـهُ بَشَـرٌ ١٦٣
٥٢- وكُـلُّ آيٍ أَتَـى الرُّسْـلُ الكِـرَامُ بِـهَا ١٦٥
٥٣- فَـإِنَّـهُ شَـمْسُ فَضْـلٍ هُـمْ كَوَاكِبُـهَا ١٦٧
٥٤- أَكْـرِمْ بِخَلْـقِ نَبِـيٍّ زَانَـهُ خُلُـقٌ ١٧٠
٥٥- كَـالزَّهْرِ فِـي تَـرَفٍ وَالبَـدْرِ فِـي شَـرَفٍ ١٧٢
٥٦- كَـأَنَّـهُ وَهْـوَ فَـرْدٌ مِـنْ جَلاَلَتِـهِ ١٧٥
٥٧- كَـأَنَّمَـا اللُّؤْلُـؤُ المَكْنُـونُ فِـي صَـدَفٍ ١٧٧
٥٨- لاَ طِيـبَ يَعْـدِلُ تُرْبـاً ضَـمَّ أَعْظُمَـهُ ١٧٩

الفصل الرابع : في مولده عليه الصلاة والسلام

٥٩- أَبَـانَ مَوْلِـدُهُ عَـنْ طِيـبِ عُنْصُـرِهِ ١٨٣
٦٠- يَـوْمٌ تَفَـرَّسَ فِيـهِ الفُـرْسُ أَنَّـهُمُ ١٨٦
٦١- وَبَـاتَ إِيـوَانُ كِسْـرَى وَهْـوَ مُنْصَـدِعٌ ١٨٩
٦٢- وَالنَّـارُ خَـامِدَةُ الأَنْفَـاسِ مِـنْ أَسَـفٍ ١٩٢
٦٣- وَسَـاءَ سَـاوَةَ أَنْ غَـاضَتْ بُحَيْرَتُـهَا ١٩٥

٦٤- كَـأَنَّ بِالنَّـارِ مَـا بِالمَـاءِ مِـنْ بَلَـلِ ١٩٧
٦٥- وَالجِـنُّ تَـهْتِفُ وَالأَنْـوَارُ سَـاطِعَةٌ ١٩٩
٦٦- عَمُـوا وَصَمُّـوا فَـإِعْـلاَنُ البَشَـائِرِ لَـمْ ٢٠٢
٦٧- مِـنْ بَعْـدِ مَـا أَخْـبَرَ الأَقْـوَامَ كَاهِنُـهُمْ ٢٠٤
٦٨- وَبَعْـدَ مَـا عَـايَنُوا فِي الأُفْـقِ مِـنْ شُـهُبٍ ٢٠٦
٦٩- حَتَّى غَـدَا عَـنْ طَرِيـقِ الوَحْـيِ مُنْـهَزِمٌ ٢٠٩
٧٠- كَـأَنَّـهُمْ هَرَبـاً أَبْطَـالُ أَبْرَهَـةٍ ٢١١
٧١- نَبْـذاً بِـهِ بَعْـدَ تَسْـبِيحٍ بِبَطْنِـهِمَا ٢١٥

الفصل الخامس : في معجزاته صلى الله عليه وسلم

٧٢- جَـاءَتْ لِدَعْوَتِـهِ الأَشْـجَارُ سَـاجِدَةً ٢١٨
٧٣- كَـأَنَّمَـا سَـطَرَتْ سَـطْراً لِمَـا كَتَبَـتْ ٢٢١
٧٤- مِثْـلَ الغَمَامَـةِ أَنَّـى سَـارَ سَـائِرَةً ٢٢٣
٧٥- أَقْسَـمْتُ بِـالقَمَرِ المُنْشَـقِّ إِنَّ لَـهُ ٢٢٧
٧٦- وَمَا حَوَى الغَـارُ مِـنْ خَـيْرٍ وَمِـنْ كَـرَمٍ ٢٣٠
٧٧- فَـالصِّدْقُ فِي الغَـارِ وَالصِّدِّيـقُ لَـمْ يَرِمَـا ٢٣٣
٧٨- ظَنُّـوا الحَمَـامَ وَظَنُّـوا العَنْكَبُـوتَ عَلَـى ٢٣٦
٧٩- وِقَايَـةُ اللهِ أَغْنَـتْ عَـنْ مُضَاعَفَـةٍ ٢٣٨
٨٠- مَا سَامَنِي الدَّهْـرُ ضَيْماً وَاسْتَجَرْتُ بِـهِ ٢٤٠
٨١- وَلاَ الْتَمَسْـتُ غِنَـى الدَّارَيْـنِ مِـنْ يَـدِهِ ٢٤٢

٨٢- لاَ تُنْكِـرِ الوَحْـيَ مِـنْ رُؤْيَـاهُ إِنَّ لَـهُ ٢٤٤

٨٣- وَذَاكَ حِـينَ بُلُـوغٍ مِـنْ نُبُوَّتِـهِ ٢٤٦

٨٤- تَبَـارَكَ اللهُ مَـا وَحْـيٌ بِمُكْتَسَـبٍ ٢٤٨

٨٥- كَـمْ أَبْـرَأَتْ وَصِبـاً بِـاللَّمْسِ رَاحَتُـهُ ٢٥٠

٨٦- وَأَحْيَـتِ السَّـنَةَ الشَّـهْبَاءَ دَعْوَتُـهُ ٢٥٤

٨٧- بِعَـارِضٍ جَـادَ أَوْ خِلْـتُ البِطَـاحَ بِـهَا ٢٥٧

الفصل السادس : في شرف القرآن ومدحه

٨٨- دَعْنِـي وَوَصْفِـيَ آيَـاتٍ لَـهُ ظَـهَرَتْ ٢٥٩

٨٩- فَـالدُّرُّ يَـزْدَادُ حُسْـناً وَهْـوَ مُنْتَظِـمٌ ٢٦١

٩٠- فَمَـا تَطَـاوُلُ آمَـالِ المَدِيـحِ إِلَـى ٢٦٣

٩١- آيَـاتُ حَـقٍّ مِـنَ الرَّحْمَـنِ مُحْدَثَـةٌ ٢٦٦

٩٢- فَلَـمْ تَقْـتَرِنْ بِزَمَـانٍ وَهْـيَ تُخْبِرُنَـا ٢٦٨

٩٣- دَامَـتْ لَدَيْنَـا فَفَـاقَتْ كُـلَّ مُعْجِـزَةٍ ٢٧١

٩٤- مُحَكَّمَـاتٌ فَمَـا تُبْقِـينَ مِـنْ شُـبَهٍ ٢٧٣

٩٥- مَـا حُورِبَـتْ قَـطُّ إِلاَّ عَـادَ مِـنْ حَـرَبٍ ٢٧٥

٩٦- رَدَّتْ بَلاَغَتُـهَا دَعْـوَى مُعَارِضِـهَا ٢٧٧

٩٧- لَـهَا مَعَـانٍ كَمَـوْجِ البَحْـرِ فِـي مَـدَدٍ ٢٧٩

٩٨- فَمَـا تُعَـدُّ وَلاَ تُحْصَـى عَجَائِبُـهَا ٢٨١

٩٩- قَـرَّتْ بِـهَا عَيْـنُ قَارِيـهَا فَقُلْـتُ لَـهُ ٢٨٣

١٠٠- إنْ تَتْلُـهَا خِيفَـةً مِـنْ حَـرِّ نَـارِ لَظَـى ٢٨٥
١٠١- كَـأنَّـهَا الحَـوْضُ تَبْيَـضُّ الوُجُـوهُ بِـهِ ٢٨٧
١٠٢- وكَـالصِّرَاطِ وكَـالمِيزَانِ مَعْدِلَـةً ٢٨٩
١٠٣- لاَ تَعْجَبَـنْ لِحَسُـودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَـا ٢٩١
١٠٤- قَدْ تُنْكِرُ العَيْـنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ ٢٩٣

الفصل السابع : في إسرائه ومعراجه صلى الله عليه وسلم

١٠٥- يَـا خَـيْرَ مَـنْ يَمَّـمَ العَـافُونَ سَـاحَتَهُ ٢٩٥
١٠٦- وَمَـنْ هُـوَ الآيَـةُ الكُـبْرَى لِمُعْتَـبِرِ ٢٩٧
١٠٧- سَـرَيْتَ مِـنْ حَـرَمٍ لَيْـلاً إلَـى حَـرَمِ ٢٩٩
١٠٨- وبِـتَّ تَرْقَـى إلَـى أن نِلْـتَ مَنْزِلَـةً ٣٠٢
١٠٩- وَقَدَّمَتْـكَ جَمِيـعُ الأنْبِيَـاءِ بِـهَا ٣٠٥
١١٠- وَأنْـتَ تَخْـتَرِقُ السَّـبْعَ الطِّبَـاقَ بِـهِمْ ٣٠٧
١١١- حَتَّـى إذَا لَـمْ تَـدَعْ شَـأْواً لِمُسْـتَبِقٍ ٣٠٩
١١٢- خَفَضْـتَ كُـلَّ مَقَـامٍ بِالإضَافَـةِ إذْ ٣١١
١١٣- كَيْمَـا تَفُـوزَ بِوَصْـلٍ أيِّ مُسْـتَتِرٍ ٣١٣
١١٤- فَحُـزْتَ كُـلَّ فَخَـارٍ غَـيْرَ مُشْـتَرَكٍ ٣١٥
١١٥- وَجَـلَّ مِقْـدَارُ مَـا وُلِّيـتَ مِـنْ رُتَـبٍ ٣١٧
١١٦- بُشْـرَى لَنَـا مَعْشَـرَ الإسْـلاَمِ إنَّ لَنَـا ٣١٩
١١٧- لَمَّـا دَعَـا اللهُ دَاعِينَـا لِطَاعَتِـهِ ٣٢١

الفصل الثامن : في جهاد النبي صلى الله عليه وسلم

١١٨- رَاعَـتْ قُلُـوبَ العِـدَا أَنْبَـاءُ بِعْثَتِـهِ ٣٢٣
١١٩- مَـا زَالَ يَلْقَـاهُمُ فِـي كُـلِّ مُعْـتَرَكٍ ٣٢٥
١٢٠- وَدُّوا الفِـرَارَ فَكَـادُوا يَغْبِطُـونَ بِـهِ ٣٢٧
١٢١- تَمْضِـي اللَّيَـالِي وَلاَ يَـدْرُونَ عِدَّتَـهَا ٣٣٠
١٢٢- كَـأَنَّمَـا الدِّيـنُ ضَيْـفٌ حَـلَّ سَـاحَتَهُمْ ٣٣٢
١٢٣- يَجُـرُّ بَحْـرَ خَمِيـسٍ فَـوْقَ سَـابِحَةٍ ٣٣٤
١٢٤- مِـنْ كُـلِّ مُنْتَـدِبٍ للهِ مُحْتَسِـبٍ ٣٣٦
١٢٥- حَتَّـى غَـدَتْ مِلَّـةُ الإِسْـلاَمِ وَهْـيَ بِـهِمْ ٣٣٨
١٢٦- مَكْفُولَـةً أَبَـداً مِنْـهُمْ بِخَـيْرِ أَبٍ ٣٤٠
١٢٧- هُـمُ الجِبَـالُ فَسَـلْ عَنْـهُمْ مُصَادِمَـهُمْ ٣٤٢
١٢٨- وَسَـلْ حُنَيْنـاً وَسَـلْ بَـدْراً وَسَـلْ أُحُـداً ٣٤٤
١٢٩- المُصْـدِرِي البِيضِ حُمْـراً بَعْـدَ مَـا وَرَدَتْ ٣٤٦
١٣٠- وَالكَـاتِبِينَ بِسُـمْرِ الخَـطِّ مَـا تَرَكَـتْ ٣٤٨
١٣١- شَـاكِي السِّـلاَحِ لَـهُمْ سِـيمَا تُمَـيِّزُهُمْ ٣٥٠
١٣٢- تُـهْدِي إِلَيْـكَ رِيَـاحُ النَّصْـرِ نَشْـرَهُمُ ٣٥٢
١٣٣- كَـأَنَّـهُمْ فِـي ظُـهُورِ الخَيْـلِ نَبْـتُ رُبـاً ٣٥٤
١٣٤- طَـارَتْ قُلُـوبُ العِـدَا مِـنْ بَـأْسِهِمْ فَرَقـاً ٣٥٧
١٣٥- وَمَـنْ تَكُـنْ بِرَسُـولِ اللهِ نُصْرَتُـهُ ٣٥٩

١٣٦- وَلَـنْ تَـرَىٰ مِـنْ وَلِـيٍّ غَـيْرِ مُنْتَصِـرٍ ٣٦١
١٣٧- أَحَـلَّ أُمَّتَـهُ فِـي حِـرْزِ مِلَّتِـهِ ٣٦٣
١٣٨- كَـمْ جَدَّلَـتْ كَلِمَـاتُ اللهِ مِـنْ جَـدِلٍ ٣٦٥
١٣٩- كَفَـاكَ بِـالعِلْمِ فِـي الأُمِّـيِّ مُعْجِـزَةً ٣٦٧

الفصل التاسع : في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم

١٤٠- خَدَمْتُـهُ بِمَدِيـحٍ أَسْـتَقِيلُ بِـهِ ٣٧٠
١٤١- إِذْ قَلَّدَانِـيَ مَـا تُخْشَـى عَوَاقِبُـهُ ٣٧٢
١٤٢- أَطَعْـتُ غَـيَّ الصِّبَا فِـي الحَـالَتَيْنِ وَمَـا ٣٧٤
١٤٣- فَيَـا خَسَـارَةَ نَفْـسٍ فِـي تِجَارَتِـهَا ٣٧٦
١٤٤- وَمَـنْ يَبِـعْ آجِـلاً مِنْـهُ بِعَاجِلِـهِ ٣٧٨
١٤٥- إِنْ آتِ ذَنْبـاً فَمَـا عَـهْدِي بِمُنْتَقِـضٍ ٣٨٠
١٤٦- فَـإِنَّ لِـي ذِمَّـةً مِنْـهُ بِتَسْـمِيَتِي ٣٨٢
١٤٧- إِنْ لَـمْ يَكُـنْ فِـي مَعَـادِي آخِـذاً بِيَـدِي ٣٨٥
١٤٨- حَاشَـاهُ أَنْ يُحْـرَمَ الرَّاجِـي مَكَارِمَـهُ ٣٨٧
١٤٩- وَمُنْـذُ أَلْزَمْـتُ أَفْكَـارِي مَدَائِحَـهُ ٣٨٩
١٥٠- وَلَـنْ يَفُـوتَ الغِنَـى مِنْـهُ يَـداً تَرِبَـتْ ٣٩١
١٥١- وَلَـمْ أُرِدْ زَهْـرَةَ الدُّنْيَـا الَّتِـي اقْتَطَفَـتْ ٣٩٣

الفصل العاشر : في المناجاة وعرض الحاجات

١٥٢- يَـا أَكْـرَمَ الخَلْـقِ مَـا لِـي مَـنْ أَلُـوذُ بِـهِ ٣٩٦

١٥٣- وَلَـنْ يَضِيـقَ رَسُـولَ اللهِ جَـاهُكَ بِـي ٣٩٨
١٥٤- فَـإنَّ مِـنْ جُـودِكَ الدُّنْيَـا وَضَرَّتَـهَا ٤٠٠
١٥٥- يَا نَفسِ لاَ تَقْنِطِـي مِنْ زَلَّـةٍ عَظُمَـتْ ٤٠٦
١٥٦- لَعَـلَّ رَحْمَـةَ رَبِّـي حِـينَ يَقْسِـمُهَا ٤٠٩
١٥٧- يَا رَبِّ وَاجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِـسٍ ٤١١
١٥٨- وَالْطُـفْ بِعَبْـدِكَ فِـي الدَّارَيْـنِ إنَّ لَـهُ ٤١٣
١٥٩- وَائْـذَنْ لِسُـحْبِ صَـلاَةٍ مِنْـكَ دَائِمَـةٍ ٤١٥
١٦٠- مَا رَنَّحَتْ عَذَبَـاتِ البَـانِ رِيـحُ صَبـاً ٤١٧
الخاتمة ٤٢١
فهرس الكتاب ٤٢٣

والحمد لله رب العالمين